نصوص شعرية ونثرية أندلسية

الدكتور
صالح حسن اليظي

كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القباني

الإسكندرية

نصوص شعرية ونثرية أندلسية

الدكتور
صالح حسن اليظي

كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

فهرست

صفحة

أولاً : الشعر

المعتمد بن عباد

قافية الراء

وقال يستعطف أباه حين خرج من مالقة[1]:

سكِّن[2] فؤادَك ، لا تذهب بكَ[3] الفِكَرُ
ماذا يُعيد عليك البثُّ[4] والحذَرُ

وازجُر جُفونَك ، لا ترضَ البكاءَ لها
واصبِر ، فقد كنت عند الخَطبِ تصطَبِرُ[5]

وإن يكن قدرٌ قد عاق عن وطَرٍ
فلا مردَّ لما يأتى به القَدَرُ

وإن تكن خَيبةٌ فى الدّهرِ واحدةٌ
فكم غزوتَ[6] ومن أشياعِك الظَّفَرُ

---

(١) كان المعتضد بالله قد بعث بابنيه جابر ومحمد الملقب بعد بالمعتمد إلى مالقة بعد تقاص الظلال الحمودية عنها فاستوليا عليها سنة ٤٥٨ ثم لم يلبث المغاربة بها أن استصرخوا أميرهم باديس فأسرع إلى محاربة ابنى عباد فهزمهما واضطرهما إلى الفرار إلى رندة ... فخاطب المعتمد أباه بهذا الشعر يستعطفه ويسليه عن مصابه فى هزيمته ... »

وانظر البيان المغرب (٢ : ٢٧٣) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٥) والمجموع ا (ص ٢١١) . والمطرب ص ١٢ وقلائد العقيان ص ١٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٤١ وأصل الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) والمرقصات والمطربات (٦٠) والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٣

(٣) فى قلائد العقيان والمجموع أ «به» .

(٤) فى خريدة القصر « الهم والسهر » .

(٥) فى المجموع (تستتر) .

(٦) فى المجموع « غلوت » .

إن كنتَ فى حيرة من[1] جُرم مُجترِم

فإنّ عُذرك فى ظلمائها قَمَرُ

كم[2] زفرةٍ فى شَغَافِ[3] القلب صاعدةٍ

وعَبرةٍ من شؤون الدّهرِ تنحدرُ

فوِّض إلى الله فيما[4] أنت خائفُه

وثق بمعتضِد بالله ، يغتفرُ

ولا تَرُعْك[5] خطوبٌ ، إن عدا زمنٌ

فالله يدفع ، والمنصورُ ينتصرُ

واصبر ، فإنك من قوم أُولى جَلَدٍ

إذا أصابتهمُ مكروهةٌ ، صبَرُوا

مَن مثلُ قومِك ، من مثلُ الهمَامِ أبي[6]

عمرو أبيكَ ، له مجدٌ ومفتخَرُ

سميذَعٌ[7] يَهَبُ الآلافَ مبتدِئًا[8] ويستقلُّ[9] عطاياهُ ويعتذرُ[10]

---

(1) فى أصل الذخيرة والحلة « عن جرم » .

(2) هذا البيت والأبيات الأربعة بعده رواها المجموع والحلة السيراء .

(3) الشغاف كسحاب : غلاف القلب أو حجابه أو حبته أو سويداؤه .

(4) هذه رواية الحلة السيراء وفى المجموع « مما » .

(5) فى الحلة « ولا يروعنك خطب » .

(6) هذه رواية الحلة السيراء . وفى بعض النسخ « والملك الهمام أبو .. عمرو أبوك » .

(7) السميذع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف والشجاع .

(8) فى المجموع « مقتدرا » وما أثبتنا من المصادر الأخرى .

(9) فى المرقصات لابن سعيد « وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر » .

(10) فى المجموع « ويحتقر » .

لـه يدٌ، كلُّ جبّار يُقبّلها ... لولا نداها[1] لقلنا إنها الحجَرُ[2]

يا ضيغماً، يقتُل الفُرسان[3] مفترِساً ... لا توهنَنَّى، فأنى النّاب والظُّفُرُ

وفارساً، تحذرُ الأبطالُ صولته ... صُن[4] عبدَك القِنَّ، فهو الصّارمُ الذكَرُ

هو الذى لم تَشِم يُمناك صفحته ... إلّا تأتّى مرادٌ، وانقضى وطَرُ[5]

قد أخلقتنى صُروف، أنت تعلمُها ... وغالَ[6] موردَ آمالى بها كدَرُ

فالنفسُ جازعةٌ، والعين دامعةٌ ... والصوتُ منخفضٌ، والطّرف منكسرُ

وحُلتُ[7] لوناً، وما بالجسم من سَقَمٍ ... وشبت رأساً، ولم يبلغنىَ الكِبَرُ

ومُتُّ إلّا ذَماءً فىّ، يُمسكه ... أنّى عهدتك تعفو حين تقتدرُ[8]

لم يأت عبدُك ذنباً يستحقّ به ... عتْباً، وها هو قد ناداك يعتذرُ

ما الذنب إلّا على قوم ذوى دغَلٍ ... وَفَى لهم عهدُك[9] المعهودُ إذ غدروا

قومٌ نصيحتُهم غشٌّ، وحبّهم[10] ... بغضٌ، ونفعُهم ـ إن صرّفوا ـ ضَرر

يميّزُ البغضَ فى الألفاظ، إن نطقوا ... ويُعرف الحقدُ فى الألحاظ، إن نظروا

---

(1) فى المجموع: « نداه ».

(2) يريد الحجر الأسود.

(3) فى المجموع أ: « الأبطال ».

(4) هذه رواية المجموع وفى بقية المراجع: « من خذ عبدك ».

(5) ورد البيت فى موضعه هذا فى المجموع.

(6) فى المجموع « وقال موردها مالى بها صدر ».

(7) فى المجموع « وزاد همى ما ».

(8) هذا البيت وارد فى المجموع والحلة. وفى المجموع « ونبت ». والذماء: بقية النفس

(9) فى قلائد العقيان: « عدلك المألوف ».

(10) فى المجموع « وصدقهم ... مين ».

إن يحـــزق القلبَ نفثٌ من مقالهم ... فإنّمــا ذاك مــن نــار القِــلى شَرَرُ

مولاى ، دعوةَ مـمـــلوكٍ به ظمأٌ ... بَرْحٌ[1] ، وفى راحتَيك السَّلْسَلُ الخَصِر[2]

أَجب نــــداءَ أخى قــلبٍ تملّــكهُ ... أسًى ، وذى مُقلةٍ أودَى بهــا السَّهرُ

لم أُوتَ من زمـــنى شيئًـا ألذّ به[3] ... فلستُ أعهــدُ[4] مـا كأسٌ ولا وتَرُ

ولا تملّــكَنى دلٌّ ولا خَفَـــرٌ ... ولا سـبىَ خلَدى غُنجٌ ، ولا حَــوَرُ

رضــاك راحةُ نفسى لا فُجعتُ به ... فهو العتَــادُ الّذى للدّهـــرِ يُدّخرُ[5]

هو المُـــدَامُ الّتى أسْـــلُو بهـا فإذا ... عدِمتُهـا عَبِثَتْ[6] فى قلبى الفِـــكَرُ

أجَلْ ، ولى راحةٌ أخرى كَلِفتُ[7] بها ... نَـــظمُ الكُلى فى القَنـا والهـامُ تنتثرُ

مَا تَرْكَى الخمـــرَ من زُهـدٍ ولا ورَعٍ ... فلم يُفـارق ــ لَعمرى ــ سِنّى الصِّغَرُ

وإنّمـا أنا سـاعٍ فى رضـاك ، فإن ... أخفقتُ فيه ، فـلا يُفسَحْ لىَ العمُرُ

مـا سرّنى ، وأحاشى عصرَ عطفــكم ... يــوم أخل به فى عيـــنى القِصَرُ[8]

---

(1) البرح : الشدة .

(2) هذا البيت والذى يليه ذكرهما المجموع . والخصر ككتف : البارد .

(3) فى المجموع ا : « أسربه » .

(4) فى بقية الأصول « لست أعرف » وما أثبتنا من المجموع .

(5) فى رواية المجموع « أدخر » .

(6) فى الحلة « رقدت » .

(7) فى المجموع « علقت » .

(8) كذا ورد هذا البيت فى المجموع .

كم وقعةٍ لىَ فى الأعداء واضحةٍ   تفنى الليالى ، وما يَفنىْ لها الخبرُ
سارت بها العيسُ فى الآفاق، فانتشرت   فليس فى كلّ حىّ غيرَها سَمَرُ
لا زلتَ ذا عزّةٍ قعساءَ شامخةٍ   لا يبلُغ الوهمُ أدناها ولا البصرُ
ولا يزل وَزَرٌ من حسن رأيك لى   آوى إليه ، فنِعم الكهفُ والوزَرُ
إليك روضةَ فكر جادَ منبتَها   نَدى يمينك ، لا طلٌّ ، ولا مَطَرُ
جعلتُ ذكرك فى أرجائِها زَهَراً[1]   وكلُّ أوقاتها للمجتنى ثَمَرُ

وأرسل إليه[2]:

يأيها الملكُ الذى لم يزلْ   يسرى إلى غُرّته السّارى
وجامعًا فى كفّه بالنّدى   والبأسِ ، بين الماءِ والنّارِ
إهْنأْ ، فقد نلتَ الذى تشتهى   نفسُكَ ، واشكرُ نعمةَ البارِى

وأرسل إليه أيضا[3] :

أيا ملكًا ، عمّنى فضلُه   ولم أُلفِ فى بحر نُعماه زَجْرَا
عَهِدنا البحارَ بجزرٍ ، ومَدٍّ   وتأبى بحارُ أياديك جَزْرَا
دعونا الأمانىَ لمّا رضيتَ   فجاءت ، تَوَالَى علينا ، وتَتْرَى
فلم يبقَ لى أملٌ أرتجيه   سوى أن أقومَ بنُعماكَ شُكْرَا
بقيتَ ، ولا مُلْكَ إلّا وقد   غدا مِلكَ كَفّكَ ، قهرًا وقسْرَا

---

(1) فى المجموع « شجرا » وما أثبتنا من الخريدة .
(2) هذا النص من المجموع ا (ص ٢١٨) .
(3) هذا النص من المصدر نفسه (ص ٢١٩) .

قافية العين

وكتب إلى أبيه[1] :

ألا يا مليكًا ، ظلّ فى الخطب مَفْزَعَا
ويا واحدًا ، قد فاق ذا الخلق أجمعَا

ترَفّق بعبد ، وُدُّه لك شيمةٌ
إذا كان وُدُّ من سواه تصنُّعَا

لئن كنتَ عن جهل ، فديتُك ، غافرًا
فكم عاثرٍ قالت عُلاكَ له : «لَعَا»[2]

أقِلْنى ، تجد عبدًا شكورًا ، وصارمًا
يحزّ من الأعداء لِيتًا وأخدَعَا

عَلتنى من السُّخط الأليم سحابةٌ
فأغرِ بها ريحَ الرِّضا ، كى تَقَشّعَا

قافية الكاف

وقال[3] :

الشّمسُ تخجلُ من جمالك فتغيبُ مُسرعةً لذلكْ
والغيث يَخجلُ أن يصُو بَ ، لما يَرَى من نَوالِكْ
والبدرُ يطلُع ناقصًا حتّى يُتَمّمَ من كَمالِكْ

---

(١) هذا النص من المصدر السابق (ص ٢١٤) .

(٢) كلمة دعاء تقال للعاثر .

(٣) النص من المجموع ا (ص ٢١١) ورجح انه فى أبيه .

قافية اللام

وكتب إلى أبيه جوابا عن تحفة[1] :

يا مَلِكًا قد أصبحتْ كَفُّه سائحةً بالعارض الهاطِلِ
قد أفْحَمَتْنِي منَّةٌ، مثلُها يُضيِّق القولَ على القائلِ
وإن أكن قصَّرتُ عن وصفِها فحُسنُها عن وصفِها شاغلى

وقال[2] :

بعثتُ بالمرسَل انبساطا منّى على خُلقك الجميلْ
نَزْرًا حقيرا ، ففيه يأتى فضلُك فى العُذر والقَبول
لو أنَّه مهجتى لكانت تَصغُر فى قدرك الجليل

وكتب إلى أبيه[3] :

وساعةٍ للزمانِ مُسعفةٍ قنصتُ فيها أرانباً وحَجَلْ
فلا أرانى الإلهُ منك رضًا إن لم أصِدْ من عِداك كلَّ بطَلْ

قافية الميم

وقال فيه[4] :

يا مُتبعَ الإكرام إنعاما ومتبع الإنعام إتمامَا
وعادلاً فى النّاس، لكنّه أصبحَ للأموال ظلّامَا

---

(1) النص من خريدة القصر (١ : ١٤٥) .
(2) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١١) ونرجح أنه فى أبيه .
(3) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٩) .
(4) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٦) .

قرنتَ فى كفِّك بحرَ النّدى ... بصارمٍ أسكنتَهَ الهَامَا

وجُمِّعَتْ فيك خِصالُ الورى ... وحُزتَ آراءً وإقداما

فالموتُ والعيشُ بيمناك . قد ... صرَّفتَ أسيافًا وأقلاما

أثقلتَ بالإنعام ظهرى ، فقد ... أُلجِمتُ عن شكرك إلجامَا

فاسلَمْ[1] لإهراقِ دماءِ العِدا ... ما طردَ الإصباحُ إظلاما

وقال فيه حين أصابته الحمى[2] :

ياليتَ حرب سقَى الأعادى ... طعمَين منه[3] ، أريًا وسُمّا

هـذا إذا ناشبُوه حربًا ، ... وذا إذا استوهبُوه سَلمَا

لا غرو أن حُمَّ منك جسمٌ ... فعادةُ الأُسْد أن تُحَمَّا

وليهنِني أن طلعتَ بدرًا ... لأعينِ الخَلق مُستَتِمَّا

لا زلتَ يلقى العداةُ بؤسَى ... منك ، ويَلقى الوُلاةُ نُعمَى

وليَخزَ من خَال من حسود ... أنَّ بك[4] المحقَ قد ألمّا

---

(١) ورد قبل هذا البيت البيت التالى هكذا :

سفكت أنضالا دمى كى ترى ... تزيد فى عمرك أعواما .

(٢) هذه النص من المجموع ا (ص ٢٠٥) وفيه « يا ليت حربا » تحريف .

(٣) فى الأصل « منها » .

(٤) فى الأصل « أن يكن » تحريف .

وسوف تُحِلُّني رتبَ المعـــالي ... غداةَ تَحُلُّ في تلك القُصورِ

تزيد على ابن مروانٍ عطـاءً ... بهـا ، وأنيفُ ثَمَّ على جَريرِ

تأهّبْ أنْ تعودَ إلى طُلوعٍ ... فليس الخَسفُ ملتزمَ البُـدورِ

فراجعه المعتمد بهذه الأبيات :

ردّ بِرّي بَغيــاً عليّ ، وبِرّاً ... وجَفَــا فاستحقّ لوماً وشُكرَا

عافَ[1] نزري إذ خافَ تأكيدَ ضَرّي ... فاستحقَّ الجفاءَ إذ عاف نَزْرا

فإذا ما طَوَيتُ في الحمدِ بَعضاً ... عاد لَوْمي في البَعض سرّاً وجهرَا

يا أبا بكـرٍ الغـريبَ وفاءً ... لا عدمناك في المغـارب ذُخرَا

أيّ نفعٍ يُجدي احتياطُ شَفيقٍ ... مُتُّ[2] ضُرّاً ، فكيف أرْهَبُ ضُرّاً

فأجابه الداني :

أيُّها الماجدُ السّميدَع ، عذرا ... صَرفيَ البِرّ إنمـا كان بِرّاً

حاشَ لله أن أُجيحَ كريماً ... يتشكّى فقراً ، وكم سدّ فقرا

لا أزيدُ الجفاءَ فيه شقُوقاً ... غَدر الدّهر بي لئن رمتُ غَدرَا

ليت لي قوّةً أوَاوِي لِركنٍ ... فـترى للوفاء منّيَ سِرّا

أنت علّمتني السيادةَ حتى ... ناهضَتْ همّتي الكواكبَ قدرَا

ربحتْ صفقةٌ أُزيلُ بُرودا ... عن أديمي بها وألبس فَخرَا

وكفاني كلامُكَ الرطبُ نيلاً ... كيف أُلقي درّا وأطلب تبرَا

لم تَمُتْ ، إنما المكارم ماتت ... لاسقَى الله بعدَكَ الأرضَ قَطرَا

(1) في المعجب «حاط نزري ... إذ حاط»

(2) في الذخيرة «بت» . قال ابن بسام «وهذا المصراع الأخير كأنه إلى بيت أبي الطيب يشير :

«أنا الغريق فما خوفي من البلل»

وقال يرثي ولديه[1]، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبي عمرو سراج الدولة[2] :

يقولون صبراً : لا سبيل إلى الصَّبرِ
سأبكي ، وأبكي ما تطاوَلَ من عُمري

هوى الكوكبانِ : الفتحُ ثمّ شقيقهُ
يَزيدُ ، فهل عند[3] الكواكب من خُبرِ[4]

نرى زُهرها في مأتمٍ كلَّ ليلةٍ
تُخمِّشُ لهفاً وسطَهُ صفحةُ البدرِ

ينحن على نجمين ، أُثكلتُ ذا وذا
وأصبر[5] ؟ ! ما للقلب في الصَّبر من عُذرِ

مَدى[6] الدّهر فليَبكِ الغمامُ مُصابَهُ
بصنويه يُعذر في البكاء مَدَى الدّهرِ

بعينِ سحابٍ واكفٍ قطرُ[7] دمعِها
على كلِّ قبر حلَّ فيه أخو القَطرِ

---

(١) هما المأمون الذي قتل في «قرطبة سنة ٤٨٤ والراضي الذي قتل في «رندة» بعده بأيام . وانظر ما سبق ص ٦٨ .

(٢) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) وقلائد العقيان ص ١٢ ومخطوطة الذخيرة أ ٢ : ١٨ في ب ٢ : ٢٢ والحلة السيراء عن دوزي ص ٦٨ .

(٣) في القلائد «بعد» وهذا البيت هو السابع في رواية القلائد وما جرينا عليه هو ترتيب الذخيرة ونرجح صوابه .

(٤) الخبر بكسر الخاء وضمها : العلم بالشيء . وفي الأصل « صبر » ولعل ما أثبتناه أولى .

(٥) في قلائد العقيان «وربما صبر» .

(٦) هذا البيت وتالياه من القلائد .

(٧) في الأصل «قصر» تحريف .

وبرقٍ ذكيّ النّـارِ حتّى كأنّمـا

يُسعّر ممّـا في فؤادي من الجمْــر

أفتحُ ، لقد فتّحتَ لي باب رحمةٍ

كما بيزيدَ ، اللهُ قد زادَ في أجْرى

هَوى بكما المقـدارُ عنّي ، ولم أمُتْ

وأُدعَى وفيًّا ، ! قدنكَصتُ إلى الغَدر[1]

تولّيتُما والسّنُّ بعــدُ صغيرةٌ

ولم تلبثِ الأيّامُ أن صغّرت قدرِى

تولّيتما حين انتهتْ بكما العُـــلا

إلى غايةٍ ، كلٌّ إلى غايةٍ يجرِى[2]

فلو عُدتُمـا لاخترتُمـا العَــودَ في الثّرى

إذا أنتُمـا أبصرتُمـانِيَ في الأسْرِ

يُعيد على سَمعى الحديدُ[3] نشيــدَه

ثقيلاً ، فتبكى العينُ بالحسِّ والنقْرِ

---

(1) ورد هذا البيت في موضعه هذا في الروايات الثلاث .

(2) » » » » » في رواية المصرية .

(3) يريد بالحديد هنا : القيد

مَعي[1] الأخـــواتُ الهالـكاتُ عليكُما
وأمُّكُما الثَّكلَى المضرَّمةُ الصَّـــدر

فتبكي[2] بدمعٍ ليس للقطـــرِ مثلُه
وتزجرُهـا التَّقوى فتُصغي إلى الزَّجرِ

أبا خالدٍ[3] أورثتني الحُـــزن خالداً
أبا النَّضرِ[4] مُذ ودَّعتَ ودَّعني نَصْرِي

وقبلَكُما قــد أودَعَ القلبَ حسرةً
تجــدَّدُ طولَ الدَّهرِ ثُكلُ أبي عَمرو[5]

قافية السّين

وقال[6] :

من يَصْحَبِ الدَّهرَ لم يعـــدَم تقلُّبَه
والشَّوكُ ينبتُ فيـــه الوَردُ والآسُ

يُمُـــرُّ حينا وتَحــــلُو لي حوادثُه
فقلَّمـا جرحتْ إلا انثَنَتْ تأسُـــو

---

(1) في الذخيرة «مع»

(2) في المصدر نفسه «...» وفي الخاتمة [illegible] البيت هكذا :
تدللها [illegible] ودمع [illegible] وتصبو في الأ[illegible]

(3) أبو خالد : كنية يزيد

(4) أبو النصر : كنية الفتح .

(5) أبو عمرو هذا هو سراج الدولة بن المعتمد وكان في قرطبة [illegible] ٤٦٨ هـ [illegible] المعتمد [illegible] إلى قرطبة [illegible] الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لأشباخ [illegible] عبد الله عنان .

(6) النص من الغيث المسجم ٢ : ١٧٤

قافية العين

وقال[1] :

قُبِّحَ الدَّهــرُ فمــاذا صَنَعَا ... كلّمــا أعطى نَفيسـاً نَزَعَا

قــد هوى ظُلمــا بمن عادَاتُه ... أن يُنادى كلّ من يَهـوى "لَعَا"

مَنْ إذا الغيثُ همَى مُنهمِــراً ... أخجلته كفُّه فانقطعــا[2]

مَنْ غَمــامُ الجـود من راحتِه ... عصَــفتْ ريحٌ به فانقَشَعَــا

من إذا قيل الخنا[3] صَمَّ وإنْ ... نطقَ العــافُون هَمسـاً سَمِعَــا

قل لمن يطمع فى نائله ... قد أزالَ اليأسُ ذاك الطَّمَعَا

راح لا يملكُ إلاَّ دعــوةً ... جَبَرَ اللهُ العُفَــاةَ الضُّيَّعَــا

قافية الفــاء

وكانت بثينةُ بنتُ المعتمد فى جملة من سُبى ، حين أحيط بأبيها فى القصر ، وظل المعتمدُ والرّميكية أمها فى ولَهٍ دائم عليها ، لا يعلمان من أمرها شيئا ، وكان أحد تجــار إشبيلية قــد اشتراها على أنها جارية ، ووهبها لابنه ، فلما أراد الدخول بها امتنعت ، وأظهرت نسبها ، وقالت : لا أحل لك إلا بعقد النكاح ، إن رضى أبى بذلك ، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها ، وانتظارِ جوابه ، فكتبت إليه بشعر ، فرضى المعتمد بزواجها ، وكتب إليها :

بُنَيَّتى كُونى به بَرَّةً ... فَقد قضى الدّهرُ بإسعافه[4]

---

(1) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) ونفح الطيب (مصر ١١٤٠) والمعجب ص ١٠٢

(2) البيتان الثالث والرابع من المعجب .

(3) فى خريدة القصر « الهوى » .

(4) النص من أوله الى هنا من نفح الطيب (ليدن ٢ : ٦٢٨ ومصر ١١٤٠) وانظر القصة فيه مفصلة .

قافية القاف

وقال[1] :

مِن عَزَا المجدَ إلينا قد صدَقْ ... لم يُلَمْ من قال ، مهما قال حَقْ

مجدُنا الشمسُ سَناءً وسنًا ... من يَرُم سَترَ سَنَاها لم يُطِقْ

أيّها الناعي إلينا مجدَنا ... هل يضيرُ المجدَ أن خَطبٌ طَرَقْ

لا تُرَعْ للدمع فى آماقنا ... مَزَجَتْه بدمٍ أيدى الحُرَقْ

حَنِقَ الدّهرُ علينا فسطا ... وكذا الدّهرُ على الحُرِّ حَنِقْ

وقديما كَلِفَ الملكُ بنا ... ورأى منّا شُموسًا فَعَشِقْ

قد مضى منا ملوكٌ شَهَروا ... شُهرةَ الشّمس تجلّت فى الأفُقْ

نحن أبناءُ بنى ماءِ السّما ... نحوَنا تطمحُ ألحاظُ الحدَقْ

وإذا ما اجتمع الدّينُ لنا ... فحقيرٌ ما من الدّنيا افترقْ

ومنها فى ذكر مدة إمارتهم :

حِجَجًا عشرًا وعشرا بعدها ... وثلاثين وعشرين نَسَقْ[2]

أشرقتْ عشرونَ من أنفَسِها ... وثلاثُ نيّرات تأتلِقْ

---

(1) هذه الأبيات صدى لقصة ذكرها ابن بسام فى الذخيرة هى « أن رجلا رأى فى منامه إثر الكائنة عليهم كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس ينشدهم :

رب ركب قد أناخوا عيسهم ... فى ذرا مجدهم حين بسق

سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعى للكر وإعلام بما انتثر من سلكه » فقال : من عز المجد ... ... الأبيات

وانظر الذخيرة أ ٢ : ١٥ ، ب ٢ : ١٩ والحلة السيراء عن دوزى ص ٦٩

(2) هذان البيتان من الحلة ص ٧٠

وقال[1] :

أنباءُ أسرِكَ قد طبّقن آفاقَا ... بل قد عَمَمْن جهاتِ الأرض إقلاقَا

سَرَتْ من الغرب لا يُطوى لها قدمٌ ... حتّى أتت شَرقها تنعاكَ إشراقَا

فأحرقَ الفجعُ أكباداً وأفئدةً ... وأغرقَ الدَّمعُ آماقاً وأحداقَا

قد ضاقَ صدرُ المعالي إذ نُعيتَ لها ... وقيل : إن عليكَ القيدَ قد ضاقَا

أنّى غُلبتُ ، وكنتُ الدّهر ذَا غَلبٍ ... للغالبـين ، وللسُّبّاق سَبّـاقَا

قلتُ : الخطوبُ أذلّتني طوارقُها ... وكان عَزمِيَ[2] للأعداء طرّاقَا

متى رأيتَ صُروف الدّهرِ تاركةً ... إذا انْبرت لذوي الأخطارِ أرماقَا

قافية اللام

واجتاز يوما عليه فى أسره سربُ قطا ، فهـاج وجده ، وأثار من لاعج الشوق ما عنده ، فقال[3] :

بكيتُ إلى سِربِ القَطَا إذ مَرَرْن بي ... سَوارِحَ ، لا سِجنٌ يعوقُ ولا كَبْلُ

ولم تكُ — واللهِ المعيذُ[4] — حَسادةً ... ولكن حنيناً أنَّ شَكْلي لهـا شَكْلُ

فأسرحُ ، لا شَملي صديعٌ ، ولا الحَشَا ... وجيعٌ ، ولا عيناي يُبكيهما ثُكلُ

(1) هذا النص من نفح الطيب (١١٠٥) وقلائد العقيان (٢٦)

(2) فى نفح الطيب « وكان عزمى إلى الأعداء » .

(3) هذا النص من نسخة الذخيرة ا ٢ : ١٩ ؛ بسعد : ٣٢ وقلائد العقيان ٢٨ ؛ ونفح الطيب بولاق ١١٠٦ .

(4) رواية الذخيرة « المنعم » .

هنيئا لهـا أنْ[1] لم يُفَرِّق جميعَها ... ولا ذاقَ منها البعدَ من[2] أهلها أهلُ

وأنْ[3] لم تبتْ مثلي[4] تطيرُ قلوبُهـا ... إذا اهتزَّ بابُ السّجنِ أو صَاصَلَ القُفلُ

وما ذاك ممـا يَعتريني ، وإنمـا ... وصفتُ الذى فى جِبلَّةِ الخلقِ من قبلُ

لِنفسِي إلى لُقْيا الحِمـام تشوُّقٌ[5] ... سواىَ يُحبّ العيشَ فى ساقه حَجلُ

ألا عَصَم اللهُ القَطَا فى فراخهـا ... فإنّ فِراخِى خانَهَا المـاءُ والظِلُّ

وقال[6] :

لكَ الحمدُ من بعد السيوفِ كُبولُ ... بساقىَ منهـا فى السُّجون حُجولُ

وكنّا إذا حَانَت لنحرٍ فريضةٌ ... ونادت بأوقاتِ الصّلاةِ طُبُولُ

شَهدنا فكبّرنا ، فظلّت سيوفُنـا ... تُصلّى بهـامات العدا فتُطيلُ

سُجُـودُ على إثرِ الرّكوعِ مُتَـابعٌ ... هنـاكَ بأرواحِ الكماةِ تسيلُ .

قافية الميم

قال من قصيدة يصف فيها الكبل[7] :

تعطَّفَ فى سَاقِى تعطُّفَ أرقَـمِ ... يُسـاوِرُها عضّـا بأنيابِ ضيغَـمِ

وإنِّىَ من كـان الرّجالُ بسيبِـه ... ومن سَيفه فى جنّـةٍ وجَهَـنَّمِ

(١) فى نفح الطيب « إذ »

(٢) فى النفح والقلائد « عن » .

(٣) رواية النفح « و إذ » .

(٤) فى الذخيرة « ليلا » . وما أثبتنا من النفح والقلائد .

(٥) رواية النفح والقلائد « تشوف » .

(٦) النص من نسختى الذخيرة ا ٢ : ٢١ ، ب ٢ : ٢٥

(٧) هذا النص من الخريدة (١١ : ١٥١) .

وفى الذخيرة[١] والقلائد[٢] ورد البيتان هكذا :

إليكَ فلو كانت قُيونُك أُشعِرتْ ... تصرّمَ منها كُلُّ كَفٍّ ومِعْصَمِ
مهـابةَ من كانـ الرّجالُ بسيبِه ... ومِنْ سـيفه فى جنّـة وجهنّمِ

وقال وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم[٣] فارتاع لقيده[٤] :

قَيـدى أما تعلمُنى مُسلِمـا ... أَبَيْتَ أن تُشفِق أو ترحَمَـا
دَمى شرابٌ لك ، واللحمُ قد ... أكلتَـه ، لا تَهشِمِ الأعظُمَا
يُبصِرُنى فيـك أبو هـاشِمٍ ... فيَنْثنى القلبُ وقـد هُشِّمَا
إرحَمْ طُفيلا طائشـاً لبُّـهُ ... لم يخشَ أن يأتيك مُسترحِمَا
وارحَمْ أُخَيّـاتٍ له مِثـلَه ... جرَّعتَهـنّ السُّمَّ والعَـلقَمَا
منهنّ من يفهم شيئـا فقد ... خِفْنَـا عليـه للبكاء العَمَى
والغيرُ لا يفهمُ شيئـا فما ... يَفْتَـحُ إلّا لِرَضَـاعٍ فَمَـا

(١) الحلية المغربية أ ٢ : ١٣ و ب ٢ : ١٦

(٢) القلائد (١٢) والظاهر أن هـذا الشعر قاله المعتمد لأول عهده بالقيد إذ يقول الفتح « ... فنزل من القصر بالقسر إلى قبة الأمر فقيد لحين وحان له يوم شر ما ظن أنه يحين . ولما قيدت قدماه قال « إليك فلو كانت ... الأبيات »

(٣) انظر ما سبق فى صفحة ٤٨

(٤) هذا النص من نسختى الذخيرة (أ ٢ : ٦٠-٦٢ ، ب ٢ : ٢٤) وابن خلكان (٢ : ٤٨) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٩) ونفح الطيب بولاق (١١٠٤) .

وأرسل إليه الدّانى حين كان بأغمات قصيدة مطلعها[1] :

وداعٌ ، وَلكنّى أقولُ سلامُ ... وللنّفس فى ذكر الوداع حِمامُ

فأجابه المعتمد بقوله :

كلامُكَ حرٌّ والكلامُ غُلامُ ... وسحرٌ ولكن ليس فيه حَرامُ

ودرٌّ ولكن بين جنبيك بحرُه ... وزهرٌ ولكنّ الفؤادَ كِمامُ

وبعد فإن ودّعتنى بخداعة ... فحقّ أن يجنى عليه سلامُ[2]

أعنى على نفسى بتزويد أسهلى ... بلى وقول لا شى على حرام

فدونكه إذ لم أجد لِىَ حيلةً ... وقلبىَ فاعلم فى الطعام طعامُ

فهنئته زادًا وفى الصدر وقدةٌ ... ولَلصّبر من دون الفؤاد غَرامُ[3]

لقد كان فَألٌ من سمائك مؤنِسٌ ... فقد عاد ضِداً والعزاء رِمامُ

تَحلّيتَ بالدّانى ، وأنتَ مُباعِدٌ ... فيا طيبَ بَدْءٍ لو تَلاه تَمامُ

ويا عَجَبًا حتّى السِّماتُ تَخوننى ... وحتى انتباهى للصّديق مَنامُ

أضاءَ لنا أغماتَ قربُك بُرهةً ... وعادَ بها حين ارتحلتَ ظَلامُ

تسيرُ إلى أرضٍ بها كُنتَ مُضغَةً ... وفيها اكتست باللّحم منك عظَامُ

(١) النص من الذخيرة ا ٢ : ١٧ ، ب ٢ : ٢١ .

(٢) كذا ورد بالأصل هذا البيت والبيت بعده .

(٣) فى الأصل مرام ولعل ما أثبتنا أولى . والغرام : الهلاك والعذاب .

وأبقى أُسَامُ الذّلّ فى أرض غُربة ... وما كنت لولا الغَدْرُ ذاك أُسامُ

فَبلّغتَهَا فى ظلّ أمنٍ وغبطةٍ ... وسُنّي[1] لى مما يَعوقُ سَلاَمُ

وقال[2] :

أبى الدهرُ أن يقْنى الحياءَ ويندمَا ... وأن يمحوَ الذّنبَ الّذى كان قدّمَا

وأن يتلقّى وجهَ عتبىَ وجههُ ... بعُذرٍ يُغَشّى صفحتيه التّذمُّمَا

ستَعلمُ بَعدى من تكونُ سيوفُه ... إلى كلّ صَعبٍ من مَراقيك سُلّمَا

سترجعُ إن حاولتَ دُونىَ فَتكةً ... بأنْجلَ من خدّ المُبارزِ أجْمَا[3]

قافية النّون

ولما خُلع وسجن بأغمات قالت له زوجه اعتماد الرُّميكية : يا سيدى لقد هُنّا هنا ، فقال[4] :

قالت : لقد هُنّا هُنَا ... مَولاى ، أينَ جاهُنَا

قلتُ لها : إلى هُنَا ... صيّرنا إلهُنَا

وقال[5] :

اقنعْ بحظّك فى دُنيَاك ما كانَا ... وعَزّ نَفْسَكَ إن فارقْتَ أوطَانَا

فى الله من كلّ مَفقودٍ مضَى عِوضٌ ... فأشْعِرِ القلبَ سُلوانا وإيمانَا

(١) سناه : سهله . والمراد بالسلام هنا السلامة .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) فى الأصل (المبارز واجما) تحريف .

(٤) هذا النص من نفح الطيب (بولاق ٤ : ١١٠) .

(٥) هذا النص من المرجع السابق (ص ١٠٥٠) .

أكُلّما سنحت ذكرى طَربتَ لها ... مجّت دُموعَك فى خدّيك طُوفاناً
أما سمعتَ بسلطانٍ شَبيهك قد ... بزّتْهُ سُودُ خُطوبِ الدهر سُلطاناً
وَطّن على الكُره ، وارقُب إثرَهُ فرجاً ... واستغنم الله تغنَمْ منه غُفراناً

وقال[1] :

غَنّتْكَ أغمـاتيّةُ الألحانِ ... ثَقُلَت على الأرواحِ والأبدان
قد كان كالثُّعبان رمحُك فى الوغى ... فَغَدا عليكَ القيدُ كالثُّعبان
مُتَمدّداً بِحِذاك كلَّ تمدُّدٍ ... متعطّفاً لا رحمةً للعاني
قلبى إلى الرّحمن يشكو بثّه ... ما خاب من يشكو إلى الرّحمنِ
يا سائلاً عن شأنه ومكانه ... ما كان أغنى شأنَه عن شَانِي
هاتيكَ قَينتُه وذلك قَصرُه ... من بعد أيِّ مَقاصرٍ وقِيانِ
من بعد كلِّ غريرةٍ رُوميّةٍ ... تحكى الحمائمَ فى ذُرَا الأغصانِ

وقال[2] :

سَلّت علىّ يدُ الخطوب سُيوفَها ... فجذذن من جلدى الخصيفَ الأمتنا
ضَربتْ بها[3] أيدى الخطوب وإنما ... ضَربت رِقابَ الآملين بها المُنَى
يا آملِى العاداتِ من نَفَحاتِنا ... كُفُّوا ، فانّ الدّهرَ كفَّ أكُفَّنا

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان (٢٦) والذخيرة (٢ ١ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤) ونفح الطيب أوروبا (٢ : ٥٧٤) وبولاق (١ : ١١٠٥) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) الضمير يعود إلى السيوف ..

ابن زيدون

مَرَّى يُنَافِحُهُ نَيْلُوفَرٌ عَبِقٌ وَسْنَانُ، نَبَّهَ مِنْهُ الصُّبْحُ أَحْدَاقَا[1]
كُلٌّ يَهِيجُ لَنَا ذِكْرَى تُشَوِّقُنَا إِلَيْكِ، لَمْ يَعْدُ عَنْهَا الصَّدْرُ أَنْ ضَاقَا[2]
لاَ سَكَّنَ اللهُ قَلْبًا، عَنَّ ذِكْرُكُمُ فَلَمْ يَطِرْ بِجَنَاحِ الشَّوْقِ خَفَّاقَا[3]
لَوْ شَاءَ حَمْلِي نَسِيمُ الصُّبْحِ - حِينَ سَرَى - وَافَاكُمُ بِفَتًى أَضْنَاهُ مَا لاَقَى[4]
يَوْمٌ، كَأَيَّامِ لَذَّاتٍ لَنَا انْصَرَمَتْ، بِتْنَا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَّاقَا
لَوْ كَانَ وَفَّى الْمُنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمُ - لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الأَيَّامِ أَخْلاَقَا

* * *

يَا عِلْقِيَ الأَخْطَرَ الأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى نَفْسِي، إِذَا مَا اقْتَنَى الأَحْبَابُ أَعْلاَقَا[5]
كَانَ التَّجَازِي بِمَحْضِ الْوُدِّ - مُذْ زَمَنٍ -
مَيْدَانَ أُنْسٍ جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلاَقَا[6]
فَالآنَ - أَحْمَدَ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمُ - سَلَوْتُمُ، وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَّاقَا!

---

(١) النيلوفر: زهر كبير ينبت في المياه الراكدة تنطبق أوراقه في الليل وتتفتح في النهار.

(٢) المعنى: أن مجالي الطبيعة تهيج فينا الذكريات الماضية فتتوافد وتحتشد حتى يضيق الصدر عن استيعابها.

(٣) في الذخيرة (عنّ ذِكْرُكُم..) بمعنى جحد ذكراكم؛ عنّ: عرض؛ وفي تمام المتون (ولم يطر...).

(٤) في تمام المتون (حين هفا...).

(٥) العلق: الغالي النفيس، الأخطر: الرفيع، الأسنى: الأضوأ.

(٦) في النفح (من زمن...).

(٣) حنين الذكريات

« طوى الشاعر شطرا من حياته ، مشرداً عن وطنه ، نائياً عن أهله ، مفارقاً أحبابه ، فامتزج فى فنه الحنين بالشجن ؛ والتقى الألم بالأمل ، وتزاحمت فى نفسه الذكريات ، مرددة هذه الأنات » .

آمال وآلام

« فر الشاعر من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية ، ولكن قلبه جذبه إلى حبيبته بقرطبة ، فأرسل إليها هذه القصيدة الخالدة التى نالت شهرة عظيمة ، وثارت حولها الأساطير حتى قيل: «ماحفظها أحد إلاّ مات غريبا » ولهج كثيرون بأنّ إنسانا لايتم له الظرف ما لم يحفظها ،

وقد شغف بمعارضتها وتخميسها وتسديسها كثيرون ، ولكنها ظلت سامقة فى مكانها الرفيع[١] » .

١ أَضْحَى التَّنَائِى بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا[٢]

(١) وردت القصيدة فى عدة مصادر قديمة ، وفيها اختلاف فى ترتيب بعض الأبيات وفى بعض العبارات ، كما أن هناك خلافا فى مبدئها ، فيقول ابن نباته : « . . . وله القصيدة النونية التى أولها : [بنتم وبنا . . . . البيت] وقد تداولتها الألسن وزيد فيها ما كانت فى غنى عنه » فكأن الأحد عشر بيتاً الأولى ليست من القصيدة ، ولكن الصفدى يقول « . . . ومن ذلك قصيدته النونية التى أولها : [أضحى التنائى بديلا . . البيت] .

ولكل من الرأيين ما يزكيه ، ونحن نرجح أن الشاعر صاغ قصيدته ، ثم أعاد النظر فيها كعادته ، فزاد فيها وحرص على جعل أولها مصرعا .

(٢) فى نسخة ا ، ب (وبان) وفى ت، ز (وآن) وكذلك القلائد ، وقد أخذنا برواية نفح الطيب . والمعنى أن الفراق حلّ محلّ الوصال ، وأن الجفوة نابت من طيب اللقاء .

٢ أَلاَّ ـ وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ ـ صَبَّحَنَا حَيْنٌ ، فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ دَاعِينَا(١)
٣ مَنْ مُبْلِغُ الْمُلْبِسِينَا بِانْتِزَاحِهِمُ حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لاَ يَبْلَى ، وَيُبْلِينَا :
٤ أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِى مَا زَالَ يُضْحِكُنَا أُنْسًا بِقُرْبِهِمُ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا ؟(٢)
٥ غِيظَ الْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى ؛ فَدَعَوْا بِأَنْ نَغَصَّ ، فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا
٦ فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَانْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولاً بِأَيْدِينَا(٣)
٧ وَقَدْ نَكُونُ ، وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا فَالْيَوْمَ نَحْنُ ، وَمَا يُرْجَى تَلاَقِينَا(٤)

* * *

٨ يَالَيْتَ شِعْرِى ـ وَلَمْ نُعْتِبْ أَعَادِيَكُمْ ـ هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَى أَعَادِينَا(٥) ؟
٩ لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلاَّ الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيًا ، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
١٠ مَا حَقُّنَا أَنْ تُقِرُّوا عَيْنَ ذِى حَسَدٍ بِنَا ، وَلاَ أَنْ تَسُرُّوا كَاشِحًا فِينَا(٦)

* * *

١١ كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسْلِينَا عَوَارِضُهُ وَقَدْ يَئِسْنَا ، فَمَا لِلْيَأْسِ يُغْرِينَا(٧) ؟
١٢ بِنْتُمْ وَبِنَّا ، فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ ، وَلاَ جَفَّتْ مَآقِينَا(٨)

(١) فى النفح (ناعينا) — الاّ : هلاّ ، الحين : الهلاك ، والمعنى : أنه كان يتمنى أن يلاقى مصرعه قبل أن يحم الفراق .

(٢) رواية المغرب (أن الزمان الذى كنا نُسَرُّ به) ، ورواية القلائد (بقربكمو) .

(٣) انبت : انقطع ، والمعنى تفرق شملنا وانقطعت صلاتنا .

(٤) رواية المغرب (من قبل كنا . . . فالآن . . .) : ورواية النفح (بالأمس كنا . . . واليوم . . .) .

(٥) أعتب : أرضى وسَرَّ بعد الإساءة ، والاسم منه العتبى .

(٦) الكاشح : المضمر للعداوة .

(٧) عوارضه : ظواهره أو بوادره ؛ والمعنى : أنه كان ينتظر راحة فى اليأس ، ولكن يأسه زاده شوقا على شوق وحنينا إلى حنين .

(٨) بنتم وبنا : بعدتم وبعدنا .

١٢ تَكادُ – حِينَ تُناجِيكُمْ ضَمائِرُنا – يَقْضِي عَلَيْنا الأَسى ، لَوْلا تَأَسِّينا[1]
١٤ حالَتْ لِفَقْدِكُمُ أَيّامُنا ، فَغَدَتْ سُوداً ، وَكانَتْ بِكُمْ بِيضاً لَيالِينا[2]
١٧ إِذْ جانِبُ العَيْشِ طَلْقٌ مِنْ تَأَلُّفِنا وَمَرْبَعُ اللَّهْوِ صافٍ مِنْ تَصافِينا[3]
١٦ وَإِذْ هَصَرْنا فُنُونَ الوَصْلِ دانِيَةً قِطافُها ، فَجَنَيْنا مِنْهُ ما شِينا[4]

* * *

لِيُسْقَ عَهْدُكُمُ عَهْدُ السُّرُورِ ، فَما كُنْتُمْ لِأَرْواحِنا إِلاَّ رَياحِينا[5]
لا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنّا يُغَيِّرُنا إِنْ طالَما غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينا[6]
وَاللهِ ما طَلَبَتْ أَهْواؤُنا بَدَلاً مِنْكُمْ ، وَلا انْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمانِينا[7]

---

(١) المعنى : إذا ناجتكم قلوبنا — على البعاد — عصفت بنا الأحزان وكادت تقضي علينا لولا تعللنا بالآمال . وفى جذوة المقتبس وبغية الملتمس (حين تناجينا).

(٢) فى جذوة المقتبس وبغية الملتمس (حارت) .

(٣) رواية الذخيرة والخريدة والمغرب وجذوة المقتبس وبغية الملتمس والمعجب والنفح « ومورد اللهو . . » .

(٤) رواية الذخيرة (غصون الوصل) ، ورواية جذوة المقتبس وبغية الملتمس (فنون اللهو) ، ورواية المعجب والقلائد والخريدة (غصون الأنس) ، وفى الذخيرة والقلائد والنفح والمعجب (دانية قطوفها) ، ما شينا : ما شئنا .

(٥) رواية الذخيرة (كنتم لأيامنا . .) .

(٦) فى إحدى نسخ الذخيرة (إذ طالما) وفى المغرب (أنْ طالما) .

(٧) آثرنا فى رواية البيت ما أثبتته الذخيرة والقلائد والمغرب والمعجب ونفح الطيب ، أما فى نسخة ا (والله ما أطرفت . . . عنكم) ، وفى نسخ ب ، ت ، ز (والله ما طرفت . . . عنكم) ، وطرف وأطرف بمعنى استحدث .

وَلاَ اسْتَفَدْنَا خَلِيلاً عَنْكِ يَشْغَلُنَا ، وَلاَ اتَّخَذْنَا بَدِيلاً مِنْكِ يُسْلِينَا(١)

* * *

يَاسَارِيَ الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرَ وَاسْقِ بِهِ ، مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدِّ يَسْقِينَا(٢)

وَاسْأَلْ هُنَالِكَ : هَلْ عَنَّى تَذَكُّرُنَا ، إِلْفًا ، تَذَكُّرُهُ أَمْسَى يُعَنِّينَا ؟(٣)

وَيَانَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا ، مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا(٤)

فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعَفَةً ، فِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غِبًّا تَقَاضِينَا ؟(٥)

* * *

رَبِيبُ مُلْكٍ كَأَنَّ اللهَ أَنْشَأَهُ ، مِسْكاً ، وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِيناَ(٦)

أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا مَحْضاً ، وَتَوَّجَهُ ، مِنْ نَاصِعِ التِّبْرِ إِبْدَاعًا وَتَحْسِيناَ(٧)

---

(١) لم يرد هذا البيت فى نسخ الديوان، وقد أثبتناه عن القلائد والخريدة .

(٢) فى الذخيرة والقلائد والمغرب والخريدة (فاسق به) .

(٣) عَنَّى : آلم وأتعب .

(٤) فى نسخ الديوان (على القرب) وقد آثرنا رواية الذخيرة والقلائد والخريدة والمغرب والمعجب ونفح الطيب لأنها أنسب المعنى ، فقد كان الشاعر بعيداً عن حبيبته يتمنى منها تحية على البعد ، ويأمل أن يظفر منها بخطاب كما فى ختام القصيدة .

(٥) المعنى : طالما تقاضينا الوصال ، فهل يسمح الدهر به بعد طول المطال ؟ وفى النفح (من لا يرى الدهر . . . وإن لم يكن عنا يقاضينا) .

(٦) المعنى : سليل بيت ملكى كأن الله خلق الورى من الطين وخلقه وحده من المسك ، ورواية النفح (من بيت ملك . . . وقد أنشأ الله الورى طيناً) .

(٧) الورق : الدراهم الفضية ؛ والمعنى : أنه أبيض الوجه ذهبىّ الشعر .

إذا تأوّدَ آدتْهُ رفاهيةً تُومُ العقودِ، وأدمَتْهُ البُرَى لينا[1]
كانتْ لهُ الشمسُ ظِئرًا في أكِلّتِهِ بل ما تجلّى لها إلاّ أحايينا[2]
كأنّما أُثبِتَتْ في صحنِ وجنتِهِ زُهرُ الكواكبِ تعويذاً وتزيينا[3]
ما ضَرَّ أنْ لمْ نكنْ أكفاءهُ شرَفاً وفي المودّةِ كافٍ مِنْ تكافينا

* * *

يا روضةً طالما أجنَتْ لواحظَنا وَرْدًا جلاهُ الصِّبا غضًّا ونسرينا[4]
ويا حياةً تملّينا بزهرتِها مُنًى ضُروبًا ولذّاتٍ أفانينا[5]
ويا نعيماً خطَرْنا مِنْ غضارتِهِ في وشْيِ نُعمى سحَبْنا ذَيلهُ حِينا[6]
لسْنا نُسمّيكِ إجلالاً وتكرِمَةً وقدرُكِ المعتلي عنْ ذاكِ يُغنينا

---

(١) تأوّد : تمايل ؛ آدته : أثقلته ؛ تؤم العقود : عقود مزدوجة من اللؤلؤ ؛ البُرَى : الخلاخيل ، جمع بُرة ؛ والمعنى : إذا تمايل لم يطق حمل الحلى الكثيرة لرقته ولينه .

(٢) الظئر : الحاضنة ؛ أكلّة : جمع كلّة ، وهى نسيج رقيق للوقاية من البعوض ، وفى رواية النفح (تكلله) .

(٣) المعنى : كأنما أشرقت النجوم فى محيّاه لتقيه الحسد ، وتردّ عنه العيون .

(٤) النسرين بكسر النون : زهر طيب الرائحة ، وفى المغرب والوافى بالوفيات (جناه الصبا) .

(٥) تملّينا : تمتعنا ، وفى المعجب (تملأنا) ، ضروبا : صنوفا ، والمعنى جنينا من نعيم الحياة شتى المتع واللذات .

(٦) الغضارة : السعة والخصب والنعمة ، وفى القلائد والمغرب (سحبنا ذيلها) .

إِذَا انْفَرَدْتِ وَمَا شُورِكْتِ فِى صِفَةٍ . فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِيضَاحاً وَتَبْيِينَا[1]

* * *

يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أُبْدِلْنَا بِسِدْرَتِهَا . وَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ زَقُّوماً وَغِسْلِينَا[2]

[إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِى الدُّنْيَا اللِّقَاءُ فَفِى . مَوَاقِفِ الْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ، وَيَكْفِينَا[3]]

كَأَنَّنَا لَمْ نَبِتْ، وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا . وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفَانِ وَاشِينَا

سِرَّانِ فِى خَاطِرِ الظَّلْمَاءِ يَكْتُمُنَا . حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا

لَا غَرْوَ فِى أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ . عَنْهُ النُّهَى، وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا

إِنَّا قَرَأْنَا الْأَسَى يَوْمَ النَّوَى سُوَرًا . مَكْتُوبَةً، وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا[4]

---

(١) معنى البيتين: إننا نصون اسمك عن التصريح به إكباراً لك وإجلالا، فإن انفرادك بالجمال والجلال لا يحوجنا إلا إلى أدنى إشارة، وقد أخذ هذا المعنى البهاء زهير فقال:

أشر لى بوصف واحد من صفاتها . تكن مثل من سمى وكنى وألغزا

ستكفيك من ذاك المسمّى إشارة . ودعه مصوناً بالجمال محجّبا

(٢) السدر: شجر النبق؛ والزقوم شجرة خبيثة ذات ثمر مر؛ وقد ورد فى التنزيل أنها (شجرة تخرج فى أصل الجحيم، طلعها كأنه رءوس الشياطين) أما طعامها فهو (طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم):

وفى الذخيرة والقلائد والخريدة والمغرب والمعجب والنفح والوافى بالوفيات (بسلسلها) وقد آثرنا رواية الديوان لأن السدر يقابل الزقوم.

(٣) لم يرد البيت فى الديوان، وقد أثبتناه عن القلائد، وإن كان موضعه فى القلائد بعد البيت: (كأننا لم نبت . . .) وقد أثبتناه هنا لمناسبته للمقام.

(٤) فى الوافى بالوفيات والكوكب الثاقب (واتخذنا).

أمّا هَوَاكِ فَلَمْ نَعْــدِلْ بِمَنْهَلِهِ   شِرْباً، وَإنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِينَا(١)

لَمْ نَجفُ أُفْقَ جَمَالٍ أنتِ كَوْكَبُهُ   سَالِينَ عَنْهُ، وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا(٢)

وَلاَ اخْتِيَاراً تَجَنَّبْنَاهُ عَنْ كَثَبٍ   لَـكِنْ عَدَتْنَا عَلَى كُرْهٍ عَوَادِينَا(٣)

* * *

نَأْسَى عَلَيْكِ إذَا حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً   فِينَا الشَّــمُولُ، وَغَنَّانَا مُغَنِّينَا(٤)

لاَ أَكْؤُسُ الرَّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا   سِيمَا ارْتِيَاحٍ، وَلاَ الأَوْتَارُ تُلْهِينَا

دُومِي عَلَى الْعَهْدِ ـ مَا دُمْنَا ـ مُحَافِظَةً   فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إنْصَافاً، كَمَا دِينَا

فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلاً مِنْكِ يَحْبِسُنَا   وَلاَ اسْتَفَدْنَا حَبِيباً عَنْكِ يَثْنِينَا(٥)

وَلَوْ صَبَا نَحْوَنَا مِنْ عُلْوِ مَطْلَعِهِ   بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكِ يُصْبِينَا(٦)

---

(١) في النفح (بمشربه) والمعنى : أننا نفضل منهلكم على أيّ منهل آخر، وإن كان يزيدنا عطشاً كلما ازددنا منه شرباً .

(٢) في نسخة ب ، ت والقلائد (لم يخف) وهو تحريف ؛ قالين : كارهين .

(٣) كثب : قرب ؛ وفي القلائد والخريدة (تجنبناك) ، والمعنى : أنه اضطر إلى فراقها مرغماً ، على قرب دارها منه .

(٤) مشعشعة : ممزوجة ؛ الشمول : الخمر ؛ وفي الذخيرة والوافي بالوفيات (وقد حثت) وفي الكوكب الثاقب (إذا صُبّت) .

(٥) في ب ، ت ، ز (فما استعضنا) وهو تصحيف ، وفي الذخيرة (فما استعدنا خليلا عنك .. يسلينا) ، وفي القلائد :

(فما ابتغينا خليلا منك يحبسنا   ولا استفدنا حبيباً عنك يغنينا)

وفي الخريدة (.. ولا استفدنا حبيا عنك يغنينا) وفي النفح (فما استعضنا خليلا عنك ...) وفي بعض نسخ النفح (... حبيبا عنك يغنينا) . وفي الوافي بالوفيات

(٦) صبا : مال ، يصبينا : يثير صبوتنا ويبتعث أشواقنا .

فما استعضنا خليلا عنك يصرفنا   ولا استفدنا حبيباً عنك يسلينا

ومثل هذا رواية الكوكب الثاقب ماعدا (ولا استفدنا) فقد جعلها ولا اتخذنا.

أَوْلِي وَفَاءٍ ـ وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً ـ فَالطَّيْفُ يُقْنِعُنَا، وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا[(١)]
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتِ بِهِ بِيضَ الْأَيَادِي الَّتِي مَا زِلْتِ تُولِينَا[(٢)]
عَلَيْكِ مِنَّا سَلَامُ اللهِ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكِ نُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا[(٣)]

الأمل المنشود[(٤)]

يَا نَازِحًا، وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ أَنْسَتْكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ[(٥)]
أَلْهَتْكَ عَنْهُ فُكَاهَاتٌ تَلَذُّ بِهَا فَلَيْسَ يَجْرِي بِبَالٍ مِنْكَ ذِكْرَاهُ
عَلَّ اللَّيَالِي تُبَقِّينِي إِلَى أَمَلٍ الدَّهْرُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ[(٦)]

مقصوص الجناح

إِلَيْكِ ـ مِنَ الْأَنَامِ ـ غَدَا ارْتِيَاحِي، وَأَنْتِ ـ عَلَى الزَّمَانِ ـ مَدَى اقْتِرَاحِي[(٧)]
وَمَا اعْتَرَضَتْ هُمُومُ النَّفْسِ إِلَّا ـ وَمِنْ ذِكْرَاكِ ـ رَيْحَانِي وَرَاحِي

(١) فى أصول الديوان (أبلى) ، وفى إحدى نسخ الذخيرة والوافى (أبدى) وقد آثرنا رواية القلائد والمغرب . وفى الوافى (فالذكر يقنعنا، والطيف يكفينا).
(٢) فى القلائد والكوكب (فناء) ، وفيهما وفى النفح والخريدة (لو شفعت).
(٣) فى الذخيرة والقلائد والخريدة والنفح والكوكب (عليك منى . . .) ، وفى القلائد والكوكب (صبابة منك) .
(٤) لم ترد الأبيات بالديوان . وقد نقلناها عن الذخيرة والقلائد والمغرب .
(٥) فى الذخيرة (أنت مولاه) .
(٦) فى الذخيرة (إلى أجل) ، وفى المغرب (إلى أمد) ، وفيه (الله يعلم) .
(٧) فى النفح (من الزمان) .

فَدَيْتُكِ : إنَّ صَبْرِى عَنْكِ صَبْرِى ـ لَدَى عَطَشِى ـ عَلَى المَاءِ الْقَرَاحِ

وَلِى أَمَلٌ ـ لَوِ الْوَاشُونَ كَفُّوا ـ لأَطْلَعَ غَرْسُهُ ثَمَرَ النَّجَاحِ

وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِى عَدُوٌّ رِضَاكِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْضَى سِلاَحِى[1]

وَلَمَّا أَنْ جَلَتْكِ لِىَ ـ اخْتِلاَسًا أَكُفُّ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَاحِ

رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابٍ ، وَغُصْنَ الْبَانِ يَرْفُلُ فِى وِشَاحِ[2]

فَلَوْ أَسْطِيعُ طِرْتُ إِلَيْكِ شَوْقًا وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ ؟

[فُؤَادِى ـ مِنْ أَسًى بِكِ ـ غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِى ـ عَنْ هَوًى لَكِ ـ غَيْرُ صَاحِ[3]]

عَلَى حَالَىْ وِصَالٍ وَاجْتِنَابٍ ، وَفِى يَوْمَىْ دُنُوٍّ وَانْتِزَاحِ

وَحَسْبِى أَنْ تُطَالِعَكِ الأَمَانِى بِأُفْقِكِ ـ فِى مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ ـ

وَأَنْ تُهْدِى السَّلاَمَ إِلَىَّ ـ غِبًّا ـ وَلَوْ فِى بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيَاحِ[4]

---

(١٤) راحة وعذاب

مَتَى أَبُثُّكَ مَا بِى ؟ يَا رَاحَتِى وَعَذَابِى[5]

مَتَى يَنُوبُ لِسَانِى ـ فِى شَرْحِهِ ـ عَنْ كِتَابِى ؟

---

(١) هكذا فى الأصول والنفح ؛ ولعله (رضاكِ عليه أمضى من سلاحى) ، وقد يكون (من أمضى سلاح) ، والمعنى المقصود : إننى أعجب كيف يغلبنى عدو ولكن رضاكِ عنه أعطاه سلاحا ماضيا . (٢) فى النفح (فى نقاب) .

(٣) ورد هذا البيت فى الديوان والنفح قبل البيت الأخير من القصيدة ، ولعل موضعه هنا أنسب ، ورواية النفح (من هوى) .

(٤) هذه رواية النفح ، وقد آثرنا إثباتها لأنها أنسب للمعنى ، وفى الديوان (وأن تبدى) ، وفى النفح (إلىَّ شوقا) .

(٥) رواية النفح (متى أُنَبِّيكِ) .

ابن خفاجة

مقيم وذاهب

بعَيشِكَ هل تَدري، أهُوجُ الجَنائبِ ، تَخُبُّ برَحلي، أم ظُهورُ النَّجائبِ ؟[١]
فما لُحتُ في أُولى المشارِقِ كوكباً ، فأشرَقتُ ، حتى جئتُ أُخرى المغاربِ
وحيداً تَهاداني الفَيافي ، فأجتلي وجوهَ المَنايا ، في قِناعِ الغَياهِبِ[٢]
ولا جارَ إلاّ من حُسامٍ مُصمِّمٍ ؛ ولا دارَ إلاّ في قُتودِ الرَّكائبِ[٣]
ولا أُنسَ إلاّ أن أُضاحِكَ ، ساعةً ، ثغورَ الأماني في وجوهِ المطالبِ
وليلٍ ، إذا ما قلتُ قد بادَ ، فانقضى ، تَكَشَّفَ عن وعدٍ من الظنِّ كاذبِ
سحَبتُ الدَّياجي فيهِ سودَ ذوائبٍ ، لأعتنِقَ الآمالَ بيضَ ترائبِ
فمزَّقتُ جَيبَ الليلِ عن شخصِ أطلسٍ ، تَطلَّعَ وَضّاحَ المَضاحِكِ قاطِبِ[٤]
رأيتُ به قِطعاً من الفجرِ أغبَشاً ، تأمَّلَ عن نجمٍ ، تَوقَّدَ ، ثاقِبِ

---

١ هوج الجنائب : رياح الجنوب الهوجاء . النجائب ، واحدتها نجيبة : الناقة الكريمة .

٢ تهاداني الفيافي : تهديني واحدة الى اخرى . اجتلي : انظر . الغياهب : الظلمات ، واحدها غيهب .

٣ المصمم : الماضي . قتود : اخشاب الرحال .

٤ الاطلس : الذئب الامعط . وضاح : ابيض . المضاحك ، واحدها مضحك : الثغر قاطب : عابس .

وأرعنَ طمّاحِ الذؤابة ، باذخٍ ، يطاولُ أعنانَ السماء بغاربِ[1]

يسدّ مهبَّ الريحِ عن كلّ وجهةٍ ، ويزحمُ ، ليلاً ، شهبَهُ بالمناكبِ

وقورٍ ، على ظهرِ الفلاةِ ، كأنه ، طوالَ الليالي ، مفكّرٌ في العواقبِ

يلوثُ عليه الغيمُ سودَ عمائمٍ ، لها ، من وميضِ البرقِ ، حمرُ ذوائبِ[2]

أصختُ إليه ، وهو أخرسُ صامتٌ ، فحدّثني ليلُ السُّرى بالعجائبِ

وقالَ : ألا كم كنتُ ملجأ قاتلٍ ، وموطنَ أوّاهٍ ، تبتّلَ ، تائبِ[3]

وكم مرّ بي من مُدلجٍ ومؤوّبٍ ، وقالَ بظلّي من مطيٍّ وراكبِ[4]

ولاطمَ ، من نكبِ الرياحِ ، معاطفي ، وزاحمَ ، من خضرِ البحارِ ، غواربي

فما كانَ إلاّ أنْ طوتهم يدُ الردى ، وطارتْ بهم ريحُ النوى والنوائبِ

فما خفقُ أيكي غيرَ رجفةِ أضلعٍ ، ولا نوحُ وُرقي غيرَ صرخةِ نادبِ

وما غيّضَ السلوانُ دمعي ، وإنّما نزفتُ دموعي في فراقِ الصواحبِ

فحتّى متى أبقى ، ويظعنُ صاحبٌ ، أودّعُ منه راحلاً غيرَ آيبِ ؟

وحتّى متى أرعى الكواكبَ ساهراً ، فمن طالعٍ ، أخرى الليالي ، وغاربِ ؟

---

١ الارعن : الجبل الطويل . الغارب : الظهر .

٢ يلوث : يعصب .

٣ تبتل : تنسك .

٤ المدلج : السائر في الليل . المؤوب : الراجع . قال : نام القيلولة .

فرُحماكَ يا مَولايَ ، دِعوةَ ضارعٍ ، يَعُدُّ الى نُعماكَ راحةَ راغبِ
فأسمَعني ، من وَعظِهِ ، كلَّ عِبرةٍ ، يترجِمُها عنه لسانُ التجارب
فسَلّى بما أبكى ، وسرّى بما شَجا ، وكان ، على عَهدِ السُّرى ، خيرَ صاحبِ[1]
وقلتُ ، وقد نكّبتُ عنه لِطيّةٍ : سَلامٌ ، فإنّا مِن مُقيمٍ وذاهبِ[2]

صمت الاجداث

ألا صُمّتِ الأجداثُ عنّي فلم تُجِب ، ولم يُغنِني أنّي رَفَعتُ لها صوتي
فيا عجباً لي ! كيفَ آنَسُ بالمُنى ، وغايةُ ما أدرَكتُ منها الى الفَوتِ ؟
وهل من سرورٍ ، أو أمانٍ لعاقلٍ ، ومَقضى عُبورِ العابرين الى المَوتِ ؟[3]

---

١ سرى : ابعد الهموم .
٢ الطية : السفر .
٣ مقضى : غاية .

رحماك !

ألا قَصرُ كلّ بَقاءٍ ذهابٌ، وعُمرانُ كلّ حياةٍ خَرابٌ[1]
وكلّ يُدانُ بما كانَ دانَ، فثمّ الجزاءُ، وثمّ الحِسابٌ
فلا تُجرِ كفّك، من مُهرَقٍ، بما لا يَسرُّ، هناك، الكِتابٌ[2]
فإنّك يوماً مُجازى به، وإنْ يَبدأ كَتْبَته تُرابٌ
ولا خِطّةٌ غيرَ إحدى اثنتَينِ: إمّا نعيمٌ، وإمّا عَذابٌ
فرُحماك! يا مَن عليه الحِسابُ، وزُلفاك! يا من إليه المآبٌ[3]

١ القصر : الغاية .
٢ المهرق : القرطاس .
٣ زلفاك : قربة اليك .

١٢

شراب الاماني سراب

قال يرثي الوزير أبا ربيعة :

شَرابُ الأماني ، لو عَلِمتَ ، سَرابُ ، وعُتبَى اللّيالي ، لو فَهِمتَ ، عِتابُ[1]
إذا ارتَجَعَتْ أيدي اللّيالي هِباتِها ، فَغايَةُ هاتِيكَ الهِباتِ ذَهابُ
وهلْ مُهجَةُ الإنسانِ إلاّ طَريدَةٌ ، تَحُومُ عَليها ، لِلحِمامِ ، عُقابُ
يَخُبُّ بِها ، في كلّ يَومٍ ولَيلَةٍ ، مَطايا الى دارِ البِلى ، ورِكابُ
وكَيفَ يَغيضُ الدَّمعُ أو يَبرُدُ الحَشا ، وقد بادَ أقرانٌ ، وفاتَ شَبابُ
فما نابَ ، عن خِلّ الصِّبا ، خِلُّ شَيبَةٍ ، ولا عاضَ ، مِن شَرخِ الشَّبابِ ، خِضابُ
ألا ظَعَنا ، من صاحِبٍ وشَبيبَةٍ ، فهَل لَهُما من ظاعِنَينِ إيابُ ؟
دَعا بِهِما صَرفُ اللّيالي إلى البِلى ، فكلُّ الذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ
فها أنا أبكي كلَّ مَعهَدِ راحَةٍ ، تَضاحَكَ أحبابٌ بِهِ وصِحابُ
أُقلِّبُ طَرفي لا أرى غَيرَ لَيلَةٍ ، وقد حُطَّ عن وَجهِ الصَّباحِ نِقابُ
كأنّي ، وقد طارَ الصَّباحُ ، حَمامَةٌ ، يَمُدُّ جَناحَيهِ عَليَّ غُرابُ

[1] العتبى : الرضا .

على حينٍ، لا غيرَ اعتباري خطابةٌ، فتُوعى، ولا غيرَ العَويلِ جوابُ
وقد جاش بحرٌ، بينَ جنبيَّ، مائجٌ، له زَخرةٌ، في وَجنتيَّ، وعُبابُ
فيا لهُمُ من رَكبِ صحبٍ تتابعُوا، فُرادى، وهُمْ مُلدُ الغُصونِ شَبابُ
دعا بهِمُ داعي الرَّدى، فكأنَّما تَبارَتْ بهِم خَيلٌ، هُنالكَ، عِرابُ
فها هُمْ، وسِلمُ الدَّهرِ حربٌ، كأنَّما جَثا بينَهُم طَعنٌ لهُم وضِرابُ
هُجُودٌ، ولا غيرَ التُّرابِ حَشيَّةٌ، لِجَنبٍ، ولا غيرَ القُبورِ قِبابُ
فحتى متى تَبري اللَّيالي سِهامَها؛ وحتّى متى أُرمى بها فأُصابُ؟
وحتّى متى ألقى الرَّزايا مُمِضَّةً، كما كَرَّعَتْ، بينَ الضُّلوعِ، حِرابُ
فإمّا كما تَعدو الضَّراغِمُ عَنوةً؛ وإمّا كما تَمشي الضَّراءَ ذِئابُ
ففي كلِّ يومٍ فتكةٌ لِمُلِمّةٍ، يُمزَّقُ جَيبٌ، تحتَها، وإهابُ[1]
وربعِ خَلاءٍ مِن خليلٍ، وإنَّما تَجافى حُسامٌ منهُما وقِرابُ
يُذكِّرُنيهِ، كلَّ حينٍ، جِوارُهُ، فيُحزِنُني رُزءٌ بهِ ومُصابُ
فَلَستُ بناسٍ صاحباً من رَبيعةٍ، إذا نَسِيَتْ رَسمَ الوَفاءِ صِحابُ
أَجَلْتُ طِباعي فيهِ، فالأُنسُ وَحشةٌ، طِوالَ اللَّيالي، والنَّعيمُ عَذابُ
وهيهاتَ لا أَغنى خليلٌ غَناءَهُ؛ وهلْ عَدَلَ العَذْبَ الفُراتَ سَرابُ؟

---

١ الاهاب : الجلد .

ومِمَّا شَجاني أن قَضى حَتْفَ أنفه ، وَما انْدَقَّ رُمحٌ ، دُونَه ، وذُباب[1]
وأنَّا تَجارَيْنا ثلاثِينَ حِقبَةً ، فَفاتَ سِباقاً ، والحِمامُ قِصاب[2]
وكَيفَ تَهاجَرْنا كُهُولاً ، وإنَّما لَوى الدَّهرُ فَرعَينا ، ونحنُ شَباب
كأنْ لم نَبِت في مَنزِلِ القَصْفِ ليلةً ، نُجِيبُ بِها داعِي الصِّبا ، ونُجاب
إذا قامَ مِنَّا قائِمٌ ، هَزَّ عِطفَه شَبابٌ ، أرَقناهُ به ، وشَرابُ
جَمَحنا بمَيدانِ الصِّبا ، ثُمَّ إنَّنا كَرَرْنا ، فَكانَت فِتنَةٌ ومَتاب
ولَمَّا تَراءَت لِلمشيبِ بُرَيقَةٌ ، وأقشَعَ من ظِلِّ الشَّبابِ سَحاب
نَهَضنا بأعباءِ اللَّيالي جَزالَةً ، وأرسَت بِنا في النائِباتِ هِضاب
فيا عَجَباً للدَّهرِ كيفَ سَطا به ، وقد كانَ يُرجى ، تارَةً ، ويُهاب
وكيف استلانَت صَولةُ الموتِ عودَه ، فلم يَنبُ عنه للمنيَّةِ ناب؟
ولا عجباً أنَّا ذَلَلْنا لحادثٍ ، تذِلُّ له الآسادُ ، وهي غِضاب
وأنَّا خَضَعنا للمقاديرِ عَنوةً ، كما خَضَعَت ، تحتَ السيوفِ ، رِقاب
ولو أنَّ غيرَ اللهِ كان أصابَه ، لجاشَت نفوسٌ ، لا تُفادُ ، صِعاب[3]

---

١ مات حتف أنفه : أي على فراشه من غير قتل ولا ضرب . الذباب من السيف : طرفه الذي يضرب به .

٢ القصاب : لعله أراد به القطع ، فيكون المعنى ان الحمام، الموت، يقطع بين الرفاق ويفرقهم.

٣ تفاد : تمات ، تهلك .

فيا ظاعناً قد حطَّ ، من ساحة البِلى ، بمنزل بَينٍ ، ليسَ عنه إياب
كفى حزناً أن لم يَرِدني ، على النوى ، رسولٌ ، ولم ينفُذْ ، إليك ، كتاب
وأنّي ، اذا يمّمتُ قبرَك زائراً ، وقفتُ ودوني ، للتراب ، حجاب
فأظلمَ قرنُ الشمس ، وهي منيرةٌ ، وضاقت بلادُ الله ، وهي رحاب
ورقرقتُ ، بينَ الحزنِ والصبر ، عبرةً ، لها جيئةٌ ، في مُقلتي ، وذهاب
ولو أنَّ حيّاً كان حاورَ ميّتاً ، اطالَ كلامٌ ، بيننا ، وخطاب
وأعربَ عمّا عنده من جليّةٍ ، فأقلعَ عن شمسٍ ، هناك ، ضباب
عليكَ سلامُ الله من صاحبٍ قضى ، فأجهشَ ربعٌ ، بعده ، وجناب[1]
تولّى حميدَ الذّكر ، لم يأتِ وصمةً ، فتبقى ، ولم تدنَسْ عليه ثياب
أغرُّ طليقُ الصفحتين ، كأنّما وراءَ تُرابِ القبر منه شهاب
ألا إنَّ جسماً يستحيلُ لتُربةٍ ، وإنَّ حياةً تنتهي ، لخراب
فلا سعيَ إلاّ أن يكونَ لآجلٍ ؛ ولا ذُخرَ إلا أن يكونَ ثواب

---

[1] أجهش : تهيأ للبكاء .

مثوى الحبيب

قال يرثي محمداً ابن اخته
وقد مات في اغمات :

أرَقتُ أُكَفكفُ الدَّمعَ، طَوراً، وأسفحُ، وأنضَحُ خدّي، تارَةً، ثُمَّ أمسَحُ
ودونَكَ طَمّاحٌ، من الماءِ، مائجٌ، يعُبُّ، ومُغبَرٌّ، منَ التُّربِ، أفيَحُ[1]
وإنّي، إذا ما اللّيلُ جاءَ بِفَحمةٍ، لأوري زِنادَ الهمِّ فيها، فأقدَحُ
وأتبِعُ طيبَ الذِّكرِ أنّةَ مُوجَعٍ، فينفَحُ هذا حيثُ هاتيكَ تَلفَحُ
وألقى بياضَ الصُّبحِ يَسوَدُّ وَحشةً، فأحسبُني أُمسي على حينَ أُصبحُ
ويُوحِشُني ناعٍ، منَ اللّيلِ، ناعِبٌ، فأزجُرُ منه بارِحاً لَيس يَبرَحُ
وأستَقبِلُ الدُّنيا بذِكرى محمّدٍ، فيَقبُحُ في عَينيَّ ما كان يَملُحُ
وأُشفِقُ مِن موتِ الصِّبا، ثُمَّ إنّني لآمُلُ أنَّ اللهَ يَعفو، ويَصفَحُ
غُلامٌ، كما استَخشَنتَ جانِبَ هَضبَةٍ، ولانَ على طَشٍّ، منَ المُزنِ، أبطَحُ[2]

---

١ دونك : أي حاجز دونك . طماح : أراد به البحر . الافيح : الواسع .
٢ الطش : المطر الضعيف .

أقولُ ، وقد وافى كتابُ نَعِيِّهِ ،   يُجَمْجِمُ في ألفاظِهِ ، فيُصرِّحُ

أرامٍ بأغماتٍ يُسدِّدُ سَهمَه ،   ويَرمي ، وقلبٌ بالجزيرةِ يُجرحُ ؟[1]

فيا لغريبٍ ، واجأته منيّةٌ ،   أتتهُ على عهدِ الشبابِ تُلحلحُ[2]

كأنّ لهيباً ، بينَ جنبيَّ ، واقداً ،   به ، ورَكايا ، بينَ جفنيَّ ، تُمتحُ[3]

جلستُ أسومُ الدهرَ فيه ملامةً ،   وكنتُ ، كما قد كنتُ ، أُثني وأمدحُ

تراني ، إذا أعولتُ حزناً ، حمامةً   ترِنُّ ، وطَوراً ، أيكةً تترنّحُ

غريقاً ببحرِ الدمعِ والهمِّ والدُّجى ،   ولو كان بحراً واحداً كنتُ أسبحُ

أُحمّلُ أنفاسَ الشَّمالِ تحيّةً ،   ينوءُ بها من ماءِ جفنيَ ، فيرزحُ

فلي نظرةٌ ، نحوَ السماءِ ، ولوعةٌ ،   تلدّدُ بي ، نحوَ الجنوبِ ، فأجنحُ[4]

فرادعتُ عنها النفسَ ، والنفسُ صبّةٌ ؛   وراوغتُ حسنَ الصبرِ ، والصبرُ أرجحُ[5]

فنمَّ ، بأسرارِ الصبابةِ ، مدمعي ؛   وكلُّ إناءٍ ، بالذي فيه ، يرشحُ

وأيأستُ قلباً ، كانَ يخفقُ ، تارةً   وتنزو به الآمالُ ، طوراً ، فيطمحُ

---

١ اغمات : بلدة في المغرب .

٢ تلحلح : لا تبرح .

٣ الركايا ، واحدتها الركية : البئر . تمتح : يستخرج ماؤها .

٤ تلدد بي أصلها تتلدد بي : تتلفت بي . اجنح : أميل .

٥ رادعت : كففت . راوغت : خادعت .

فما أتَلقّى الرَّكْبَ ، أرجُو تَحيّةً تُوافي له ، أو رُقعَــةً تَتَصفّح
ففِي ناظِري ، للسَّيلِ ، مَربَطُ أدهَمٍ ، وفي وَجنَتي ، للدَّمعِ ، أشهَبُ يَجمح
إذا كان قَصرُ الأنسِ ،بالإِلف،وحشةً فما أشتَهِي أنّي أُسَرُّ ، فأفرَح[1]
فيا عارِضاً، يَستَقبِلُ السَّيلَ واكِفاً ، ويَسري، فيَطوي الأطوَلَين، ويَمسح
تحمَّلْ الى قبرِ الغريبِ مَزادةً ، من الدَّمع، تَندى حيثُ سرتَ ، وتنضح
وأحفِ سَلامٍ ، يَعبُرُ البَحرَ دونَه ، فيَندى ، وأزهارَ البِطاحِ ، فتَنفَح[2]
وعرِّج، على مَثوى الحبيبِ ، بِنظرةٍ ، تَراه بِها عَيني ، هناكَ ، وتَلمَح

١ قصر الانس : غايته .
٢ أحفى سلام : اكرمه .

حتام اندب؟

قال يرثي الوزير
أبا محمد بن ربيعة :

رَفعَتْ عليك ، عويلَها ، الأمجادُ ،   وجَفَتْ ، كريمَ جَنابِكَ ، العُوّادُ
وتكشّفَتْ شكواكَ عن خطبٍ دهى ،   هَدّت له ، أركانَها ، الأطوادُ
سلَبَت عَنادَ الصّبرِ فيه ، صَبابةٌ ،   ما لي بها ، غيرَ الدُّموعِ ، عَتادُ
للهِ أيُّ خليلِ صِدقٍ مُخلِصٍ ،   أهوى به رُكنٌ ، ومالَ عِمادُ !
خطَمَ القَضاءُ به قَريعاً مُصعَباً ،   فانقادَ يَصحَبُ ، والحِمامُ قِيادُ[1]
جارَيتُه طَلقَ الحياةِ الى الرَّدى ،   فحَوى به ، قصَبَ السِّباقِ ، جَوادُ[2]
كنّا اصطَحَبنا ، والتشاكُلُ نِسبةٌ ،   حتى كأنّا عاتِقٌ ونِجادُ[3]
ثمّ افترَقنا ، لا لعَودةِ صُحبةٍ ،   حتى كأنّا شُعلةٌ وزِنادُ .

---

١ خطم : اسكت وقهر . القريع : السيد . المصعب : الصعب . استعار في هذا البيت صفات فحل الجمال للمرثي ، وهو امر كان مأنوساً عند العرب .

٢ طلق : شوط .

٣ التشاكل : المناسبة . العاتق : الكتف . النجاد : علاقة السيف .

يا أيُّها النائي ، ولستَ بِمُسمِعٍ ... سَكَنَ القبورِ ، وبينَنا أسداد[1]
ما تفعَلُ النَّفسُ النفيسةُ ، عندما ... تتهاجَرُ الأرواحُ والأجساد ؟
كُشفَ الغِطاءُ إليكَ عن سرِّ الرَّدى ، ... فأجِبْ بما تَندى به الأكباد
فوَراءَ سِترِ الليلِ مُضطرِمُ الحَشا ، ... لا يستقِرُّ بِهِ ، هناك ، مِهاد
لم يدرِ ، إلاَّ يومَ موتِك ، ما الأسى ، ... فكأنَّ مَوتَك للأسى مِيلاد
وكفاه مجداً أن يقولَ ، وللدُّجى ... فجرٌ له ، من دَمعِه ، أمداد
حتَّامَ أندُبُ صاحباً وشبيبةً ، ... فتَفيضَ عينٌ ، أو يَحِنَّ فؤاد ؟
أقصِر ، فلا ذاكَ الخليلُ بآيبٍ ، ... يوماً ، ولا ذاكَ الشَّبابُ يُعاد
فَتُصارُ مُجتمِعِ الأصاحبِ فِرقةٌ ، ... ومَحارُ أنوارِ الشَّبابِ رَماد[2]
فيمَ السُّلوُّ ، وقد تحمَّلَ صاحبٌ ، ... شطَّت به ، دارٌ ، وطالَ بُعاد ؟
أتبَعتُه قلباً له ، مِن لوعةٍ ، ... زادٌ ، ومن عينٍ تَفيضُ ، مَزاد
فذٌّ ، تبسَّمَ عنه صَدرُ المُنتدى ، ... طرباً به ، واهتزَّتِ الأنداد[3]
وأخٌ لوُدٍّ ، لا أخٌ لوِلادةٍ ، ... وأمَسُّ من نسَبِ الوِلادِ وِداد
مَلكَته غَشيَةُ نومةٍ لا تَنجلي ، ... ولكلِّ عينٍ نَومةٌ وسُهاد

١ الاسداد ، واحدها سد : الحاجز .
٢ محار : مرجع .
٣ الفذ : الفرد الذي لا مثل له . الانداد ، واحدها ند : المثل .

وَدَّعتُه توديعَ مكتئبٍ ولا ، غيرَ المَعاد ، للُقيةٍ ، ميعاد
ونفَضتُ منه يدي بعِلقٍ مَضنَّةٍ ، فَتَّت به الأكبادُ والأعضاد
وتركتُه ، والمجدُ يُرغِمُ أنفَه ، متوسّداً ، حيثُ التُّرابُ وِساد
في موطنٍ نزَلَتْه جُرهُمُ قَبلَه ، وتحوَّلَت إرَمٌ إليه ، وعاد[1]
أمَمٌ ، يَغصُّ بها الفَضاءُ ، طوَتهمُ كفُّ الرَّدى طَيَّ الرِّداءِ ، فبادوا
سادوا وقادوا ، ثمَّ أجلى جمعُهم ، عن وَحدةٍ ، فكأنَّهم ما قادوا
عفَتِ البُناةُ ، على اللَّيالي ، والبُنى ، وتَلاحقَ الأمجادُ والأوغاد[2]
ولربَّما ذَبُّوا ، وذادوا عن حِمى ملكٍ هَوى ، فكأنَّهم ما ذادوا[3]
فأصِخ طويلاً ! هل تَعِي من منطقٍ ؛ وانظُر مَليّاً ، هل ترى ما شادوا؟
زُمَرٌ يُعَدُّ بها الحَصى من كثرةٍ ، ولربَّما فنِيَت بها الأعداد
ألوى بهم ، ولكلِّ رَكبٍ سائقٌ ، زمَنٌ حَدا بركابهم ، يَقتاد
ورمى رَبيعةَ بالخُمُول ، وإنَّما كانوا بعبَد الله فيهم سادُوا
بأغرَّ وضّاحِ الجَبين ، كأنَّه ، تحتَ الدُّجُنَّةِ ، كَوكَبٌ وَقّاد
مُتَبسّمٌ في هِزَّةٍ ، فكأنَّه غُصنٌ تَفتَّقَ نَورُه ، ميّاد

---

١ جرهم ، وارم ، وعاد : قبائل عربية قديمة ، من العرب البائدة .
٢ البناة ، واحدها بان . البنى ، واحدتها بنية : ما بني .
٣ ذادوا : دافعوا .

وطِيءَ السماكَ، به التواضعُ، رِفعةً، فكأنّما إتهامُه إنجادُ

ألقى الحِمامُ برَحلِه، في منزلٍ، نَزَلت بِه الآباءُ والأجدادُ

يَعلو به نَفَسٌ، وتَدمَعُ مُقلةٌ، فيُراحُ، طَوراً، تُربُه، ويُجادُ[1]

فتَوقّفتْ أندُبُ منه شِلواً داثِراً، ما إن يُحِسُّ، وهل يُحِسُّ جَمادُ؟

تَمحُو صحيفةَ صَفحتَيه يدُ البِلى، عَبثاً، وتَطوي، ذِكرَه، الآبادُ

فتَخلا، برُغمِ المَجدِ، منه منزِلٌ، مَلأتْ، مَدامِعَها، به الأمجادُ

لوّتِ الضّلوعَ، به، الأصادقَ، لوعةٌ، ولَرُبّما رقّتْ بِهِ الحُسّادُ

مُتقلّدٌ بالدّمعِ حَلياً، كُلّما عَطِلَت به، من حَليِها، الأجيادُ

يَبيَضُّ مُلتحِماً، ويُظلِمُ وَحشةً، فكأنّما ذاكَ البَياضُ حِدادُ

فبَكاكَ، من قَبرٍ كَريمٍ، عارِضٌ زَجِلٌ، له مِن رَنّةٍ إرعادُ

نُحِرَ العَزاءُ عليه، لم تُنحَر بهِ إبلٌ، ولم تُعقَر عليهِ جِيادُ[2]

وسقاكَ وابلُ رَحمةٍ، يَغشى بها جَنَباتِكَ الوُرّادُ والرُّوّادُ

تَهفُو البُروقُ بجانِبَيهِ، كأنّما عُقِرَت بها خَيلٌ، عليكَ، وِرادُ[3]

---

١ يراح، من ريح: اصابته الريح. يجاد، من جيدت الارض: اصابها المطر.

٢ اشارة الى عادة العرب من عقر الناقة حزناً على الميت، واعظاماً له.

٣ [illegible]

فبطيبِ تُربكَ، أيُّ بيتِ قصيدةٍ ،   لو أنَّ ذاكَ البَيتَ كانَ يُعاد

لا تلتقي عينٌ عليه ونومةٌ   ليلاً ، ولا جَنبٌ به ومِهاد

والليلُ فُسطاطٌ ، هناك، مُطنَّبٌ ،   ضُربَت له ، من أنجُمٍ ، أوتاد

وكفى مَعاداً للتَّلاقي في الكَرى ،   لو كان يَسمَحُ بالخَيالِ رُقاد

كفانى شكوى

قال يرثي بعض اخوانه ويندب ما تقضى
من زمانه ويمدح الوزير أبا العلاء بن
زهر في سنة ٥١٤ ه. (١١٢٠م):

كَفانيَ شكوى أن أرى المَجدَ شاكيا، وحسبُ الرّزايا أن تَرانيَ باكيا
أُداري فؤاداً، يَصدَعُ الصَّدرَ زفرةً، ورَجعَ أنينٍ، يَحلُبُ الدّمعَ ساجيا
وكيفَ أُواري مِنْ أُوارٍ وَجدتُني له صادِراً، عن مَنهَلِ الماءِ، صاديا
وها أنا تَلقاني الليالي، بِمِلئِها خُطوباً، وألقى بالعَويلِ اللّياليا
وتَطوي، على وَخزِ الأشافي، جَوانحي، تَوالي رَزايا لا تَرى الدّمعَ شافيا[1]
ضَمانٌ عَليها أن تَرى القَلبَ خافقاً، طِوالَ الليالي، أو تَرى الطّرفَ داميا
وإنّ صَفاءَ الودِّ، والعَهدُ بَينَنا، ليَكرَهُ لي أن أشرَبَ الماءَ صافيا
وكَم قَد لَحَتْني العاذِلاتُ جَهالةً، ويَأبى المُعنّى أنْ يُطيعَ اللّواحيا
فقُلتُ لَها: إنّ البُكاءَ لَراحةٌ، بهِ يَشتَفي مَن ظَنّ أنْ لا تَلاقيا

---

١ الاشافي، واحدها الاشفى: المثقب، والمخرز.

ألا إنّ دهراً قد تقاضى شبيبتي   وصحبي لدهرٌ قد تقاضى المرازيا[1]
وقد كنتُ أهدي المدحَ، والدارُ غربةٌ،   فكيفَ بإهدائي إليه المراثيا!
أحبابَنا بالعدوتينِ صمتُّمُ،   بحكمِ الليالي أنْ تجيبوا المناديا[2]
فقيّدتُ من شكوى، وأطلقتُ عبرتي،   وخفّضتُ من صوتي، هنالك، شاكيا
وأكبرتُ خطباً أن أرى الصبرَ بالياً،   وراءَ ظلامِ الليلِ، والنجمَ ثاويا
وان عُطّلَ النادي به من حلاكمُ،   وكانَ على عهدِ التفاوضِ حاليا
وما كانَ أحلى مقتفى ذلكَ الجنى،   وأحسنَ هاتيكَ المرامي مراميا
وأندى مُحيّا ذلكَ العصرِ مطلعاً،   وأكرمَ نادي ذلكَ الصحبِ ناديا
زمانٌ تولّى بالمحاسنِ عاطرٌ،   تكادُ لياليهِ تسيلُ غواليا
تقضّى، وألقى بينَ جنبيّ لوعةً،   أباكي بها، أخرى الليالي، البواكيا
كأنّيَ لمْ أنسَ إلى اللهوِ ليلةً،   ولمْ أتصفّحْ صفحةَ الدهرِ راضيا
ولمْ أتلقَّ الريحَ تندى على الحشى،   شذاءً، ولمْ أطربْ إلى الطيرِ شاديا
وكانت تحايانا، على القربِ والنوى،   تطيبُ على مرِّ الليالي تعاطيا
فهلْ من لقاءٍ معرضٍ، أو تحيةٍ   معَ الركبِ يغشى، أو مع الطيف ساريا!

---

١ المرازي، واحدتها المرزئة: المصيبة العظمى.

٢ العدوتين، مثنى العدوة: شاطىء الوادي وجانبه، وكان أهل الاندلس يسمون بالعدوة ارض المغرب، واهل المغرب يسمون بها ارض الاندلس.

فها أنا، والأرزاءُ تقرعُ مروةً   بصدري، وقلباً بينَ جنبيّ حانيا[1]
أحِنُّ، إذا ما عسعسَ الليلُ، حنّةً   تذيبُ الحوايا أو تفضُّ التراقيا[2]
وأرخصُ أعلاقَ الدموعِ صبابةً،   وعهدي بأعلاقِ الدموعِ غواليا
فما بنتُ أيكٍ، بالعراءِ، مُرِنّةٌ،   تنادي هديلاً، قد أضلّتهُ، نائيا
وتندبُ عهداً قد تقضّى برامةٍ،   ووكراً بأكنافِ المشقّرِ خاليا
بأخفقَ أحشاءً، وأنبا حشيّةً،   وأضرمَ أنفاساً، وأندى مآقيا[3]
فهلْ قائلٌ عنّي لوادٍ بذي الغضا: تأرّجْ معَ الأمساءِ حُيّيتَ واديا.
وعلّلْ بريّا الرّندِ نفساً عليلةً،   معَ الصّبحِ ينْدى، أو مع الليلِ هاديا
فكم شاقني من منظرٍ، فيكَ، رائقٍ،   هززتُ له من معطفِ الشكرِ صاحيا
وضاحكني ثغرُ الأقاحِ ومبسمٌ،   فلمْ أدرِ أيٌّ بانَ ثمَّ أقاحيا[4]
ودونَ حِلى تلكَ الشبيبةِ شيبةٌ،   جلبتُ بها غمّاً ولمْ أكُ خاليا
وإنّ أجدَّ الوجدِ وجدٌ بأشمطٍ،   تلدّدَ يستقري الرّسومَ الخواليا[5]

---

١ المروة : القطعة من الصوان . وقرع مروته : أنزل به البلاء .
٢ عسعس الليل : اظلم .
٣ الحشية : الفراش . وانبا حشية : اي ان فراشها ينبو بها ، فلا تطمئن اليه .
٤ الشطر الثاني معقد ، غامض ، ولعل فيه تحريفاً .
٥ تلدد : تلفت يميناً وشمالا .

وتَهفُو صَبا نَجدٍ بهِ طِيبَ نَفحَةٍ، فيَلقَى صَبا نَجدٍ بِمَا كانَ لاقِيا

فَقُل لِلَيالي الخَيفِ: هل مِن مُعَرِّجٍ علَيْنا، ولَوْ طَيفاً سُقِيتِ لَيالِيا

ورَدِّدْ بِهاتِيكَ الأباطِحِ والرُّبَى تَحِيَّةَ صَبٍّ لَيسَ يَرجُو التَّلاقِيا

فما أستَسِيغُ الماءَ، يَعذُبُ، ظامِئاً، وَلا أستَطِيبُ الظِّلَّ، يَبرُدُ، ضاحِيا

ولَوْلا أمانٍ عَلَّلَتني، على النَّوى، بِلُقيا ابنِ زُهرٍ ما عَرَفتُ الأمانِيا

أخو المَجدِ لم يَعدُل عن النَّجدِ، نازِلاً بأرضٍ، ولم يَشمَخْ مع العِزِّ ثاوِيا

تَلُوذُ بِبِرُكنَيْ حالِقٍ منهُ شاهِقٍ، فتَغشَى كَرِيماً حامِلاً عَنكَ حامِيا

يُساجِلُ طَوراً كَفَّهُ الغَيثَ غادِياً، ويَحمِلُ طَوراً دِرعُهُ اللَّيثَ عادِيا

وتَبأى العُلَى منه بأبيضَ ماجِدٍ، يُجَرِّدُ دونَ المجدِ أبيضَ ماضِيا[1]

ويَحطِمُهُ ما بينَ دِرعٍ ومِغفَرٍ، وإنْ كانَ عَضبَ الشَّفرَتَينِ يمانِيا

شَرِيفٌ لآباءٍ، نَمَتهُ، شَرِيفَةٍ، يَطُولُ العوالي بَسطَةً والمعالِيا

يُسابِقُ أنفاسَ الرِّياحِ سَماحَةً، ويَحمِلُ أوضاحَ الصَّباحِ مَساعِيا

إذا نَحنُ أثنَينا علَيها وجَدتَنا نُحَلِّي صُدوراً لِلعُلَى، وهَوادِيا[2]

كَفى قومَهُ عَلياءَ أن كانَ غايَةً لهم، وكَفاهُ أنْ يَكونوا مَبادِيا

---

١ تبأى: تفخر، وتتكبر.

٢ الهوادي: الاعناق، واحدها هاد.

تَبوَّأَ من رَسمِ الوزارةِ رُتبـــةً تَمنّى ، مَراقيهـا ، النجومُ [illegible]

وأحرزَ في أُخرى [illegible]

[illegible]

[illegible]

وأروَعَ يَنـدى للطّلافةِ صَفحـةً ، ويَقدَحُ زَنـــداً للنَّباهة واريا

فيَجمَعُ بين المـاءِ أبيضَ سَلسلا يَسُحُّ ، وبـين الجمرِ أحمرَ حاميا

أحِنُّ إليـه حَنّةَ النِّيبِ هَجَّـرَتْ ، وقد ذكَـرَت مـاء العُضاهِ صَواديا[1]

فيا أيُّها النّائي مع النَّجمِ هِمَّـةً ، ومَرقى خِـلالٍ في الوزارةِ ساميا

ترى فَرقَدَ الليلِ السُّرى منه ثالثاً ، وتَرعى بـــه بَدرَ الدُّجُنّةِ ثانيا

حنانَيكَ في نـاءٍ شَكا مَسَّ لوعـةٍ ، فسفَّرَ، من شوقٍ إليـكَ، القَوافيا

وحيًّا بها أذكى منَ الرَّوضِ نفحةً ، وأرهَفَ من لَدْنِ النَّسيمِ حَواشيا

وقد نَدَبَتْ، من حيثُ لم أدرِ، رُقعةً أنَمْقٌ ، أمْ دَمعاً أَرَفرِقُ جـازيا

وإنكَ لَلعَذبُ الفُراتُ على الصَّدى ، وإنْ بِنتَ ، والبَرُّ الكريمُ أياديا

شقيقُ النَّدى وابنُ النُّهى وأبو العُـلا ؛ وحَسبُكَ بَيتاً في المكارِمِ عاليا

---

١ النيب ، واحدتها الناب : الناقة المسنة .

الأعمى التطيلي

حرف الألف

– ١ –

[قال يحرض أهل اشبيلية على رجل عسوف]

١ الى الله أشكو الذي نحن فيه   أسىً لا يُنَهنِهُهُ منهُ الأسى
٢ على مثلها فلتشقَّ القلوبُ   مكانَ الجيوبِ وإلا فلا
٣ فشا الظلمُ واغترَّ أشياعُهُ   ولا مُستغاثٌ ولا مُشتكى
٤ وساد الطَّغامُ بتمويههم   وهل يقدحُ الرزءُ إلا كذا |٢ظ
٥ وطالت خُطاهم الى التُّرّهاتِ   الا قصّرَ الله تلك الخطا
٦ وأعجبُ كيفَ نضلُّ السبيلَ   ولم نأتِه ، واهتدته القطا (١)
٧ وكيف تضاحكُ هذي الرياضُ   وكيف يصوبُ الغمامُ الحصى
٨ وهيهات لم يعتمدْ أن يجودَ   ولكن لما نحن فيه بكى
٩ « وماذا بحمصٍ من المضحكاتِ   ولكنّهُ ضحكٌ كالبكا » (٢)
١٠ وذا اليومُ حمَّلنا فادحاً   خضعنا له وانتظرنا غدا

---

١ – د : أشكو ما

(١) يضرب المثل بالقطا في الاهتداء فيقال : « أهدى من القطا » .

(٢) استعار هنا بيت المتنبي :

وماذا بمصر من المضحكات   ولكنه ضحك كالبكا

وحمص هي اشبيلية .

١١ وتَنْقضي على حُكم صرفِ الزمان … وبين الجوانح جمرُ الغضا

١٢ ويا رُبَّ إلبٍ على المسلمين … زَوَى الحقَّ عن أهله فانزوى

١٣ هو الكلبُ أسَّدَهُ جهلُهُ … وطال فخالُوهُ ليثَ الشرى

١٤ وراعهمُ زأرُهُ فيهمُ … ولو كانَ في غيرهمْ ما هوى

١٥ كفاهُ الهوانُ احتقارَ الهوان … فسنَّ الأذى باحتمالِ الأذى

١٦ تهاونَ بالله والمسلمين … وقد كان في واحد ما كفى

١٧ وقد خلعَ الدينَ خلعَ النجادِ … وقد أكل الدَّينَ أكلَ الرِّبا ٣/و

١٨ فرآه في كلِّ عينٍ قذى … وذكراهُ في كلِّ حلقٍ شجا

١٩ إذا سُئِلَ العَسْفَ بالمسلمين … فأجوَدُ من حاتمٍ بالقرى

٢٠ وإن أمكنتْ منهمُ فُرصةٌ … فأفتكُ من خالدٍ بالعدا

٢١ ولا بدَّ للحقِّ منْ دَوْلةٍ … تُميتُ الضلالَ وتُحيي الهدى

٢٢ فيا سحرَ فرعونَ ماذا تقول … إذا جاءَ موسى وألقى العصا

٢٣ وقد عزَّ في منعِ سلطانه … كُلَيبٌ، فكيفَ رأيتَ الحِمى

٢٤ وإنَّ أمامك، لو قد علمتَ، … أشياءَ أيسرهنَّ الرَّدى

٢٥ فما غفلَ اللهُ عن أمةٍ … ولا تَرَكَ اللهُ شيئاً سُدى

٢٦ وعاقبةُ الظلمِ ما قد سمعتَ … وعايَنْتَ لو نَهْنَهَتْكَ النُّهى

١٢ ـ الالب: القوم يجتمعون على عداوة شخص وفي الحديث: إن الناس كانوا إلباً واحداً.

١٣ ـ أسده: صيره أسداً، وبالمد آسده: أي أثاره وهيجه وأغراه.

٢٠ ـ خالد: يعني سيف الاسلام خالد بن الوليد.

٢٣ ـ اشارة الى كليب وائل وكيف حمى الحمى ثم كان مصيره القتل لتجبره وصلفه.

٢٧ أيا أهلَ حِمصٍ وقدْماً دعوتُ　　　وهل تسْمعونَ إلى من دعــا
٢٨ يَقلُّ لأقدارِكمْ كلُّ شيءٍ　　　فكيفَ رضيتمْ بدونِ الرِّضى
٢٩ ألا قد لحنتُ لكم فاسمعوا　　　وحاجَيْتُ إن كان يُغني الحجا

---

٢٩ ــ لحنت : عرضت وكنيت ، وفي شعر القتال الكلابي :
ولقد لحنت لكم لكيا تفقهوا　　　ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

حرف الباء الموحدة

- ٢ -

[قال يمدح ابن حمدين]

١ أَغَمْزُ عُيُونٍ وَانكسارُ حَواجِبِ ... أمِ البرقُ في جُنحٍ من الليلِ دائبِ

٢ سَرى وسرى طيفُ الخيالِ كلاهما ... يَوَدُّ لو انَّ الليلَ ضَرْبَةُ لازِبِ

٣ وفي مضجعي أخفَى على العينِ منهما ... وأثقبُ في أجوازِ تلكَ الغياهبِ

٤ لقىً ، غيرَ نفسٍ حُرَّةٍ نازعت به ... نجومَ الدُّجى ما بين سارٍ وساربِ

٥ معودةٍ ألاَّ تطيقَ روعـةً ... بها مذهباً ، والموت شتى المذاهبِ

٦ إليكَ ابنَ حمدينٍ وإنْ بَعُدَ المـدى ... وإن غَرَّبَتْ بي عَنْكَ إحدى المغاربِ [1]

---

١ ـ م : لاهب .
٣ ـ د : أحوال .
٦ ـ في هامش د : الغوارب ، نقلا عن نسخة أخرى .

---

(١) ابن حمدين : هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي قاضي الجماعة بقرطبة تقلد فيها القضاء مرتين وكانت احداهما سنة ٥١٣ بعد عزل أبي الوليد بن رشد عن قضاء قرطبة ، وكان نافذاً في أحكامه جزلا في أفعاله . توفي سنة ٥٢١ . (انظر الصلة : ٨١ والنباهي : ١٠٣) ؛ وأخطأ صاحب الاستقصا فعده القائم بالثورة على الملثمين عند ضعف سلطانهم سنة ٥٣٩ (الاستقصا ٢ : ٧٧) وانما القائم عليهم هو حمدين بن محمد .

٧ صبابةَ ودٍّ لم يكدِّرْ جمَامَهُ   مُرُورُ الليالي وازدحامُ الشوائبِ (١)
٨ وذكرى عساها أن تكونَ مَهزَّةً   تردُّ على أعقابِهِ كُلَّ شاغبِ
٩ بآيةِ ما كان الهوى مُتقارِباً   وخَطوي فيه ليسَ بالمتقاربِ
١٠ أمُخْلِفَةٌ تلك الوسائلُ بعدما   شَدَدنا قُواها بالنُّجومِ الثَّواقبِ (٢)
١١ وكم غَدوةٍ لي في رِضاكَ ورَوحةٍ
على مَنهجٍ من سُنَّةِ البِرِّ لازبِ
١٢ ليالِيَ لم تَمشِ الأخابيثُ بيننا   بما كادَ يستهوي حُلُومَ الأطايبِ
١٣ ولم يُرجِفُوا في [   ]   بصِمانةِ يَنمُونَها وأشائبِ
١٤ وأيامَ لم يَجنِ الدَّلالُ على الهوى   هناتٍ جنَتْ عُتبى على غير عاتبِ/٤و
١٥ أفالآن لما كنتُ أحكمَ قاصدٍ   وسَرَّكَ أني جئتُ أصدقَ تائبِ
١٦ ولم يبقَ إلا نزغةٌ ترتقي بها
شياطينُ تخشى القَذفَ من كلِّ جانبِ
١٧ أضعتَ حقُوقي أو حقوقَ مودتي   فدونكها أعجوبةً في الأعاجبِ
١٨ وفَجَّعْتَ بي حيّاً نوادبَ كلَّما   تذكرنني أسعَدنَ غيرَ نوادبِ (٣)

---

٧ ـ د : تكدر .
١٢ ـ جاء صدر البيت الثاني عشر مع عجز البيت الذي يليه في النسخة : م .
١٦ ـ م د : نزعة .
١٨ ـ د : ذكرتني .

---

(١) الجمام : مجتمع الماء ، الشوائب : الأكدار .
(٢) الوسائل : الأسباب ، القوى : طاقات الحبل .
(٣) أسعدن : أسعفن بالبكاء .

١٩ وقال العـدا : ليلُ الخُولِ أجنّـهُ
على رِسْلِهِم إنّي عِيَاضُ بنُ ناشب (١)

٢٠ فلا تتباهى بي صدورُ مجالسٍ   أسُرُّكَ فيها أو صدورُ مواكب

٢١ وأصبحتُ لا يَرتاعُ من خوفِ سَطوتي
عَدُوّي ولا يرجو غَنائيَ صاحبي

٢٢ ولا يتلقّاني العُفـاةُ كأنّما   أهلّوا بمنهلٍ من الغيثِ ساكِب

٢٣ ولا أمتري أخلافَ كلِّ مُرِنّة   بأيدي صَبًا من عزمتي وجنائب (٢)

٢٤ أعاتِبُ إدلالاً وأعتِبُ طاعةً   وحسبُكَ بي من مُعتِبٍ ومُعاتب

٢٥ أبوءُ بذنبي ليس شعري بمقتضٍ   عُلاكَ ولو قفّيتُهُ بالكواكب

٢٦ ولكنّهُ ما أستطيعُ وعُوذةٌ   لِفَضلِكَ ، إلا تمحُ ذنبي تقارب

٢٧ ويجحدُكَ الحسّادُ أنّكَ سُدتَهُم   على شاهدٍ ممّا انتحيتَ وغائب /٤ ظ

٢٨ وقد وقفوا دون الذي عزّ شأوه   بأنفسهم أو بالظنون الكواذب

٢٩ غضاباً على مَنْ ناكرَ الدهرَ بينهم   وقد عرّفوه بينَ راضٍ وغاضب

---

٢٢ ـ م : كأنها .
٢٦ ـ م د : بفضلك || م : يمح ... تقاربي .
٢٧ ـ م د : انتحيت .
٢٨ ـ د : ومد دون المدى غير جلوه ، وفي حاشية د : دون الذي من (نقلا من نسخة اخرى) .
٢٩ ـ ناكر : غير منقوطة في م .

---

(١) عياض بن ناشب : ذكره دريد بن الصمة في شعره وأنه نجا منه يوم الغدير ـ وهو اليوم الذي أغار فيه دريد على غطفان ليثأر لأخيه ـ فقال :

جزينـا بني عبس جزاء موفراً   بمقتل عبد الله يوم الذنائب
ولولا سواد الليـل أدرك ركضنا   بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

(الاغاني ١٠ : ١٢)

(٢) امترى : حلب ، أخلاف : ضروع ، المرنة : السحابة .

٣٠ سراعاً الى الدنيا وحيثُ بـدا لهم ولو أنـّـه بينَ الظبا والضرائب [1]

٣١ إذا المرءُ لم يَكتسِب سوى المال ِ [وحده]

فالأمُ مَكسُوبٍ لألأمِ كـاسب

٣٢ عجبتُ لمـن لم يَقدُرِ التربَ قَدَرَهُ

وقـد تاهَ في نَقْدِ النجومِ الثواقب [2]

٣٣ ومن [لم] يوطِّن للنوائبِ نَفْسَهُ — وقد لجَّ في تعريضهـا للنوائب

٣٤ أعد نظراً فيهم وفي حرمـانهم — وإن لم يُعيدوا نظرةً في العواقب

٣٥ وكُن بهم أدنى إلى الرشدِ منهمُ — تكُن هذه إحدى عُلاك العجائب

٣٦ لعلهمُ ، والدهرُ شتَّى صُروفُهُ — ومَجدُكَ أولى بارتقاءِ المراتب

٣٧ قد انصرفت تلك الهمومُ لواغبـاً — إلى المقصدِ الأدنى وغيرَ لواغب

٣٨ وثابت حلومٌ ربمَّا زال يَذْبُلٌ — وزالَ سُهَيْلٌ وهى غير ثوائب

٣٩ وأيقنَ قومٌ أنها هيَ ترتمي — بهم بين مجنوب اليك وجانب

٤٠ وألقَوا بأيدٍ صاغرين وأخلَصوا — ضمائرَ مكذوبِ المُنَى والتجارب/٥و

٤١ وأهونُ مغلوبٍ على أمرِ نفسِهِ — من النّاسِ مَنْ لا يَتَّقي بأسَ غالب

٤٢ إليك ابنَ حمدينٍ نصيحةَ مشفقٍ — تَتَحَلَّمها أثناءَ تلك النوائب

---

٣١ ــ وحده : بياض في د .

٣٣ ــ لم : ساقطة في د .

٣٨ ــ د : زل يذبل .

....

(١) الضرائب : جمع ضريبة ، وهي ــ هنا ــ حد السيف .

(٢) من هذا البيت حتى آخر القصيدة يميل الشاعر إلى الاعتذار عن قوم أخطأوا في حق ابن حمدين ، ويلتمس لهم العفو .

برغمي ورغمِ المكرمات تقَضَّبَتْ   حِبَالٌ بأيدي الحادثاتِ القواضب
ورغمِ رجالٍ علَّمتْهُم ذنوبُهُمْ   حِذَارَ الأعادي واحتقارَ المصالب
قَضَوْا نحبهم إلا أسىً غيرَ نافعٍ   على ذاهبٍ من أمرِهِم غيرِ ذاهب
يلوذون منه بالخضوع مُرَدَّداً   إذا عزَّهم فيضُ الدموع السواكب
فان تنتصف منهم فأعذرُ آخذٍ   وان تتداركْهُمْ فأكرمُ صاحب

...

— ٣ —

وقال ايضا [يمدح محمد بن عيسى الحضرمي]

عِتابٌ على الدُّنيا وقَلَّ عِتابُ   رضينا بما تَرْضى ونحنُ غِضابُ
وقالتْ وأصغينا الى زُورِ قولها   وقد يَستَفِزُّ القولُ وهو كذابُ
وغَطَّتْ على أبصارِنا وقلوبِنا   فطالَ عليها الحَوْمُ وهي سَرَاب
ودانت لها أفواهُنَا وعقولُنَا   وهل عندَهَا إلا الفناءُ ثواب
وتلك لعمرُ الله ، أما ركوبُهَا   فهُلْكٌ ، وأما حُكْمُهَا فتغلاب|٥ظ
فللهْو ونلهو والأعزَّةُ حولها   [رُفَاتٌ] ، ونبني والديارُ خراب
وتخدَعُنَا عما يُرَادُ بنا منىً   لبحرِ المنايا دونهن عُبَاب
ونفتنُ الأيامَ وهيَ مصائبٌ   لهن علينا جيئةٌ وذَهاب
بكتْ هندُ من ضِحْكِ المشيب بمفرقي   أمَا علِمَتْ أنَّ الشبابَ خِضَاب

---

٤٦ — د م : يكولون .
٤ — م : أهوازنا ... المناء .
٥ — د : فلك .
٦ — رفات : ساقطة من د .

١٠ وقالت غُبارٌ ما أرى وتجاهلت ... وليس على وجه النهار نقاب

١١ هل الشيبُ إلا الرشدُ جلّى غوايتي ... فأصبحتُ لا يخفى عليّ صواب

١٢ وأصبح شيطاني يعضّ بنانهُ ... وقد لاح دوني للقتير شهاب

١٣ أأعفو لصرف الدهر عن هفواته ... على حين لا يأتي عليّ عقاب

١٤ وأتركهُ يمضي على غلوائه ... وقد قلّ إعتابٌ وطال عتاب

١٥ برئتُ من العلياء إن لم أردّهُ ... ولي ظُفُرٌ قد عاث فيه وناب

١٦ وإن لم أنهنهه من شباه بعزمة ... تذلّ لها الأشياءُ وهي صعاب

١٧ وقائلة ما بالُ حمص نبت به ... وربّ سؤال ليس عنه جواب

١٨ نبت بي فكنتُ العرف في غير أهله ... يعودُ على أهليه وهو تباب /٦و

١٩ فبالله ما استوطنتُها قانعاً بها ... ولكنّني سيفٌ حواهُ قراب

٢٠ أيُغضِبُ حسّادي قيامي إلى العلا ... وقد قعدوا لما ظفرتُ وخابوا

• • •

٢١ وأروع لا ينأى على عزماته ... مرامٌ ولا يُخفي سناه حجاب

٢٢ من الحضرميّين الأُولى أحرزوا العلا ... بنوا فأطالوا ، أو رموا فأصابوا

٢٣ من المانعين الدهر حوزة جارهم ... وأشلاؤه بين الخطوب نهاب

٢٤ همُ عرضوا دون المعالي فأصبحت ... مطالب لا يدنو لهنّ طلاب

---

١١ – د : ولاصبحت لا يخفى .

١٨ – المسالك : على بوليه .

١٩ – المسالك : وتاقه ‖ م : ورواقه .

٢٥ وهم جنّحوا بالمعتفين إلى ندىً   هو القَطْرُ لا يأتي عليه حساب

٢٦ سجايا على مرّ الليالي كأنما   هي المُزْنُ فيه رحمةٌ وعذاب

٢٧ مواردُ فيها سمٌ كلّ معاند   ولكنها للمُسْتَقيدِ عذاب (١)

٢٨ تخوّفني صرفَ الزمانِ وقد حدت   برحلي إلى ابنِ الحَضْرَميّ ركاب

٢٩ إذا الله سنّى لي لقاءَ محمد   تفتّحَ دوني للسماحةِ باب (٢)

٣٠ فتىً لم تُسافِر عنه آمالُ آملٍ   وكان لها إلاّ إليه إياب

٣١ ولا ظميءَ العلمُ المُضيّعُ أهلُهُ   فساغ له إلا لديه شراب

٣١ لهُ هِممٌ في البأسِ والجودِ والندى   لها فوق أثباجِ النجوم قباب /٦ظ

٣٢ وأقسِمُ لولا ما لهُ من مآثرِ   لأصبح رَبْعُ المجدِ وهو يباب

٣٣ مآثرُ هنّ المجدُ لا كسبُ درهمٍ   وهنّ المعالي لا حُلىً وثياب

٣٤ يغيظُ العدا منه أغرُّ حُلاحِلٌ   أشمُّ طُوالُ الساعدين لُباب (٣)

---

٢٥ ـ د : بالمقنعين ؛ المسالك : وهم جاءوا .
٢٨ ـ د : يخوفني والتصويب من المسالك ، وفي م : تخوفني .
٣٠ ـ د : يسافر .
٣١ ـ م : اليه .

---

(١) المستقيد : الخاضع .
(٢) سنى : يسر .
(٣) حلاحل : سيد في عشيرته شجاع ركين ؛ الطوال : المفرط الطول ، وقوله طوال الساعدين من قول طفيل الغنوي :
طوال الساعدين يهز لدناً   يلوح سنانه مثل الشهاب
اللباب : الخالص من كل شيء ، ويقال في الرجل : هو لباب قومه .

٣٦ ولا عيبَ فيه لامرىءٍ غير أنّه ... نُعابُ له الدنيا وليس يُعابُ

٣٧ هو الأسدُ الوَرْدُ الذي سار ذِكْرُهُ ... وليسَ له إلا البَسالةُ غابُ

٣٨ تبوّأ من دار الخلافة مقعداً ... له فيه عن حكم القضاء مثابُ

٣٩ تباهت به منذُ استقلَّ بأمرها ... كما تتهادى للنجلاءِ كَعابُ

٤٠ سلِ الدينَ والدنيا هل ابتهجا به ... كما انجابَ عن ضوءِ النهار ضبابُ

٤١ نضاهُ أميرُ المؤمنين مهنّداً ... له الحِلْمُ مَتْنٌ والمضاءُ ذُبابُ (١)

٤٢ له المَثَلُ الأعلى معاداً ومبدءاً ... وللحاسدِ العاوي حصىً وترابُ (٢)

٤٣ ألانتْ لك الاشياءَ، وهي صليبةٌ، ... عزائمُ في ذات الإله صِلابُ

٤٤ إليك أبياتاً من الشِّعْرِ قلتُها ... يُودّي لو أنيْ لهنّ كتابُ

٤٥ فان تتقبّلْها، وتلك مطيتي، ... فيا مَنْ رأى خطباً ثناه خطابُ /٧و

٤٦ وهل أنا إلا الروضُ حيّاكَ عَرْفُهُ ... وقد باكَرَتْهُ من نداكَ سحابُ

٤٧ ومن يُثْنِ بالصُّنْعِ الجميلِ فإنّه ... شكورٌ ولا مثلَ المزيدِ ثوابُ



---

٣٩ ــ د : تناهت ؛ م : وتاهت || د : تهادى.
٤٢ ــ م د : الفاوي .
٤٤ ــ في هامش د : نسخة « صفتها » وكذلك في م .
٤٥ ــ م : طويتي .
٤٧ ــ د : يبن .

---

(١) ذباب السيف : حد طرفه .
(٢) حصى وتراب : دعاء عليه ، وفي شعر ابي فراس الحمداني :
تغابيت عن قومي فظنوا غباوتي ... بمفرق أغبانا حصى وتراب

٤٨ وهل أنا إلا عبدُ أنعُمِكَ التي ... هي الأريُ إذ كلُّ الموارد صابُ [1]

٤٩ وما شهدَ المجدُ الذي أنت سرُّهُ ... فانك بحرٌ والكرامُ سَرابُ

٥٠ وما أنا يا رضوانُ باسمك هاتفٌ ... فهل لي إلى دار المُقامةِ بابُ [2]

٥١ وهل يُدرِكُ الحسّادُ غورَكَ في العُلا ... وإن طالَ مكرٌ منهمُ وخِلابُ

٥٢ إذا نافسُوكَ المجدَ كنتَ غضنفراً ... إذا زار لم تَثبُتْ عليه ذئابُ

٥٣ وما أحمرٌ إلا من صياليكَ معرَكٌ ... ولا أخضرٌ إلا من نداكَ جَنابُ

---

٤٨ ـ د : صابوا .

٥٢ ـ د : دار ؛ د : ذباب .

(١) الاري : العسل ؛ الصاب : العلقم .

(٢) دار المقامة: دار الاقامة الدائمة والخلود ، وقد شبه الممدوح برضوان خازن الجنة .

وكتب الى [ابي] عبدالله مالك بن وهيب * [يذكره أمره ويرجو قيامه بشأنه لدى امير المسلمين]

١ إليكَ أبا عَبْدِ الإلهِ على النَّوى مُطالَعَةٌ كادت تَنوبُ عن القربِ
٢ وطيبَ سلامٍ ودَّتِ الرَّوْضُ أنَّهُ شَذاها بما فيها من الماءِ والعشبِ
٣ بعثت بــه طيفَ الخيالِ ولم يكن
لِيَسْلُكَ بينَ الهُضْبِ ، والموجُ كالهضبِ
٤ وَهبْهُ مضى قِدْماً ولم يَثْنِ عَزْمَهُ (١)
غواربُ خُضْرٌ تُتَّقَى بِذُرى شهبِ | ٧ ط
٥ وبيدٌ كأيامِ الصدودِ ترى الضحى بها شاحباً لا من شكاةٍ ولا حُبٍّ (٢)

٤ - د : تبقى .

* مالك بن وهيب : يعد صنواً لمعاصره ابن باجة في النظر في العلوم العقلية ، غير أنــه أضرَب عن النظر فيها لما لحقه من المطالبات في دمه بسببها ، وأقبل على العلوم الشرعية فرأس فيها (ابن ابي أصيبعة ٢ : ٦٣) .

(١) هبه : يعني طيف الخيال ، الغوارب الخضر : الأمواج ، والشهب : صفة الخيل .
(٢) كأيام الصدود : مسرفة في طولها واتساعها .

ابن هانئ

هذا امين الله

قال يمدح الخليفة المعز لدين الله ويهنئه بشهر رمضان :

الحِبُّ حيثُ المعشرُ الأعداءُ ، والصبرُ حيثُ الكِلّةُ السِّيَراءُ [1]

ما للمَهارى الناجياتِ ، كأنّها حَتْمٌ عليها البَيْنُ والعُدَواءُ [2]

ليس العجيبُ بأنْ يُبارِينَ الصَّبا ، والعذلُ، في أسماعِهِنّ، حِداءُ [3]

تَدْنُو مَنالَ يدِ المحبِّ ، وفوقها شمسُ الظَّهيرةِ، خِدْرُها الجوزاءُ [4]

بانت مُوَدِّعةً ، فجِيدٌ مُعرِضٌ يومَ الوداعِ ، ونظرةٌ شَزْراءُ [5]

وغدتْ مُمنَّعةَ القِبابِ ، كأنها بينَ الحِجالِ ، فريدةٌ عصماءُ [6]

---

١ الحب : الحبيب . الكلة : الستر (الناموسية) . السيراء : ثوب فيه خطوط صفراء .

٢ المهارى ، الواحدة مهرية : ابل منسوبة الى مهرة بن حيدان ، حي من قضاعة من عرب اليمن . الناجيات ، الواحدة الناجية : السريعة . حتم عليها : موجب عليها . العدواء : بعد الدار .

٣ يبارين : يعارضن . الصبا : الريح الشرقية . الحداء : الغناء للابل عند سوقها .

٤ تدنو ، من الدنو : القرب . والضمير عائد الى الابل . منال يد المحب : اي مقدار ما تنال يد المحب . شمس الظهيرة : كناية عن المرأة المتغزل بها . الجوزاء : برج في السماء .

٥ الشزراء : نظرة بمؤخر العين .

٦ الفريدة : اراد بها الظبية المنفردة . العصماء : التي في ذراعيها او في احداها بياض وسائره اسود او احمر .

حُجِبَتْ، ويُحْجَبُ طيفُها، فكأنَّما ... منهم، على لحظاتِها، رُقَباءُ[1]
ما بانةُ الوادي تَثَنَّى خُوطُها، ... لكنَّها اليَزَنِيَّةُ السمراءُ[2]
لم يبقَ طِرْفٌ أجْرَدٌ، إلاّ أتى ... من دونها، وطِمِرَّةٌ جرداءُ[3]
ومُفاضَةٌ مسرودةٌ، وكتيبةٌ ... مَلمومةٌ، وعَجاجةٌ شهباءُ[4]
ماذا أسائلُ عن مَغاني أهلِها، ... وضميريَ المأهولُ، وهي خَلاءُ[5]
للهِ إحدى الدَّوحِ، فاردةً، ولا ... للهِ، مَحْنِيَةٌ، ولا جَرْعاءُ[6]
بانت تَثَنَّى، لا الرياحُ تهزُّها ... دوني، ولا أنفاسيَ الصُّعَداءُ[7]
فكأنما كانت تذكَّرُ بينكم، ... فتميدُ في أعطافها البُرَحاءُ[8]

---

١ الطيف : الخيال الطائف في النوم .
٢ البانة ، واحدة البـان : شجر معتدل القوام ليّن ، ورقه كورق الصفصاف ، تشبّه به القدود . خوطها : غصنها . اليزنية : الرماح المنسوبة الى ذي يزن احد ملوك حمير .
٣ الطرف : الكريم من الخيل . الاجرد : القصير الشعر . الطمرة ، انثى الطمر : الفرس الجواد .
٤ المفاضة : الدرع الواسعة . المسرودة : المنسوجة في صورة يتداخل بها حلقها . الكتيبة : القطعة من الجيش . الملمومة : المجتمعة . العجاجة : الغبار . الشهباء : البيضاء يتخلل بياضها سواد .
٥ المغاني : المنازل ، الواحد مثنى .
٦ الدوح ، الواحدة دوحة : الشجرة العظيمة . المحنية : منعرج الوادي . الجرعاء : رملة مستوية لا تبت شيئاً .
٧ الصعداء : التنفس الطويل .
٨ البرحاء : المشقّة .

كلٌّ يهيجُ هواكَ ، إمّا أيكةٌ خضراءُ ، أو أيكيّةٌ ورقاءُ[1]

فانظرْ ! أنارٌ باللّوى ، أم بارقٌ متألّقٌ ، أم رايةٌ حمراءُ[2]

بالغَورِ تخبو ، تارةً ، ويَشبُّها ، تحتَ الدُّجنّةِ ، مَندَلٌ وكِباءُ[3]

ذمَّ الليالي ، بعدَ ليلتِنا التي سلَفتْ ، كما ذمَّ الفراقَ لقاءُ

لبِسَتْ بَياضَ الصُّبحِ ، حتى خِلتُها فيه نجاشيًّا ، عليه قَباءُ[4]

حتى بَدَتْ ، والبَدْرُ في سِربالها ، فكأنّها خيفانةٌ صَدْراءُ[5]

ثمَّ انتحى فيها الصَّديعُ ، فأدبَرَتْ فكأنّها وَحشيّةٌ عَفراءُ[6]

طُوِيَتْ ليَ الأيّامُ ، فوقَ مَكايدٍ ، ما تنطوي لي فوقَها الأعداءُ

ما كان أحسنَ من أياديها ، التي تُوليكَ ، إلّا أنّها حسناءُ[7]

---

١ الايكة ، واحدة الايك : الشجر الملتف . الايكية : الحمامة تأوي الى الايك . الورقاء : ما كان لونها بين السواد والغبرة .

٢ اللوى : مستدق الرمل . المتألق : المتلألئ .

٣ الغور : ما انحدر واطمأن من الارض . الدجنة : الظلمة . المندل : عود الطيب . الكباء : البخور .

٤ النجاشي : لقب ملك الحبش . القباء : الثوب يُلبس فوق الثياب (الغنباز) .

٥ السربال : القميص . الخيفانة : الجرادة . واراد هنا الفرس السريعة كأنها الجرادة . الصدراء : البيضاء الصدر . والبيت وصف ليلة التي سلفت ، وسرعة انقضائها .

٦ انتحى : قصد . الصديع : الفجر المتصدع اي المنشق . ادبرت : ولّت . العفراء : الظبية تعلو بياضها حمرة .

٧ الايادي : النعم . توليك : تعطيك .

ما تُحْسِنُ الدُّنيا تُديمُ نَعيمَها ، فهي الصَّناعُ ، وكفُّها الخَرقاءُ[1]
تشأى النَّجاوَ عليَّ ، وهيَ بفتْكِها ، ضِرْغامَةٌ ، وبلونِها حِرْباءُ[2]
إنَّ المكارمَ كُنَّ سِرْباً رائداً ، حتى كَنَسْنَ ، كأنَّهُنَّ ظِباءُ[3]
وطفِقْتُ أمثالُ عن أغرَّ مُحجَّلٍ ، فاذا الأنامُ جِبِلَّةٌ دَهْماءُ[4]
حتى دُفِعْتُ الى المعزِّ ، خليفةً ، فعلمتُ أنَّ المَطْلَبَ الخُلَفاءُ
جُودٌ ، كأنَّ اليَمَّ فيه نُفاثَةٌ ، وكأنما الدُّنيا عليه غُثاءُ[5]
مَلِكٌ ، إذا نَطَقَتْ عُلاه بَمَدحِه خَرِسَ الوُفُودُ ، وأفحِمَ الخُطباءُ
هوَ عِلَّةُ الدُّنيا ، ومَن خُلِقَتْ لهُ ، ولِعِلَّةٍ ما كانتِ الأشياءُ
من صفوِ ماءِ الوحيِ ، وهو مُجاجَةٌ من حَوضِهِ اليَنبوعِ ، وهو شِفاءُ[6]
من أيكةِ الفِردَوسِ ، حيثُ تَفَتَّقَتْ ثمراتُها ، وتَفَيَّأَ الأفياءُ

---

١ الصناع : الحاذقة . الخرقاء : الحمقاء .
٢ تشأى : تسبق . النجاز : القتال . الفتك : القتل . الضرغامة : من صفات الاسد . الحرباء : الدويبة المعروفة بتلوّنها .
٣ السرب : القطيع . الرائد ، فاعل من راد : دار وذهب وجاء في طلب الشيء . كنسن : دخلن كناسهن ، وهو موضع في الشجر يستتر فيه .
٤ الاغر المحجل : اراد به الرجل الكريم الواضح كرمه ، على التشبيه بالفرس ذي الغرة ، اي ذي البياض في جبهته ، الذي في قوائمه تحجيل ، اي بياض واضح .
٥ النفاثة ، من النفث : وهو كالنفخ يرمى به الريق من الشفتين . الغثاء : ما يحمله السيل من الزبد والوسخ .
٦ المجاجة : الريق . الحوض : مجتمع الماء . الينبوع : اراد به المتدفق ماؤه .

مِن شُعلَةِ القَبَس، التي عُرِضت على — موسى، وقد حارت بِـه الظَّلْماء[1]

من مَعدِنِ التّقديس، وهْوَ سُلالةٌ — من جَوهَرِ المَلَكُوتِ، وهو ضِياء

من حيثُ يُقتَبسُ النهارُ لمُبْصِرٍ، — وتُشَقّ عَنْ مَكنونها الأنبـاء[2]

فتَيَقّظُوا مِنْ غَفلَةٍ، وتَنبَّهُوا، — مـا بالصَّباحِ عَنِ العيُونِ خَفـاء

ليسَتْ سَماءُ اللهِ مـا تَرْأونَها، — لكنّ أرضاً تحتَويـه سَمـاء[3]

أمّا كواكبُهـا لهُ، فخَواضِـعٌ، — تُخفي السُّجـودَ ويَظهرُ الايمـاء

والشّمسُ تَرجعُ عن سَناه جُفونُها، — فكأنّهـا مَطروفَةٌ رَمْهـاء[4]

هذا الشّفيعُ لأمّةٍ يأتي بهـا، — وجُدُودُه لجدودِهـا شُفَعـاء

هذا أمـينُ اللهِ، بـينَ عِبـادهِ، — وبِـلادِهِ، إنْ عُـدَّتِ الأمَنـاء

هذا الذي عَطَفَتْ عليه مَكّةٌ، — وشِعابُها، والرُّكنُ، والبَطحـاء[5]

هـذا الأغرُّ الأزهرُ المتألّقُ الْـ — مُتَدَفّقُ المُتَبلّجُ الوَضّاء[6]

---

١ القبس : قطعة من حطب تشعل فيها النار .
٢ اقتبس : اخذ شعلة . مكنونها : مستورها .
٣ ترأونها : ترونها .
٤ المرهاء : المصابة بالمره ، وهو مرض يصيب العين عند تركها الكحل .
٥ الشعاب : الطرق في الجبال . الركن من الشيء : جانبه الاقوى . بطحاء مكة : مسيل واديها .
٦ الازهر : المشرق الوجه . المتدفق : اراد المتدفق بالعطايا . المتبلج : الطلق الوجه .

فعَليه مِن سيمَا النبيِّ دَلالةٌ ، وعليهِ من نورِ الإله بَهاء

وَرِثَ المُقيمَ بيَثرِبٍ ، فالمِنبرُ الأ علَى له ، والتُّرعَةُ العَلياء[1]

والخُطبةُ الزَّهراءُ فيها الحكمةُ الـ غَرّاءُ فيها الحُجّةُ البَيضاء

لِلنّاسِ إجماعٌ على تَفضيلِه ، حتّى استَوى اللُّؤَماءُ والكُرَماء

واللُّكْنُ والفُصَحاءُ والبُعَداءُ والـ قُرَباءُ والخُصَماءُ والشُّهَداء[2]

ضرّابُ هامِ الرُّومِ ، مُنتَقِماً ، وفي أعناقِهم مِنْ جُودِهِ أعباء

تَجري أياديه ، التي أولاهُمُ ، فكأنّها بَينَ الدّماءِ دِماء

لولا انبِعاثُ السّيفِ ، وهْو مسلَّطٌ في قَتلِهم ، قَتَلَتْهُمُ النَّعْماء

كانت ملوكُ الأعجَمَينِ أعِزّةً ، فأذَلّها ذو العِزّةِ الأبّاء[3]

لنْ تصغُرَ العُظَماءُ في سُلطانِهم ، إلاّ إذا دَلَفَتْ لها العُظَماء[4]

تَجهلَ البَطارِقُ أنّهُ المَلِكُ الذي أوصَى ، البَنينَ بسِلمِه ، الآباء[5]

حتى رَأَى جُهّالُهُمْ ، مِن عَزمِهِ ، غَيبٌ الذي شَهِدَتْ بِه العُلَماء

---

١ المقيم بيثرب : اراد به النبي . الترعة العلياء : اراد بها باب الجنة .

٢ اللكن ، الواحد ألكن : العي ، الثقيل اللسان .

٣ الأبّاء : الذي يأبى الضيم .

٤ دلفت : تقدمت ، مشت .

٥ البطارق ، الواحد بطريق : القائد من قواد الروم .

فتَقاصَروا من بعدِ ما حَكَمَ الرَّدى ، ومَضى الوَعيدُ وشُبَّتِ الهَيجاءُ[1]
والسَّيلُ ليسَ يحيد عن مُستَنِّهِ ؛ والسَّهمُ لا يُدلَى به غُلَواءُ[2]
لم يُشرِكوا في أنَّه خَيرُ الورى ، ولِذي البَرِيَّةِ عِندَهُمْ شُرَكاءُ
وإذا أقرَّ المشرِكونَ بفَضلِهِ ، قَسْراً ، فما أدراكَ ما الحُنَفاءُ[3]
في اللهِ يَسْري جُودُهُ وجُنودُهُ ، وعَديدُهُ والعزمُ والآراءُ
أوَما تَرى دُوَلَ المُلوكِ تُطيعُهُ ، فكأنَّها خَوَلٌ لهُ وإماءُ[4]
نَزَلَتْ ملائكةُ السَّماءِ بنَصرِهِ ، وأطاعَهُ الإصباحُ والإمساءُ
والفُلْكُ ، والفَلَكُ المُدارُ وسَعْدُهُ ، والغَزْوُ في الدأماءِ ، والدَّأماءُ[5]
والدَّهرُ ، والأيّامُ ، في تَصريفِها ، والنّاسُ والخَضْراءُ والغَبراءُ[6]
أينَ المفرُّ ، ولا مَفرَّ لِهارِبٍ ، ولكَ البَسيطانِ : الثَّرى والماءُ
ولكَ الجواري المُنشَآتُ ، مَواخِراً ، تَجري بأمرِكَ ، والرِّياحُ رُخاءُ[7]

---

١ تقاصروا : انتهوا ، وكفّوا .
٢ مستنه : موضع جريه . يدلى به ، من دلى الدلو : جذبها ليخرجها من البئر . الغلواء : نشاط الشباب .
٣ قسراً : قهراً . الحنفاء ، الواحد الحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام ، والثابت عليه .
٤ الخول : العبيد . الاماء ، الواحدة امة : المملوكة .
٥ الفلك : السفينة . الدأماء : البحر .
٦ الخضراء : السماء لخضرتها . الغبراء : الارض ؛ لما فيها من الغبار ، أو لغبرة لونها .
٧ الجواري : السفن ، الواحدة جارية. المواخر ، الواحدة ماخرة : التي تشق الماء مع صوت .

والحاملاتُ ، وكلُّها محمولةٌ ؛ والنّاتِجاتُ ، وكلُّها عذراء[1]
والأعوجيّاتُ ، التي إن سُوبِقَتْ سَبَقَتْ ، وجَرْيُ المُذْكِياتِ غِلاء[2]
الطائراتُ السّابحاتُ السّابقا تُ ، النّاجياتُ إذا استُحِثَّ نَجاء[3]
فالبأسُ ، في حَمَسِ الوغى ، لكُماتِها والكبرياءُ لهُنَّ ، والخُيَلاء[4]
لا يَصْدِرونَ نُحورَها ، يومَ الوغى ، إلا كما صَبَغَ الخُدودَ حَياء[5]
شُمُّ العَوالي والأُنوفِ ، تَبَسَّموا تحت القُنوسِ ، فأظلَموا وأضاءُوا[6]
لَبِسوا الحديدَ على الحديدِ ، مُظاهَراً ، حتى اليَلامِقُ والدُّروعُ سَواء[7]
وتَقَنَّعوا الفولاذَ ، حتى المُقلةُ النَّجلاءُ ، فيها المُقلةُ الحَوصاء[8]

---

١ الحاملات : اي الحاملات الجنود . محمولة : اي يحملها البحر . الناتجات : اي التي تنتج لمن يركب فيها . وقوله عذراء : اي ليس لها مثيل سابق لها .
٢ الاعوجيات : الخيول المنسوبة الى اعوج ؛ وهو فرس كريم . وقوله : وجري المذكيات غلاء : مثل يضرب للخيول التي تتجاوز في جريها المدى . والمذكيات : الخيول التي تم سنها .
٣ السابحات ، الواحدة سابحة : التي تسبح في جريها ، مارّة مروراً سريعاً . الناجيات ، الواحدة ناجية : المسرعة .
٤ الحمس : الشدة في الامر .
٥ اراد ان هذه الخيول لا تعاد من الحرب الا مصبوغة نحورها بدماء الاعداء .
٦ القنوس ، الواحد قنس : اعلى بيضة الحديد .
٧ مظاهراً : اي الواحد منه فوق الآخر . اليلامق ، الواحد يلمق : القباء المحشو .
٨ المقلة النجلاء : العين الواسعة الحسنة : الحوصاء : الضيقة . اي انهم تقنعوا بالحديد حتى عيونهم فصارت مقلتهم الواسعة ضيقة .

فكأنّما ، فوقَ الأكُفّ ، بَوارقٌ ؛ وكأنّما ، فوقَ المُتونِ ، إضاءُ ١
من كلّ مَسرُودِ الدّخارِصِ ، فوقَه حُبُكٌ ، ومَصقولٍ ، عليه هَباءُ ٢
وتَعانَقوا ، حتى رُدَيْنيّاتُهم عَطْشى ، وبِيضُهمُ الرِّقاقُ رِواءُ ٣
أعْزَزْتَ دِينَ اللهِ ، يا ابنَ نبيّه ، فاليَومَ فيهِ تَخَمُّطٌ وإباءُ ٤
فأقلُّ حظِّ العُرْبِ منكَ سعادةٌ ؛ وأقلُّ حظِّ الرُّومِ منكَ شقاءُ
فإذا بعثتَ الجيشَ ، فهو منيّةٌ ؛ وإذا رأيتَ الرأيَ ، فهوَ قضاءُ
يَكسو نَداكَ الرّوضَ ، قبلَ أوانِه ، وتَحيدُ عنكَ اللَّزْبَةُ اللأواءُ ٥
وصِفاتُ ذاتِكَ منكَ يأخُذُها الوَرى ، في المَكرُمات ، فكلُّها أسماءُ ٦
قد جالتِ الأوهامُ فيكَ ، فدقّتِ الأ فكارُ عنكَ ، فجَلّتِ الآلاءُ ٧
فعَنَتْ لكَ الأبصارُ ، وانقادَتْ لكَ الأقدارُ ، واستَحْيَتْ لكَ الأنواءُ ٨

---

١ الاضاء ، الواحدة اضاة : الغدير . وقوله بوارق : تشبيه للمعان السيوف بالبرق .
٢ المسرود : المنسوج . الدخارص ، الواحد دخريص : وهو ما يوصل به بدن الدرع توسيعاً له . الحبك : الخطوط . الهباء : الغبار .
٣ الردينيات : الرماح نسبة الى امرأة تدعى ردينة كانت تقوّم الرماح بخط هجر .
٤ تخمط : تكبر .
٥ اللزبة : الشدة . اللأواء : الشديدة .
٦ يريد ان صفاته في المكرمات لصدقها على ذاته صارت كأنها اسماء له يُعرف بها .
٧ الآلاء : النعم ، الواحد ألى .
٨ الانواء ، الواحد نوء : وهو سقوط نجم بالغد في المغرب وطلوع نجم بحياله في المشرق . ويضاف الى الساقط الامطار والرياح والحر والبرد . اراد ان الامطار تخجل منه لانه اجود منها .

وتجمّعتْ فيك القلوبُ على الرّضى ؛ ... وتشيّعتْ في حبّكَ الأهواءُ[1]

أنتَ الذي فَصلَ الخِطابَ، وإنّما ... بكَ حُكّمتْ في مدحِكَ الشعراءُ

وأخصّ مَنزِلةً من الشعراءِ، في ... أمثالِها المضروبةِ، الحُكَماءُ

أخَذُوا الكلامَ، كثيرَهُ وقليلَه، ... قِسمَينِ: دا داءٌ وذاكَ دَواءُ

دانُوا بأنّ مديحَهُمْ لكَ طاعةٌ، ... فَرْضٌ، فليسَ لهم عليكَ جَزاءُ

فاسلَمْ، إذا رابَ البريّةَ حادثٌ؛ ... واخلُدْ، إذا عمّ النفوسَ فَناءُ

يَفْديكَ شَهْرُ صِيامِنا وقيامِنا، ... ثمّ الشهورُ له بذاكَ فِداءُ

فيه تنزّلَ كلُّ وَحْيٍ مُنزَلٍ، ... فلأهلِ بَيتِ الوحيِ فيه ثَناءُ

فتَطُولُ فيه أكفُّ آلِ مُحمّدٍ، ... وتُغَلُّ فيه عن النّدى الطُّلَقاءُ[2]

ما زلتَ تَقضي فَرضَه وأمامَه ... ووراءَهُ لكَ نائلٌ وحِباءُ

حَسْبي بمدحِك فيه ذُخراً، إنّه ... للنُّسْكِ، عند الناسكين، كِفاءُ

هيهات منّا شكرُ ما تُولي، ولو ... شكَرَتْكَ، قبلَ الألسُنِ، الأعضاءُ

واللهُ في عَليائكَ أصدقُ قائلٍ، ... فكأنّ قولَ القائلينَ هُذاءُ[3]

لا تسألنّ عنِ الزّمانِ، فإنّه، ... في راحتَيكَ، يَدُورُ كيفَ تَشاءُ

---

١ تشيعت : اراد ائتلفت .

٢ الطلقاء : الاسرى اذا اطلق سبيلهم ، واراد بهم هنا بني العباس ، لان جدهم اسر في غزوة بدر ، فأخذ النبي الفدية منه واطلقه .

٣ الهذاء : اراد به الهذيان .

نظام الدين وابن نبيه

قال يمدح الخليفة المعزّ لدين الله :

أقولُ دُمًى، وهيَ الحِسانُ الرّعابيبُ، ... ومِن دونِ أستارِ القِبابِ مَحاريبُ [1]

نَوًى أبعَدَتْ طائيّةً ومَزارَها؛ ... ألا كلُّ طائيٍّ الى القلبِ محبوبُ

سَلوا طَيِّئَ الأجبالِ : أينَ خيامُها؟ ... وما أجَأٌ إلا حِصانٌ ويعبوبُ [2]

هُمُ جَنَبُوا ذا القلبَ طَوعَ قيادِهم، ... وقد يشهدُ الطّرفُ الوغى، وهو مجنوبُ [3]

وهم جاوزوا طلحَ الشواجنِ والغضا، ... تخبُّ بهم جُردٌ اللقاءِ، السراحيبُ [4]

قِبابٌ، وأحبابٌ، وجُلهُمَةُ العِدى، ... وخَيلٌ عِرابٌ، فوقَهنّ أعاريبُ [5]

إذا لم أذُدْ، عن ذلكَ الماءِ، وِردَهم، ... وإنْ حَنَّ وُرّادٌ كما حنّتِ النّيبُ [6]

---

١ الدُمى ، الواحدة دمية : الصورة المنقوشة فيها حمرة كالدم ، وقد تكون من الرخام . الرعابيب ، الواحدة رعبوبة : الجارية الناعمة الحسنة . المحاريب ، الواحد محراب : الشجاع المحارب .

٢ اجأ : احد جبال طيء الثلاثة . الحصان : الفرس العتيق . اليعبوب : الفرس الكثير الجري .

٣ جنبه : قاده الى جنبه .

٤ الطلح : شجر . الشواجن ، الواحدة شاجنة : الوادي يكثر شجره وينبت نباتاً حسناً . تخب : تجري بسرعة . السراحيب ، الواحد سرحوب : الفرس الطويلة الحسنة الجسم .

٥ الجلهمة : حافة الوادي . العراب : الكريمة .

٦ لم اذد : لم امنع . الورد : القوم يردون الماء . النيب ، الواحدة ناب : الناقة المسنة .

فلا حمَلَتْ بيضَ السُّيوفِ قوائِمٌ؛ ولا صَحِبَتْ سُمْرَ الرِّماحِ أنابيبُ[1]
وهل يَرِدُ الغَيرانُ ماءً وَرَدْتُه ، إذا وَرَدَ الضِّرغامُ لم يلغِ الذِّئبُ
وعَهدي به ، والعيشُ مثل جِمامِه ، نميرٌ بماءِ الوردِ والمِسكِ مقطوبُ[2]
وما تفتأ الحَسناءُ تُهدي خيالَها ، ومِنْ دُونِها إسآدُ خِمْسٍ وتأويبُ[3]
وما راعَني إلاّ ابنُ وَرقاءَ هاتفٌ ، بعَينَيه جمرٌ مِن ضُلوعيَ مشبوبُ[4]
وقد أنكرَ الدَّوحَ الذي يستظِلُّه ، وسَحَّتْ له الأغصانُ، وهي أهاضيبُ[5]
وحثَّ جَناحَيهِ ليختَطِفَ قلبَهُ ، عِشاءً، سَذانيقُ الدُّجى،وهو غِربيبُ[6]
ألا أيُّها الباكي على غيرِ أيكهِ ، كِلانا فريدٌ بالسَّماوةِ ، مَغلوبُ[7]
فؤادُكَ خفّاقٌ ، ووكرُكَ نازحٌ ، ورَوضُكَ مطلولٌ، وبانُكَ مَهضوبُ[8]
هَلُمَّ ، على أنّي أقيكَ بأضلُعي، فأملِكُ دمعي عنكَ، وهْوَ شآبيبُ[9]

---

١ القوائم ، الواحدة قائمة : مقبض السيف . الانابيب ، الواحد انبوب : ما بين كعبي الرمح من قصب . والرمح .
٢ الجمام : الماء الكثير . النمير : الزاكي من الماء . مقطوب : ممزوج .
٣ اسآد : سير الليل . التأويب : سير النهار .
٤ ابن ورقاء : فرخ الحمام .
٥ سحت : صبت ماءها . الاهاضيب : الدفعات من المطر ، الواحدة اهضوبة .
٦ حث : حرّك . السذانيق : الصقر . الغربيب : الاسود .
٧ السماوة : بادية بين الكوفة والشام .
٨ المهضوب : المبلول .
٩ الشآبيب ، الواحد شؤبوب : شدة دفع المطر .

تُكِنُّكَ لي مَوشِيَّةٌ عبقريّةٌ ، كَرِيشِكَ ، إلاّ أنّهُنّ جَلابيب[1]
فلا شَدْوَ إلاّ مِنْ رَنِينِكَ شائقٌ ؛ ولا دَمْعَ إلاّ مِنْ جُفونيَ مَسكوب
ولا مَدْحَ إلاّ للمُعِزّ حقيقةٌ ، يُفَصِّلُ دُرّاً ، والمَدِيحُ أساليب
نِجارٌ، على البيتِ الأماميّ ، مُعتَلٍ ؛ وحُكْمٌ الى العَدلِ الرُّبوبيّ مَنسوب[2]
يُصَلّي عليه أصفرُ القِدْحِ ، صائبٌ ، وعَوجاءُ مِرنانٌ ، وجَرداءُ سرحوب[3]
وأسمرُ عَرّاصُ الكُعوبِ ، مُثَقَّفٌ ، وأبيضُ مشقوقُ العَقيقةِ ، مخشوب[4]
لأسيافِهِ ، من بُدْنِهِ وعُصاتِهِ ، نجيعانِ : مُهراقٌ عَبيطٌ ، ومَصبوب[5]
فإن تَكُ حربٌ ، فالمَفارِقُ والطُّلى ، وإن يَكُ سِلْمٌ ، فالشوى والعَراقيب[6]

---

١ تكنك : تسترك. الموشية ، من الوشي: وهو خلط لون بلون . والنمنمة والنقش والتحسين. العبقرية : الجيدة الصنعة ، القوية .
٢ النجار : الاصل ، والحسب . الربوبي : المنسوب الى الرب .
٣ القدح : السهم قبل ان ينصل ويراش . العوجاء : القوس . المرنان : الكثيرة الرنين . الجرداء : القصيرة الشعر ، وهذا من علامات العتق والكرم في الخيل . السرحوب : الفرس الطويل الحسن الجسم .
٤ العراص : اللدن. وقوله : مشقوق العقيقة ، اراد براقاً . وعقيقة البرق اذا رأيته وسط السحاب كسيف مسلول . المخشوب : الصقيل .
٥ البدن ، الواحدة بدنة : وهي من الابل والبقر كالاضحية من الغنم تهدى الى مكة . النجيعان ، مثنى النجيع : الدم المصبوب . المهراق : المصبوب . العبيط : الطري .
٦ الطلى : الاعناق ، الواحدة طلية وطلاة . الشوى : اطراف الانسان . العراقيب ، الواحد عرقوب : عصب غليظ فوق عقب الانسان . وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .

أعِزّةٌ مَنْ يُحْذى النّعالَ ، أذِلّةٌ لهُ ، ومُلوكُ العالَمينَ قَراضيبُ[1]

وما هو إلاّ أنْ يُشيرَ بلَحْظِه ، فتَمخرُ فُلْكٌ ، أو تُغِذّ مَقانيبُ[2]

فلا قارعٌ ، إلاّ القنا السُّمرُ بالقنا ، إذا قُرعَتْ للحادثاتِ الظّنابيبُ[3]

ولم أرَ ذُوّاراً كَسيفك للعِدى ؛ فهَلْ عندَ هامِ الرّوم أهلٌ وترحيبُ ؟

إذا ذَكروا آثارَ سَيفكَ فيهمُ ، فلا القَطرُ معدودٌ ولا الرّمل محسوبُ

وفيما اصطلوا مِنْ حَرّ بَأسكَ واعظٌ ؛ وفيما أذيقوا من عَذابكَ تأديبُ

ولكنْ ، لعِلّ الجاثليقَ يَغُرّهُ ، على حلَبٍ ، نَهْبٌ هُنالكَ مَنهوبُ[4]

وثغرٌ بأطرافِ الشآمِ ، مُضَيَّعٌ ، وتفريقُ أهواءٍ مِراضٍ ، وتخريبُ

وما كلُّ ثَغرٍ مُمْكِنٌ فيه فُرصةٌ ؛ ولا كلُّ ماءٍ بالجدالةِ مَشروبُ[5]

ومِن دُونِ شِعْبٍ أنتَ حاميه مَعْرَكٌ وبيءٌ ، وتصميمٌ كَريهٌ ، وتصويبُ[6]

وصَعْقٌ برُكْنِ الأفقِ ، وابنُ طهارةٍ ، يَذُبُّ عَنِ الفُرقانِ ، بالتّاجِ مَعصوبُ[7]

---

١ القراضيب : الفقراء ، الواحد قرضوب .
٢ تمخر : تشق الماء . تغذ السير : تسرع . المقانيب : الجماعات من الخيل ، الواحد مقنب .
٣ الظنابيب : حروف الساق من قدام ، الواحد ظنبوب .
٤ الجاثليق : الرئيس عند الروم .
٥ الجدالة : الارض .
٦ الوبيء : الكثير الوباء ، وهو كل مرض عام .
٧ الصعق : شدة الصوت . وقوله : وابن طهارة ، اراد المعز ، لانه من آل البيت .

وجُرْدٌ عناجيجٌ، وبيضٌ صوارمٌ، وصُيّابةٌ مُرْدٌ، وكُرّامةٌ شِيبُ[1]

وسُفْنٌ، إذا ما خاضتِ اليمّ زاخراً، جَلَتْ عن بَياضِ النّصرِ، وهي غرابيبُ[2]

تُشَبُّ لها حمراءُ، فانٍ أوارُها، سَبوحٌ لها ذيلٌ، على الماءِ، مسحوبُ[3]

لَقيتَ بني مروانَ جانبَ ثغرِهِم، وحَظّهُمُ من ذاكَ خُسْرٌ وتَتْبيبُ[4]

وعارٌ بقومٍ أنْ أعدّوا سَوابحاً صُفُوناً، بها عن نُصرةِ الدين تَنكيبُ[5]

وقد عَجَزوا، في ثَغرِهِمْ، عن عدُوّهم، بحيثُ تَجُولُ المُقرَباتُ اليعابيبُ[6]

وجَيشُكَ يَعتادُ الهِرَقْلَ بسيفه، ومِن دونهِ اليمُّ الغُطامِطُ، واللُّوبُ[7]

يُخَضخِضُ هذا المَوجَ، حتى عُبابُه، إذا التجّ، من هامِ البَطاريقِ مَخضوبُ[8]

---

١ العناجيج، الواحد عنجوج : النجيب من الخيل. الصيابة : الخيار من كل شيء. الكرّامة : المفرطون في الكرم .

٢ غرابيب : سود ، اراد انها مطلية بالزفت .

٣ اوارها : دخانها . وأراد بالحمراء : نيران السفن الحربية .

٤ التتبيب : الاهلاك .

٥ الصفون ، الواحد صافن : وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد اقام الرابعة على طرف الحافر ، وهذا من صفات الخيول الجياد .

٦ المقربات : الخيول الكريمة .

٧ يعتاد : يصير الشيء عادة له . الهرقل : ملك الروم . الغطامط : العظيم الامواج. اللوب، الواحدة لابة : الحرة ، ارض ذات حجارة نخرة سود .

٨ عبابه : معظم ارتفاع مائه . التج البحر : اضطرب . البطاريق ، الواحد بطريق : قائد الروم .

فمأثورُ ذِكرِ المجدِ فيها مُقَضَّضٌ ، وفوقَ حديدِ الهندِ منهنَّ تذهيب[1]
ومن عجبٍ أنْ تشجُرَ الرومُ بالقنا ، فتُوطَأَ أغمارٌ وهَضْبٌ شناخيب[2]
وتنومُ بني العبّاسِ فوقَ جُنوبهم ، ولا نصْرَ ، إلاّ قينةٌ وأكاويب[3]
وأنتَ كلوءُ الدهرِ، لا الطرْفُ هاجعٌ ، ولا العزمُ مردوعٌ، ولا الجأشُ منخوب[4]
هُمُ أهلُ جرّاها ، وأنتَ ابنُ حربِها ، ففي القربِ تبعيدٌ ، وفي البعدِ تقريب[5]
ولا عَجَبٌ ، والثغرُ ثغرُكَ كلُّه ، وأنتَ وليُّ الثأرِ ، والثأرُ مطلوب
وأنتَ نِظامُ الدينِ ، وابنُ نبيّه ، وذو الأمرِ مَدعوٌّ إليه ، فمَندُوب
سيجلو دُجى الدِّينِ الحنيفِ سُرادقٌ من الشمسِ ، فوقَ البرِّ والبحرِ مضروب[6]
وعزمٌ يُظِلُّ الخافقينِ ، كأنّه على أُفُقِ الدُّنيا بِناءٌ ، وتطنيب[7]
ويُسْلِمُ ، أرمينيّةٌ وذَوَاتُها ، صليبٌ ، لنُصحِ الأرمَنيِّينَ ، منصوب

---

١ المأثور : المنقول .
٢ تشجر : تطعن . الاغمار ، الواحد غمر : الماء الكثير . الشناخيب : رؤوس الجبال ، الواحد شنخوب .
٣ الاكاويب ، اكواز الخمر ، الواحد كوب .
٤ الكلوء : الحافظ . الجأش : روع القلب . المنخوب : الجبان .
٥ اهل جراها : اراد اهل جريرتها ، ذنبها . يعيّر بني العباس بانهم على قربهم من الروم لا يستطيعون دفعهم ، وان المعز على بعده عنهم يحاربهم .
٦ السرادق : الفسطاط ، الخيمة الكبيرة .
٧ التطنيب ، من طنب البيت : شده بالاطناب ، اي الحبال .

وحَسْبِيَ ممّا كان أو هو كائنٌ ، دليلانِ : علمٌ بالإله ، وتجريب

ولم تَخترِقْ سِجْفَ الغيوبِ هَواجسي ، ولكنّه مَن حاربَ اللهَ مَحروب

وأعلَمُ أنّ اللهَ مُنجِزُ وَعدِهِ ، فلا القولُ مأفوكٌ ، ولا الوعدُ مكذوب[1]

وأنتَ مُعَمَّدٌ ، وارثُ الأرضِ كلِّها ، فقد حُمّ مَقدُورٌ ، وقد خُطّ مكتوب

ولله عِلمٌ ليس يُحجَبُ دونَكم ، ولكنّه ، عن سائرِ الناس ، مَحجوب

ألا إنّما أسماؤكُمْ حقٌّ مِثلِكم ، وكلُّ الذي تُسْمى البريّةُ تلقيب

إذا ما مَدَحناكم تَضَوّعَ ، بينَنا وبَينَ القَوافي من مَكارمِكم ، طِيب

فإن أكُ مَحسوداً على حُرّ مَدحِكم ، فغَيرُ نَكيرٍ ، في الزّمانِ ، الأعاجيب

أراني ، إذا ما قُلتُ بَيتاً ، تنكّرَت وُجوهٌ ، كما غَشّى الصّحائفَ تَتريب[2]

أفي كلّ عَصرٍ قلتُ فيه قصيدةً ، عليّ لأهلِ الجَهْلِ لَومٌ وتَثريب؟

وما غاظَ حُسّادي سِوى الصدقِ وحدَه ، وما مِن سَجايا مِثليَ الإفكُ والحُوب[3]

وما قصدُ مثلي ، في القَصيدِ ، ضَراعةٌ ، ولا مِنْ خِلالي فيه حِرْصٌ وترغيب

أرى أعيُناً خُزْراً إليّ ، وإنّما دليلاً نفوسِ النّاسِ بِشرٌ وتَقطيب

أبِنْ موضِعي فيهم ليفخرَ غالبٌ ، يَبِينُ بِسِماه ، ويُدْحَرَ مغلوب[4]

---

١ مأفوك : مكذوب .

٢ الصحائف : الوجوه . تتريب : تلطيخ بالتراب ، كناية عن اصفرار الوجوه .

٣ الحوب : الاثم .

٤ سيماه : هيئته ، يدحر : يطرد ويبعد .

وقد أكثروا، فاحكم حكومةَ فيصلٍ، ليُعرَفَ ربٌّ، في القريض، ومربوب[1]
فمدحُكَ مفروضٌ، وحكمكَ مرتضى، وهَذْيُكَ مَرغوبٌ، وسُخطُكَ مرهوب
وذِكرُكَ تقديسٌ، وأنتَ دلالةٌ، وحُبُّكَ تصديقٌ، وبُغضُكَ تكذيب
ألا إنّما الدُّنيا رِضاكَ لِعاقِلٍ، وإلاّ فإنَّ العَيشَ هَمٌّ وتَعذيب
وإن طالَ عُمرٌ في نعيمٍ وغِبطةٍ، فما هو إلاّ من يمينك موهوب[2]

---

١ الفيصل : الذي يفصل بين الامور .
٢ الغبطة : من غبطه : تمنى مثل حاله .

حجت بنا حرم الامام

وقال يمدح الخليفة المعز لدين
الله ويقال ان هذه القصيدة
أول شعر مدحه به :

هل كانَ ضَمَّخَ ، بالعبير ، الرِّيحا ، مُزنٌ يُهَزُّ البرقُ فيـــه صَفيحا[1]
تُهْدِي تحيّـاتِ القلوبِ ، وإنّما تُهـدي بهنَّ الوجْدَ والتّبريحا[2]
شَرِقَتْ بماءِ الوَرْدِ بلّلَ جَيْبَها ، فسَرَتْ تُرَقرِقُ دُرَّه المَنْضُوحا[3]
أنفاسُ طيبٍ بِتْنَ في دِرْعِهِ ، وقد باتَ الخيالُ ، وراءهُنَّ ، طَليحا[4]
بل ما لهذا البرقِ صِلاً مُطرِقاً ، ولأيِّ شملِ الشائمين أُتيحا ؟[5]
يُدْني الصَّباحَ بخَطْوه ، فعلامَ لا يُدني الخليطَ ، وقد أجَدَّ نُزُوحا ؟[6]

---

١ ضمخ : لطخ . الصفيح : السيف .
٢ تهدي : الضمير عائد الى الريح . التبريح : شدة الشوق .
٣ شرقت : غصت . الجيب : طوق القميص ، استعاره للريح . ترقرق : تصب . دره : اراد قطراته التي هي كالدر . والضمير يعود الى ماء الورد المستعار للمطر . المنضوح : المرشوش .
٤ الطليح : المتعب ، المعي .
٥ الصل : الحية . المطرق : المرخي عينيه ينظر الى الارض ساكتاً . الشائمين ، من شام البرق : نظر اليه . اتيح : هيء وقدر . شبّه البرق بالصلّ في شكله ، وسأل من ذا الذي قدر له ان يلدغه هذا الصل ويهلكه .
٦ الخليط : الصاحب والمخالط . اجد نزوحاً : جد في سيره باعداً .

ابن عبد ربه

حَرف البَاءِ

قال : « ومن قولنا في وصف الحرب » :

(من الطويل)

سُيوفٌ يَقيلُ الموتُ تحتَ ظُباتِها … لها في الكُلى طُعمٌ وبين الكلى شربُ
إذا اصطفّتِ الرّاياتُ حُمراً متونُها … ذوائبُها تهفو فيهفو لها القلبُ
ولم تَنْطِقِ الأبطالُ إلاّ بفِعلها … فألسُنُها عُجمٌ وأفعالُها عُرْبُ !
إذا ما التَقَوْا في مأزقٍ وتَعانَقوا … فلقياهمُ طَعنٌ وتعنيقُهُمْ ضَرْبُ

وقال :

(من الطويل)

مُعَذِّبتي رِفْقاً بقلبٍ مُعَذَّبِ … وإن كان يرضيكِ العذابُ فعذّبي
لَعَمري لقد باعدْتِ غيرَ مُباعِدٍ … كما أنّني قرّبْتُ غيرَ مُقَرَّبِ
بنفسيَ بَدْرٌ أخمَلَ البَدْرَ نورُهُ … وشَمسٌ متى تطلُعْ إلى الشّمسِ تغربِ
لو أنّ امرأَ القيسِ بن حُجرٍ بدتْ له … لما قال: « مرّا بي على أُمّ جندبِ »[1]

(١) من قول امرئ القيس في مطلع قصيدة له « الديوان ٤١ » :
خليلَيّ مرّا بي على أمّ جندبِ … نقضّ لبانات الفؤاد المعذّبِ

وقال : (*)

(من الطويل)

لقدْ سجَعتْ في جُنْحِ ليلٍ حمامةٌ ... نأيٌّ أسىً هاجتْ على الهائمِ الصَّبْ
لكِ الويلُ كم هيجتِ شجواً بلاجوى ... وشكوى بلا شكوى وكرباً بلا كربِ
وأسكبتِ دمعاً من جفونِ مُسَهَّدٍ ... وما رقرقتْ منكِ المدامعُ بالسَّكبِ

وقال :

(من الطويل)

أيقتُلُني دائي وأنتَ طبيبي ... قريبٌ وهل من لا يُرَى بقريبِ ؟
لئن خنتَ عهدي إنَّني غيرُ خائنٍ ... وأيُّ محبٍّ خانَ عهدَ حبيبِ ؟
وساحبةٍ فضلَ الذُّيولِ كأنَّها ... قضيبٌ من الرَّيحان فوقَ كثيبِ
إذا ما بَدتْ من خِدْرِها قال صاحبي : أطعْني وخُذْ من وصلها بنصيبِ !
«فما كلَّ ذي لبٍّ بمؤتيكَ نُصحَهُ ... وما كلُّ مؤتٍ نصحهُ بلبيبِ ! »[1]

قال : «ومن قولنا في وصف الدّنيا» (*) :

(من الطويل)

ألا إنّما الدّنيا نضارةُ[2] أيكةٍ ... إذا اخضرَّ منها جانبٌ جفَّ جانبُ

(*) أورد الشاعر الأبيات لنفسه في العقد «كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومخارجه» ، تحت فصل «قولهم في الحمام» وقدم لها بقوله «ومن قولنا» .
(1) البيت مضمن ، وهو لأبي الأسود الدؤلي «العقد» : ٤٤٤» .
(*) قدم الضبي في «بغية الملتمس» للأبيات بقوله «ومن شعره في طريقة الزهد» .
(2) في بعض الأصول الأندلسية المتقدمة «غضارة» . وغضارة النبات : بطوبته وطراوته .

هي [illegible] الآمال إلا فجائعٌ عليها ولا اللذّات إلا مصائبُ
فكمْ سخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ(1) وقرّتْ عيونٌ دمعُها اليومَ ساكبُ
فلا تكتحلْ عيناكَ فيها بعبرةٍ على ذاهبٍ منها فإنّكَ ذاهبُ !

وقال (*)

(من الطويل)

ديارٌ عفتْ تبكي السّحاب طلولَها وما طللٌ تبكي عليه السّحائبُ ؟
وتنادُبها الأرواحُ حتّى حسبتُها(2) صَدى حُفْرةٍ(3) قامتْ عليها النوادبُ !

وقال

(من المديد)

عاتبٌ ظلّتُ لهُ عاتباً ربَّ مطلوبٍ غدا طالبا
مَنْ يتُبْ عن حبِّ معشوقِه لستُ عن حُبّي له تائبا
فالهوى لي قدرٌ غالبٌ كيف أعصي القَدَرَ الغالبا
ساكنَ القَصْرِ ومَنْ حلَّه أصبحَ القلْبُ بكُمْ ذاهبا
« إعلَموا أنّي لكمْ حافظٌ شاهداً ما عشتُ أو غائبا »(4)

(1) سخنة العين ضد قرتها ، وأسخن الله عينه : أبكاه .
(*) البيتان في كتاب التشبيهات « 166 » في باب الوقوف على الديار والربوع .
(2) الأرواح جمع روح : نسيم الريح .
(3) الصدى طائر خرافي ، زعموا أنه يخلق من رأس المقتول ، ولا يزال يقول : اسقوني حتى يؤخذ بثأره . وهو معنى يتردد في الشعر الجاهلي بخاصة . والحفرة هنا القبر .
(4) من أبيات العروض . المعيار 33 والإقناع 12 « ويروى : أم غائبا .

وقال في معنى « الاستدلال باللحظ على الضمير

(من المديد)

صاحبٌ في الحُبِّ مكذوبُ دمعُهُ بالشوقِ مسكوبُ
كلُّ ما تَطوي جوانحُهُ فهو في العينين مكتوبُ

وقال في معنى « طلب الرغائب واحتمال المغارم » :

(من البسيط)

والحرُّ لا يكتفي من نيلِ مكرُمةٍ حتى يرومَ التي من دونها العطَبُ
يَسعى به أملٌ من دُونِهِ أجَلٌ إن كفَّهُ رَهَبٌ يستدعيه رَغَبُ
لذاكَ ما سالَ موسى ربَّهُ « أرني أنظُرْ إليكَ[1] » وفي تسآله عَجَبُ
يَبْغي التَّزَيُّدَ فيما نالَ من كَرَمٍ وهو النجيُّ لديهِ الوحيُ والكُتُبُ

وقال في معنى « الأدب في العيادة » (*) :

(من البسيط)

روحُ النَّدى بين أثوابِ العُلا وَصِبُ[2] يَعْتَنُّ في جَسَدٍ للمجدِ موْصوبِ[3]
ما أنتَ وحدك مكسواً شحوبَ فتىً بل كلُّنا بكَ من مُضْنًى ومشحوبِ
يا مَن عليهِ حجابٌ مِنْ جلالتهِ وإنْ بَدا لكَ يوماً غيرَ محجوبِ
ألقى عليكَ يداً للضرِّ كاشفةً كشّافُ ضرِّ نبيِّ اللهِ أيُّوبِ

---

(١) تضمين جزء من قوله تعالى في سورة الأعراف (٧ : ١٤٣) (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك) .
(*) من كتاب الياقوتة في العلم والأدب (العقد ٥ : ٤٥٤) .
(٢) الوصب : المرض ورجل وصب - بكسر الصاد - مريض .
(٣) متن : يعترض .

وقال في معنى «الحجاب» (*) :

(من البسيط)

ما بالُ بابكَ محروساً ببوّابِ ... يحميه من طارقٍ يأتي ومُنْتابِ
لا يحتجبْ وجهك الممقوتُ عن أحدٍ ... فالمقتُ يحجبُهُ من غير حُجّابِ !
فاعزلْ عن الباب من قد ظلّ يحجبهُ ... فإنّ وجهكَ طِلَّسْمٌ على البابِ !

وقال :

(من مخلّع البسيط)

كـآبةُ الذلِّ في كِتـابي ... ونخوةُ العزِّ في جَـوابي
قتلتَ نفساً بغيرِ نفسٍ ... فكيفَ تنجو من العذابِ ؟
خُلقتَ منْ بهجةٍ وطيبٍ ... إذ خلق الناسُ منْ تُرابِ
ولّتْ حُميّا الشّبابِ عنّي ... فلهفَ نفسي على الشّبابِ !
«أصبحتُ والشّيبُ قد علاني ... يدعو حثيثاً إلى الخضابِ» (1)

وقال في معنى الخضاب :

(من الوافر)

أصمّمَ في الغَوايةِ (2) أمْ أنابا ... وشيبُ الرأس قد خلسَ الشبابا

(*) من كتاب «اللؤلؤة في السلطان» من العقد 1 : 78 .
(1) البيت مضمن وهو من شواهد العروض «الوافي في العروض والقوافي 67» .
(2) الغواية مصدر غوى : أمعن في الضلال . وأناب : تاب .

إذا نصَلَ الخضابُ [1] بكى عليه ويضحكُ كلّما وصَلَ الخضابا
كأنَّ حمامَةً بيضاءَ ظلّتْ تُقابِلُ في مفارِقِهِ غُرابا

وقال في رجل كتب إليه بعِدَةٍ في صحيفةٍ ومَطلَه بها (٠) :

(من الوافر)

رجاءٌ دون أقربِهِ السّحابُ وَوعْدٌ مثلُ ما لمعَ السّرابْ
وتَسْويفٌ يكلُّ الصبرُ عنه ومطْلٌ ما يقومُ لهُ حسابْ
ودهرٌ سادتِ العُبدانُ فيهِ [2] وعاثَتْ في جوانبِه الذّئابْ
وأيّام خلَتْ من كلِّ خيرٍ ودُنيا قد توزَّعَها الكلابْ
كِلابٌ لو سألتَهُمْ تُراباً لقالوا : عندنا انقطعَ التّرابُ !
يعاقَبُ من أساءَ القولَ فيهمْ وإنْ يُحسِنْ فليسَ لهُ ثوابْ !

وقال (٠) :

(من الوافر)

رَشاً سَجدَ الجمالُ لِوَجْنتيهِ كما سجد النّصارى للصّليبِ
علَيهِ مـن محاسِنه شُهودٌ تُؤدّيها العيونُ إلى القلوبِ
يُلاعِبُ ظِلَّهُ طرَباً ولَهْواً كما لعبَ الشّمالُ مع الجنوبِ

(١) الخضاب : ما يختضب به (يلون به الشعر) ونصل الشعر : خرج من الخضاب .
(٠) أورد الشاعر ثلاثة أبيات من القطعة في فصل « استنجاز المواعيد » من كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد . وأورد خمسة أبيات منها في فصل «ذم الزمان» من كتاب الياقوتة في العلم والأدب من العقد . « وانظر الروايات والتخريجات » .
(٢) تجمع « عبد » على عبيد وعبد « بضمتين » وأعبد وعبدان .
(٠) ذكرها ابن الكتاني في كتاب التشبيهات في باب عقده « في الحسن » .

٧ -

وقال :

(من الكامل)

أمّا الخليطُ[1] فشادَ ما ذَهبوا … بانُوا ولم يقضوا الذي يجبُ
فالدارُ بَعدهم كوَشْمٍ بِيَـــدٍ … يا دارُ فيكِ وفيهمُ العَجَبُ !
أينَ التي صيغتْ محاسِنُها … من فِضّةٍ شِيبتْ بها ذهبْ ؟
ولَتي الشّبابُ فقلتُ أنْدُبُهُ … ـ لا مثلَ ما قالوا ولا ندبوا ـ :
« دِمَنٌ عفَتْ ومحا معالِمَها … هَطِلٌ أجشُّ وبارحٌ تَرِبُ »[2]

وقال :

(من الكامل)

عينيَّ كيفَ غررْتُما قلْبي … وأعِنْتُماهُ لَوعَةَ الحبِّ ؟ !
يا نَظرةً أذكتْ على كبِدي … ناراً قضيتُ بحرِّها نَحبي
حَمَلُوا جَوى قلبي أُكابِدُهُ … حَسْبي مكابدةُ الجوى ، حسبي !
عَينَي جنتْ من شُؤْمِ نظرتِها … ما لا دواءَ لهُ على قلبي
« جانيكَ من يجني عليكَ وقدْ … تُعدي الصِّحاحَ مبارِكُ الجُرْبِ »[3]

---

(١) الخليط : المخالط (للواحد والجمع) والمعنى هنا الحبيب ، أو الأحبة .
(٢) البيت مضمن وهو من شواهد العروض « المعيار ٤٧ والإقناع ٢٩ » . والدمن جمع دمنة : آثار الناس وما سودوا وخلفوا . وعفت المعالم : امحت ودرست . والهطل الأجش : المطر ذو الرعد . والبارح : الريح الباردة ، وترب صفة بارح ، أي المحملة بالتراب الذي سفي الديار فيخفي آثارها .
(٣) مبارك جمع مبرك اسم مكان من برك الجمل إذا أناخ . والجرب « بفتحتين » داء يصيب الجمال . والجرب جمع أجرب . والجمال الصحاح : البريئة من علة الجرب .

وقال في محمد بن وضاح (*) :

(من الكامل)

جادتْ لكَ الدُّنيا بنعمةِ عَيشِها ... وكفاكَ منها مثلَ زادِ الرّاكبِ

وقال يمدح رجلاً باستسهال اللفظ وحسن الكلام (*) .

(من مجزوء الكامل)

قولٌ كـأنَّ فريـدَهُ ... سحرٌ على ذِهنِ اللبيبْ
لا يشمئزُّ عـلى اللّسا ... نِ (١) ولا يشذُّ عن القلوبْ
لم يغلُ في شنعِ اللُّغـا ... تِ ولا توَحّشَ بالغريبْ
سيفٌ تقلّـدَ مثلَـهُ ... عطفَ القضيبِ على القضيبْ
هذا تُجَذُّ (٢) به الرِّقا ... بُ وذا تُجَذُّ به الخطوبْ !

(*) محمد بن وضاح بن بزيع ، أبو عبد الله (١٩٩ – ٢٨٧) قرطبي من علماء الأندلس وعبادها وزهادها في زمانه . رحل إلى المشرق مرتين ، وقال فيه ابن عبد البر « كان ابن وضاح حليماً طيب الخلق ، سمحاً بعلمه ، لا شغل له غير العبادة ونشر العلم » . وكان معلم أهل الأندلس العلم والزهد . وله أخبار كثيرة في مواصلته العبادة كالصوم والصلاة وقراءة القرآن . وكان له ثمانون يوماً في السنة يتورع فيها ولا يشغل فيها نفسه بشيء : أربعون في الصائم وأربعون في شدة البرد ! (انظر أخباره مطولة في ترتيب المدارك ٤ : ٤٤٠) .

(*) أوردها الشاعر في فصل التقريب والتقصير من كتاب الياقوتة في العلم والأدب . وأورد البيتين الأخيرين « سيف تقلد ... » تحت عنوان : الصبر والإقدام في الحرب من كتاب الفريدة في الحروب .

(١) قول لا يشمئز على اللسان : سهل مقبول منقاد . وأصل الشمز : نفور النفس مما تكره .

(٢) الجذ : القطع المستأصل . وجذ الخطوب على مجاز لطيف .

وقال أيضاً * :

(من مجزوء الكامل)

لا واستراقِ اللحظِ مِـن عينِ المحبِّ إلى الحبيبْ
يشكو إليـهِ بطرْفِـهِ شكوى أرقَّ من النّسيبْ
ما طابَ عيشٌ لمْ يذُقْ طَعْمَ الوصالِ . ولا يطيبْ
ولرُبَّ إلفٍ قـد طويْـتُ على مُراقبةِ الرّقيب
ريحُ الشّمالِ تهيجُـهُ وتهيجُني ريحُ الجنوبْ !

وقال :

(من الهَزَج)

أيا مَنْ لامَ في الحُبِّ ولم يَعْلَمْ جَوى قلبي
مَلامُ الصَّبِّ يُغْويـهِ ولا أغوى من القلْبِ !
فأنّى لُمتَ في هِنْدٍ مُحِبّاً صادِقَ الحُبِّ ؟
وهنـدٌ مـالَها شِبْهٌ بشرقٍ : لا ، ولا غَرْبِ
« إلى هندٍ صَبا قَلْبي وهنـدٌ مثلُها يُصْبي[1] »

(*) ساق أبو الطاهر التجيبي هذه القطعة في كتابه « شرح المختار من شعر بشار » في أثناء شرحه لبيت بشار « صفحة ٨٧ » :

ما هبت الريح من تلقاء أرضكم إلا وجدت لها برداً على كبدي

وأورد له قطعتين أخريين على الميم والنون ، تردان في مكانيهما من الديوان .

(١) روايته في « الحور العين » ص ٦٢ : صبا قلبي إلى هند .

وقال :

(من الرَّمل)

شادِنٌ يسحبُ أذيالَ الطَّرَبْ ... يتثنّى بين لهوٍ ولعِبْ
بجبينٍ مُفْرَغٍ من فضّةٍ ... فوقَ خدٍّ مُشْرَبٍ لونَ الذهبْ
كتبَ الدّمعُ بخدّي عهدَهُ ... للهوى والشّوقُ يُملي ما كتبْ
ما لِجَهْلي ما أراهُ ذاهباً ... وسوادُ الرأسِ منّي قد ذَهبْ؟
«قالت [1] الخنساءُ لمّا جئتُها ... شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهبْ» [2]

وقال :

(من الرَّجز)

يا أيُّها المشغوفُ بالحُبّ التعِبْ ... كم أنتَ في تقريبِ ما لا يقتربْ
دَعْ وُدَّ مَنْ لا يرعوي إذا غضِبْ ... ومَنْ إذا عاتبْتَهُ يوماً عتبْ
«إنّكَ لا تجتني من الشّوكِ العِنَبْ [3]» !

وقال في صفة كلب قَنَص :

(من الرجز)

يختلسُ الأنفُسَ باستلابِهِ ... كلبٌ يُلقّى الوحيَ من كلاّبِهِ

---

(1) ورد البيت في ديوان امرىء القيس من قصيدة في « صفحة ٢٩٣ » ، وهي من المنحول عليه في قول آخر ، ونسبت القصيدة إلى عمرو بن ميناس المرادي « انظر الديوان بتحقيق أ. أبو الفضل إبراهيم » .
(2) الشهب « بفتحتين » ، والشهبة « بضم الشين » : بياض يصدعه سواد .
(3) من أمثال أكثم بن صيفي . (انظره في فصل المقال ٢٧٩) .

يمونُ أهلَ البيتِ باكتسابِهْ أهبَبْتُهُ فانصاعَ في إهبابِهْ[1]
كأنّه الكوكبُ في انصبابِهْ أو قَبَسٌ يُلقَطُ من شهابِهْ

قال ابن عبد البر في كتابه « بهجة المجالس » :

أخبرني عبد الله بن محمد بن يوسف . قال : أخبرنا أحمد بن مالك بن عابد . قال : أخبرني أحمد بن محمد بن عبد ربه أبو عمر الشاعر . قال : دخلت على الوزير جهور بن الضّيف . وكان القحط قد ألحّ . والغيث قد احتبس . واغتمّ الناسُ لذلك . وتحدث المنجّمون بتأخر الغيث مدّةً طويلة . فوجدت عنده ابن عزرا[2] المنجّم وجماعةً من أصحابه . وقد أقاموا الطالع وعدّلوا وقضوا بتأخير الماء شهراً ؛ فقلت للوزير : إن هذا من أمور الله المُغَيَّبَة . وأرجو أن يكذّبهم الله بفضله . ثم خرجت عنه وأتيت داري . فجاء أول الليل والسماء قد تغيّمتْ ونمت ساعةً . فما أيقظني إلاّ نُزول الماء . وقمت فقربت منّي المصباح ، ودعوت بالدواة والقلم . فما رفعت يدي حتى نسخت هذه الأبيات . ثم صابحت بها الوزير . فسُرّ بها واستحسنها ؛ وهي :

من السريع

مــا قَدّرَ اللهُ هو الغالِبُ لَيسَ الّذي يَحسبه الحاسِبْ
قد صدّق اللهُ رجاءَ الوَرَى ومــا رجــاءٌ عندهُ خائبُ
وأنزلَ الغيثَ على راغِبٍ رحمتَهُ إذْ قنـطَ الراغبُ

---

(١) أهبه : نبهه ، وأهبيته (أنا) . والصاع : ذهب مسرعاً .
(٢) كذا قرأ محقق بهجة المجالس ، ووردت في تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٢٢ — ١٢٣ ، « ابن علدراء » هنا وفي البيت الرابع من القصيدة ، كما قرأها الدكتور إحسان عباس في مخطوطة بهجة المجالس .

قل لابن عزرا ألسخيف الحجا[1] ... زرّى عليك الكوكبُ الثاقبُ!
ما يعلمُ الشاهدُ من حكمنا ... كيفَ بأمرٍ حكمُهُ غائبُ؟
وقُـلْ لعبّاسٍ وأشياعِهِ ... كيفَ ترى؟ قولكمُ الكاذبُ!
خانكمُ كيوانُ في قوسِهِ[2] ... وغرّكم في لونه الكاتبُ
فكلّكُمْ يكذبُ في علمِهِ ... وعِلمكمْ في أصلِهِ كاذبُ
ما أنتمُ شيءٌ ولا علمُكمْ ... «قد ضعُفَ المطلوبُ والطالبُ»[3]
تُغالبونَ اللهَ في حُكمِهِ ... واللهُ لا يغلبهُ غالبُ[4]
«محبوبٌ» الحَبْرُ الذي ما لَهُ ... في فهمِهِ نِدٌّ ولا صاحبُ
قد أشهدَ اللهَ على نفسِهِ ... بأنّهُ من جهلِكمْ تائبُ!

---

(١) تقرأ «ألسخيف» بقطع الهمزة. وانظر الحاشية السابقة.
(٢) كيوان: هو كوكب زحل.
(٣) يشير إلى معنى الآية الكريمة (الحج ٧٣/٢٢)، (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب).
(٤) في سورة يوسف (٢١/١٢) قوله تعالى: (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

حَرْفُ التَّاءِ

وقال : [1]

(من الطويل)

أناحتْ حَماماتُ اللِّوى أم تغنّتِ   فأبدتْ دَواعي قلبِه ما أجنّتِ ؟
فَديتُ التي كانتْ ولا شيءَ غيرُها   مُنى النَّفسِ لو يُقضى لها ما تمنَّتِ !

وقال :

(من الطويل)

محبٌّ طوى كَشْحاً [2] على الزَّفراتِ   وإنسانُ عَيني خاضَ في غَمَراتِ
فيا مَنْ بعَيْنَيه سَقامي وصحّتي   ومَنْ في يَدَيه مِيتَتي وحَياتي
بحبّكَ عاشَرْتُ الهُمومَ صَبابةً   كأنّي لها تِربٌ وهُنَّ لِداتي
فَخَدّي أرضٌ للدُّموعِ ، ومُقلتي   سَماءٌ لها تَنْهلّ بالعَبَراتِ !

---

(١) أنشدها في جملة مقطوعات له في العقد من فصل عن الحمام .
(٢) طوى الرجل كشحه على الأمر : أضمره وستره .

قال « ومن قولنا في رقة النّسيب وحسن التّشبيب » :

(من الكامل)

كَمْ سَوسَنٍ لطفَ الحيَاءُ بلونِهِ   فأصارَهُ ورداً على وَجَنَاتِهِ [1]

وقال :

(من مجزوء الكامل)

يا دهرُ مالي أطّبيـــــكَ وأنتَ غيرُ مُواتِ [2]
جرّعتَني غُصَصاً بهـــا   كدّرتَ صَفْوَ حَيَاتي
أينَ الّذينَ تَسابَقُــوا   في المجـــدِ للغاياتِ
قومٌ بهمْ روحُ الحيــا   ةِ تَرَدّدُ في الأمواتِ
« وإذا هُمُ ذكروا الإسا   ءةَ أكثروا الحَسَناتِ » [3]

وقال :

(من المتقارب)

فُؤادي رميتَ وعقلي سبَيتْ   ودمعي مرَيتَ [4] ونومي نفيتْ
يَصدّ اصطِباري إذا ما صَددت   ويَنأى عَزائي إذا ما نَأيتْ
عزمتُ عليكَ بمجرى الوِشاح   وما تحتَ ذلكَ ممّا كَنَيتْ !
وتُفّاحِ خَــدٍ ورمّان صَدْرٍ   ومَجْناهما خيرُ شيءٍ جَنَيْتْ
تجدّد وَصلاً عفـــا رسمُهُ   فمثلُكَ لمّـــا بدا لي بَنَيتْ :
« على رسمِ دارٍ قفـــار وقفتُ   ومن ذكرِ عهدِ الحبيبِ بَكيتْ »

---

(١) ورواه في مكان آخر من العقد :
كم شادن لطف الحياء بوجهه   فأصاره ورداً على وجناته
(٢) طباه ، واطباه « بالطاء المشددة » دعاه دعاء لطيفاً ، واستماله إليه .
(٣) البيت من شواهد العروض ، انظره في الإقناع : ٣٢ .
(٤) مرى الشيء : استخرجه ، ومرت الريح السحاب : أنزلت منه مطر .

حَرفُ الثّاء

وقال :

(من المديد)

طَلّقَ اللّهوَ فؤادي ثلاثاً لا ارتجاعَ لي بعدَ الثّلاثِ
وبياضٌ في سوادِ عِذاري بدّل التّشبيبَ لي بالمَراثي
غيرَ أنّي لا أُطيقَ اصطباراً وأراني صابِراً لانتكاثي
بإناثٍ في صِفاتِ ذُكورٍ وذُكورٍ في صفاتِ إناثِ !

حَرف الجيم

وقال :

(من المديد)

صدعتْ قلبي صَدْعَ الزُّجاجْ ... مالَهُ من حيلةٍ أو عِلاجْ
مزجتْ روحيَ ألحاظُها ... بالهوى فَهو لِروحي مِزاجْ
يا قَضيباً فوقَ دِعص نَقا[1] ... وكَثيباً تَحت تمثالِ عاجْ
أنتَ نوري في ظَلامِ الدُّجى ... وسراجي عندَ فَقْدِ السِّراجْ

وقال في أول غزوة غزاها الناصر لدين الله عبد الرحمن الناصر ، وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتلون — وكان — افتتح بها سبعين حصناً . كل حصن منها قد نكلت عنه الطوائف . وأعيى على الخلائف » (*) :

(من البسيط)

قد أوضَحَ اللهُ للإسلامِ مِنهاجـا ... والنّاسُ قد دَخلُوا في الدِّين أفواجا

---

(١) الدعص : القطعة من الرمل مستديرة ، والنقا من الرمل : القطعة تنقاد محدودبة .

(*) فصل الناصر لهذه الغزوة يوم السبت لسبع خلون من رمضان المعظم من السنة الأولى لحكمه «سنة ٣٠٠» — الموافق ١٧ نيسان منها — وقد سجل ابن عبد ربه فصول الخليفة بقصيدة وردت في حرف الكاف أولها :

فصلت والنصر والتأييد جنداكا ... والعز أولاك والتمكين أخراكا

وقفل الناصر لدين الله من غزاته هذه فدخل قصره بقرطبة يوم الأضحى من السنة إلى ثلاثة أشهر وثلاثة أيام من خروجه عنها . (تاريخ عبد الرحمن الناصر : ٣٤ ، البيان المغرب ٢ : ٢٢٤ والعقد ٤ : ٤٩٩) .

وقد تزيّنتِ الدُّنيا لساكنها كأنّما أُلبِسَتْ وَشْياً وديباجا
يابنَ الخلائفِ إنَّ المُزنَ لو علمتْ نَداكَ ما كان منها الماءُ [1] ثجّاجا!
والحربُ لو علمتْ بأساً تصول بهِ ما هيّجتْ من حُمَيّاك[2] الذي اهتاجا
ماتَ النِّفاقُ وأعطى الكفرُ ذِمّتَهُ وذلّتِ الخيلُ إلجاماً وإسراجا
وأصبحَ النّصرُ معقوداً بألويةٍ تطوي المراحلَ تهجيراً [3] وإدلاجا
أدخلتَ في قبّةِ الإسلامِ مارقةً [4] أخرجتَها من ديارِ الشِّركِ إخراجا
بجحفلٍ تَشْرَقُ الأرضُ الفضاءُ به كالبحرِ يقذفُ بالأمواجِ أمواجا
يقودُه البدرُ يسري في كواكبِهِ عَرمرَماً كسوادِ اللّيلِ رَجْراجا
يرونَ فيهِ بروقَ الموتِ لامعةً ويسمعون به للرَّعْدِ أهزاجا [5]
غادرتَ في عقوتَيْ [6] جيّانَ ملحمةً أبكيتَ منها بأرضِ الشركِ أعلاجا [7]
في نصفِ شهرٍ تركتَ الأرضَ ساكنةً من بعدِ ما كانَ منها الظّهرُ قد ماجا [8]
وُجِدتَ في الخبرِ المأثورِ منتعلتاً من الخلائفِ خرّاجاً وولّاجا [9]

(١) ثج الماء: سال. (٢) الحميا: شدة الغضب. (٣) التهجير: السير في الهاجرة
(٤) أي فئة مارقة. والمروق: الخروج من الإسلام. جعلوا خلع بيعة الخليفة وشق عصا الطاعة مروقاً.
(٥) الهزج: صوت مطرب، وصوت فيه بحح، وكل صوت متدارك متقارب. واستعاره الشاعر لصوت الرعد.
(٦) العقوة: ما حول الدار والمحلة.
(٧) أعلاج جمع علج: الرجل من كفار العجم.
(٨) أفرد صاحب «المدونة» هذا البيت، وذكر بيتاً بعده لم يرد في المصادر الأخرى، قبل أن يذكر القصيدة، فكأنه يوهم أنهما من قصيدة مغايرة. والبيت التالي هو:

لما رأوا حومة الشاهين فوقهم كانوا رهاء حواليها ودراجـــا

والشاهين طائر من الجوارح، والرهو نوع من الكركي. والدراج طائر صغير.
(٩) خراج ولاج أي كثير الدخول والخروج، ويقال هذا للرجل الذي يحسن تدبير الأمور ويتقن تصريفها.

تملأ بكَ الأرض عدلاً مثلما مُلئتْ جَوراً وتُوضحُ للمعروفِ منهاجا
يا بدرَ ظُلمتِها يا شَمسَ صُبحتِها يا ليثَ حومتِها إنْ هائجٌ هاجا
[خُلقتَ من جَوهر العِقيان خالصةً ولم تكنْ نُطفةً في الصُّلب أمشاجا !]
إن الخلافة لن ترضى — ولا رضيتْ — حتى عقدتَ لها في رأسِكَ التّاجا

وقال :

(من البسيط)

وروضةٍ عقدتْ أيدي الرَّبيعِ بهـا نَوراً بنَوْرٍ وتَزويجاً بتزويجِ
بمُلْقَحٍ من سَواريهـا ومُلْقحةٍ وناتجٍ من غَواديها ومنْتوجِ (1)
توشّحتْ بمُلاةٍ غير مُلحمـةٍ من نَورها ورداءٍ غير منسُوجِ (2)
فألبست حُلل المَوشيِّ زَهرتَها وجلّلتْها بأنماطِ الدّبابيجِ (3)

قال ابن حيان في « المقتبس » وانتهت فُتوح (الناصر لدين الله) في الكُورتين جميعاً « كورة دمشق وكورة قِنّسرين » في غزوته هذه* إلى

(1) السارية من السحاب : التي تجيء ليلا ، والغادية : السحابة تنشأ فتمطر غدوة « صباحاً » . وهي « ملقحة ومنتوجة » لتحقق المطر ليلا .
(2) النور : الزهر الأبيض ، وهو قصد الزهر مطلقاً .
(3) الديابيج والدبابيج ج الديباج : نوع من الثياب سداه ولحمته الحرير .
(*) هي أول غزوة غزاها الناصر لدين الله عبد الرحمن « الثالث » المرواني . وتعرف بغزوة المتلون . وكورة دمشق هي كورة إلبيرة — وكانت حاضرتها مدينة إلبيرة ثم تحولت في القرن الخامس إلى غرناطة — وكورة قنسرين هي كورة جيان . سميت الكور الأندلسية بأسماء شامية لنزول جندها بها ، كما فرقهم والي الأندلس أبو الخطار الكلابي . وقد أنزل كل جند في منطقة قريبة من بيئتهم الأصلية فسميت بأسمائها . (انظر فجر الأندلس الدكتور حسين مؤنس ٢٢٢ ، ومراجعه في الحواشي) .

سبعين حصناً من أمّهات الحصون . كل حصن منها كان عالي الاسم بعيد الصّيت . ملجأ لذوي الخلاف والمعصية ، قد كانت فيه وقائع معلومة . وانضم إلى هذه الجملة ما فتح بفتحهامن قصابها ومراقبها وبناتها وذواتها قاربت الثلاث مئة ما بين حصن وبرج ، فقد كان في يد عبيد الله بن أمية ابن الشالية وحده ما يجاوز المئة .

وهذا فتح لم يسمع بمثله لملك من ملوك الأرض . . . في غزوة واحدة في سالف الأزمنة وقد [عدّ ؟] هذا . ونبّه عليه . الشاعر الخنذيذ [1] أحمد بن محمّد بن عبد ربّه في شعر له أو قاربه حيث يقول :

(من البسيط)

في غَزوةٍ مثّنا حصنٍ ظفرتَ بها في كلّ حصنٍ غُواةٌ للعناجيجِ [2]
ما كان ملكُ سليمانٍ ليُدركهـا والمُبْتني سدّ يـاجوج وماجوجِ

وقال في العِذار :

(من الكامل)

ومُعَذّرٍ نَقَشَ الجمالُ بمسكهِ خدّاً لهُ بدم القلوبِ مُضَرّجا
لمّا تيقّنَ أنّ سيفَ جُفُونِـه من نرجسٍ جعل النّجادَ بنفسجا !

---

(١) من معاني الخنذيذ : الشاعر المجيد المفلق .
(٢) العناجيج : جياد الخيل ، المفرد عنجوج .

ذكر ابن حيان في المقتبس في أخبار سنة ٢٧٨ أن ابن حفصون (١) تمادى في عصيانه ، وظهرت شوكته وتداعى أهل الشر إليه من أقطار الأندلس ، وعاث في بعض أقاليم قرطبة ، وجعل حصن « بلاي » منطلقاً لغاراته . فنهض إليه الأمير عبد الله بنفسه وحشد له ، وأنزل به هزيمة عند حصن بلاي واحتله .

ومضى الأمير إلى مدينة إستجه وكانت تحت نظر « الخبيث » ابن حفصون ، فحصر أهلها ورماهم بالمنجنيق فالتمسوا الأمن وبذلوا الطاعة فقبل منهم واستعمل عليهم عاملا . (ولابن عبد ربه قصيدة في فتح إستجه ، تجدها في حرف الحاء) .

وكان ابن حفصون لما انكشف جيشه أمام جيش الأمير في « بلاي » ووقع الحصن في يد الجيش المرواني ، قد لحق بأرشذونة ، ثم عاد إلى قاعدته في ببشتر .

ورحل الأمير إلى مقر ابن حفصون فحاصر بلده « ببشتر » وحطم ما حول قلعته وأقام عليه مدة ، وحقق شفيد شوكة المارق وحصره في بلده ؛ ثم ظهر له العودة بجيشه بعد أن تعب الجند . فلما فصل الجيش طمع ابن حفصون فلحق بجيش الأمير ليصيب منه في شعاب الطريق الوعر وناوشهم غير أن الأمير ونفراً من قواده رتبوا عودة الجيش آمناً وقتلوا من فئة ابن حفصون مقتلة عظيمة وجيء بخمس مئة رأس من رؤوسهم إلى قرطبة .

قال ابن حيان : وكان تقفول الأمير عن ببشتر على طريق أرشذونة وقسطيلية حاضرة إلبيرة فتوثق من أهل البلاد التي مر بها ، ثم قفل إلى قرطبة عزيزاً ظافراً .

وقال ابن عبد ربه يهنىء الأمير عبد الله في فتح « بلاي » من قصيدة حسنة أولها :

(من الكامل)

الحقُّ أبلَجُ واضحُ المِنْهــاجِ   والبدرُ يُشرِقُ في الظّلامِ الدّاجي
والسّيفُ يعدِلُ مَيلَ كلّ مخالِفٍ   عميَتْ بصيرَتُه عنِ المِنْهاجِ

---

(١) عمر بن حفص (ويقال له حفصون) بن عمر بن جعفر . وجعفر هذا هو أول من أسلم من أجداده . نشّ ابن حفصون على الإسلام، ولكنه خرج في دولة الأمير محمد بن عبد الرحمن برية وتاكرنا وجهة الجزيرة سنة ٢٦٧ ، وطالت فتنته وعظم شره . وفي سنة ٢٧٠ استنزله أحد القواد من جباله – وكان اتخذ ببشتر مقراً له – وجيء به إلى قرطبة فأحسن الأمير وفادته وعفا عنه . ولكنه هرب سنة ٢٧١ وعاد إلى الفتنة وحارب جيوش الأمير ، وتنصر سنة ٢٨٦ ، وظل شجا في حلق الأمة والدولة حتى ضيق عليه الأمير عبد الرحمن الناصر ، وقطع أسبابه في جهاته جميعاً حتى هلك سنة ٣٠٥ .

وإذا المعاقلُ أُرتِجتْ أبوابُهــا ... فالسَّيفُ يفتحُ قُفْلَ كلِّ رِتاجِ (١)
نَشَرَ الخليفةُ للخلافِ عزيمــةً ... طَوتِ البلادَ بجحفلٍ رَجراجِ
جيشٌ يلفُّ كتائبــاً بكتائبٍ (٢) ... ويضمُّ أفواجاً إلى أفواجِ
وتراهُ يأفِرُ (٣) بالقنابلِ والقنــا ... كالبحرِ عندَ تلاطُمِ الأمواجِ
متقاذفُ العِبرَينِ (٤) . تخفقُ بالصَّبا ... راياتُه ، متدافعُ الأمواجِ
من كلِّ لاحقةِ الأياطلِ (٥) شُدَّفٍ (٦) ... رحبِ الصدورِ أمينةِ الأثباجِ (٧)
وترى الحديدَ فتقشعرُّ جلودُها ... خوفَ الطِّعانِ غداةَ كلِّ نِهاجِ (٨)
دُهمٍ كأسدفةِ الظلامِ . وبعضُها ... صفرُ المناظرِ كاصفرارِ العاجِ !
من كلِّ سامي الأخدعينِ (٩) كأنّما ... نيطتْ شكائمُه بجذعِ السّاجِ (١٠)
لمّا جفلْنَ إلى «بلاي» (١١) عشيّةً ... أقوتْ معاهدُها من الأعلاجِ
فكأنّما جاستْ خلالَ ديارِهم (١٢) ... أسدُ العرينِ خلتْ بسربِ نعاجِ
ونجا ابنُ حفصونٍ ومن يكنِ الرَّدى ... والسيفُ طالبُه فليس بناجِ !

---

(١) الرتاج : الباب العظيم أو الباب مغلقاً ، ورتج الباب أغلقه ومثله أرتج .
(٢) لف الكتيبة بالكتيبة : خلط بينهما بالحرب ، ومثله : لف الكتيبتين .
(٣) في القاموس : أفرت القدر : اشتد غليانها . وأفر البعير : نشط . والقنابل جمع القنبلة وهي الطائفة من الناس والخيل .
(٤) عبر الوادي : شاطئه وناحيته .
(٥) الأياطل ج الأيطل : الخاصرة . ولحق لحوقاً – فهو لاحق – ضمر .
(٦) الشدف في الخيل والإبل : إمالة الرأس من النشاط . وفرس أشدف : عظيم الشخص .
(٧) الثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر .
(٨) نهج الدابة : سار عليها حتى انبهرت .
(٩) الأخدعان مثنى الأخدع : أحد عرقين خفيين في جانب العنق .
(١٠) الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس . والساج : شجر يعظم جداً ، ويذهب طولا وعرضاً .
(١١) هو حصن «بلاي» الذي جرت حوله معركة خسرها ابن حفصون الخارج على الدولة المروانية بالأندلس «وانظر مناسبة القصيدة» .
(١٢) جاسوا خلال الديار : ترددوا بينها بالإفساد وطلبوا ما فيها . وفي القرآن الكريم قوله تعالى : (فجاسوا خلال الديار) .

في ليلة أسْرَتْ بــه فكأنّمــا خِيلَتْ لديه ليلةَ المِعْراجِ ![1]
ما زالَ يلقحُ كلَّ حرْبٍ حائلٍ [2] فالآنَ أنْتَجها بِشَرٍّ نِتاجِ !
فإذا سألتَهُم مواليَ مَنْ هُمُ قالوا : مواليَ كلَّ ليلٍ داجِ
ركبَ الفِرارَ بعُصْبةٍ قد جرَّبوا غِبَّ السُّرى وعواقبَ الإدلاجِ ![3]
وبقيّةٌ في الحِصْنِ أرتجَ دونَهم بابُ السّلامةِ أيّمــا إرتاجِ
سُدَّتْ فِجاجُ الخافِقينِ عليهمُ فكأنّما خُلِقا بغيرِ فِجاجِ [4]
نَكصت ضَلالتُهمْ على أعقابِها وانصاعَ كُفْرهُم على الأدراجِ [5]
من جاء يسألُ عنهمُ من جاهلٍ لم يرو سغباً [6] من دَمِ الأوداجِ
فأولاكَ هم فوقَ الرصيفِ وقد صَغا [7] بعضٌ إلى بعضٍ بغيرِ تَناجِ !
رَكِبوا على بابِ الأميرِ صَوافِناً [8] غَنِيَتْ عن الإلجامِ والإسراجِ
أضحى كبيرهمُ كأنّ جبينَــهُ خُضِبتْ أسِرّتُه بماءِ الزّاجِ [9]

---

(١) بالغ الشاعر في وصف سرعة المارق ابن حفصون في فراره .
(٢) من قولهم « ناقة حائل » : لم تلقح من سنة أو سنتين أو أكثر .
(٣) السرى : سير عامة الليل ، والإدلاج السير من أول الليل . وفي أمثالهم « عند الصباح يحمد القوم السرى ! » .
(٤) فجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٥) انصاع : انفتل راجعاً مسرعاً .
(٦) السغب : الجوع ، وقال في اللسان « وربما سمي العطش سغباً ، وليس بمستعمل » وهو المقصود – كما يظهر – في البيت .
(٧) صغا : مال .
(٨) صوافن ج صافن ، من صفن الفرس إذا قام على ثلاث قوائم وطرف الرابعة . يكني عن قتلهم وصلبهم ، فكانوا – كأنهم – ركبوا خيلا ، ولكنها لا تتصف بما تتصف به الخيل ولا يكون لها إلجام أو إسراج !
(٩) الأسرة – ج سر وسرر وسرار – هي الخطوط في الجبهة – وغيرها – . والزاج ملح ، وهو أنواع.قال في الأدوية المفردة «١٩٢» إن الزاج الذي يخص بهذا الاسم هو الزاج الأخضر ، والزاجات بيض وحمر وصفر وخضر .

لما رأى تاجَ الخِلافةِ خـانَه   قامَ الصَّليبُ لهُ مقَامَ التّاجِ !
هذي الفُتوحاتُ التي أذكتْ لنا   في ظُلمةِ الآفـاقِ نُورَ سِراجِ

وقال :

(من الرجز)

ربَّ بقيعٍ طامسِ المنهاجِ[1]
رضيعِ كلّ أوطفٍ ثجّاجِ[2]
حَبابُهُ كالنّفخِ في الزُّجاجِ

وقال :

(من المقتضب)

يا مليحةَ الدَّعَجِ[3]   هل لديكِ من فَرَجِ
أم تُـراكِ قـاتلتي   بـالدَّلالِ والغَنَجِ ؟
مَنْ لحُسنِ وجهكِ مِنْ   سُوءِ فعلكِ السَّمِـجِ ؟
عـاذليَّ حَسْبُكُمـا   قد غرقتُ في لُجَجِ
« هل عليَّ ـ ويحَكُما ! ـ   إنْ لهوتُ منْ حَرَجِ ؟! »[4]

---

(١) البقيع : مكان متسع منخفض فيه شجر . وطامس : دارس . والمنهاج : الطريق .
(٢) الأوطف : السحاب الذي استرخت نواحيه . والثجاج : الشديد الانصباب .
(٣) الدعج : سواد العين مع سعتها .
(٤) البيت من أبيات العروض ، وهو في الوافي : ١٦٨ ولم ينسبه ، قال : سمع من جارية تنشده على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

حرف الحاء

وقال يمدح الأمير عبد الله في فتح حصن بلاي وذكر غزوته الشهيرة :

(من الطويل)

هو الفتْحُ منظوماً على إثرِه الفتْحُ ... وما فيهما عهدٌ ولا فيهما ، لمحُ (1)
سوى أنّ صَفحاً كانَ من بعدِ قدرةٍ ... وأحسنُ مقرونٍ إلى قُدرةٍ صفْحُ
سَلِ السّيفَ والرُّمحَ الرّدينيَّ عنهما ... فتسمعَ ما يُنبي به السيفُ والرّمحُ
لقد شفعتْ يومَ العروبة (2) عندها ... بعيدٍ لنا فيهِ السّلامةُ والنُّجحُ
ذبائحُ راحتْ يومَ عيدِ لحومِها ... وما ازدان عيدٌ لا يكون بهِ ذبحُ !
قريناهم سجلاً (3) من الحروب مرّة ... وعشراً ركيكاً ليس في طعمه ملحُ
ومُقْرَبة يشقرُ في النّقعِ (4) كُمتُها ... وتخضرُّ حيناً كلّما بلّها الرّشحُ

(•) وانظر مقدمة القصيدة الجيمية : (الحق أبلج واضح المنهاج) .
(1) هو فتح عنوة ، أنزل فيه الأمير المغلوبين على حكمه .
(2) عروبة والعروبة : يوم الجمعة .
(3) السجل : الدلو العظيمة مملوءة . ولم يظهر لي الشطر الثاني .
(4) المقربة : الفرس التي تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك .

تراهُنَّ في نضحِ الدِّماءِ كأنَّما ... كساها عقيقاً أحمراً ذلكَ النَّضحُ
تطيرُ بلا ريشٍ إلى كلِّ صَيحةٍ ... وتَسبحُ في البرِّ الذي ما بهِ سَبْحُ
عليها من الأبطالِ كلُّ ممارسٍ ... يرى أن جِدَّ الحربِ من بأسهِ مَزْحُ!
يعدّونه الأعداءُ [كرباً] عليهمُ[1] ... على أنّه طلقٌ لنا وَجهُه سَمْحُ
وكانَ ابنُ حفصون يعدّ جيادَهُ ... سراحينَ قبلَ اليومِ فهي لنا سرْحُ[2]
نجا مُستكِنّاً تحتَ جُنحٍ من الدّجى ... وليسَ يؤدّي شكرَ ما أنعم الجُنحُ!
دعتهُ مُنىً كانتْ عليهِ مَنيّةً ... فترَحاً لهُ منها وقلْ لهُ التَّرْحُ[3]!
تسربلَ ثوبَ اللّيلِ خامسَ خمسةٍ ... فكلّهمُ في[4] كلِّ جارحةٍ جرحُ
يودّونَ أنَّ الصّبحَ ليلٌ عليهمُ ... ونحنُ نودُّ اللّيلَ لو أنّهُ صُبْحُ!
أقادحَ نارٍ كانَ طعمَ وقودِها ... بعينيك فانظرْ ما أضاء لك القَدْحُ
محا السّيفُ ما زخرفتَ أوّلَ وهلةٍ ... وَدونكَ فانظرْ بعدَ ذلك ما يمحو
فكم شاربٍ منكمْ صَحا بعد سكرهِ ... وما كان لولا السيفُ من سكرهِ يصحو
كأنَّ «بلاياً»[5] والخنازيرُ[6] حولَها ... مقطّعة الأوصالِ . أنيابها كُلحُ
ديارُ الّذينَ كذّبوا رسلَ ربّهم ... فلاقوا عذاباً كان موعده الصّبحُ[7]
فلوْ نَطقَ السّفْحُ الّذي قُتِلوا بهِ ... إذنْ لَبكى من نَتْنِ قتلاهمُ السفحُ

---

(١) لاحظ استعماله لغة أكلوني البراغيث .
(٢) سراحين ج سرحان : الذئب والأسد ، وأطلق على عدد من الأفراس المشهورة . والسرح : المال السائم .
(٣) الترح الحزن والهم . ترحاً له : دعاء على ابن حفصون .
(٤) هكذا وردت ؛ وأظنها مصحفة . (فكان لهم ؟ فكل له ؟) .
(٥) هو حصن بلاي من كورة قبره ، كان ابن حفصون احتله واتخذ منه منطلقاً لغاراته على قرطبة ، حتى استنقذه الأمير عبد الله .
(٦) ظاهر أن «الخنازير» هم قتلى جماعة ابن حفصون . والكلح : تكشير في عبوس .
(٧) يشير إلى قوم لوط وديارهم ؛ صبحهم العذاب فصاروا أثراً بعد عين . راجع الآيات ٨١-٨٣ من السورة ١١ «هود» . وفي الآية ٨١ (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) .

دماءٌ شَفَتْ منها الرّماحِ غَليلَها فودَّ قَضيبُ البانِ لو أنّهُ رمحُ !
ولله ما أزكى تجارةَ صَفقــــةٍ يكونُ لهمْ خسرانُها ولنا الرِّبحْ
أقمنا عليها اللّهوَ في يومِ عيدهمْ فكم لهم فيصحاً به قطعَ الفصحُ[1]
ألا تعستْ تلكَ الوُجوهُ وقُبِّحتْ فما خُلقا إلاّ لها التّعسُ والقُبْحُ
فيا وقعةً أنستْ وقيعةَ راهطٍ ويا عزمةً من دونها البطن(؟) والنّطحُ
ويا ليلةً أبقتْ لنا العزّ دهْرَنسا وذُلاً على الأعداءِ جَلّ به التّرحُ
بدولةِ عَبْدِ اللهِ ذي العزّ والتّقى يُجبَّرُ في أدنى مَقاماتهِ المَـــدحُ

وكان أهل إسْتِجَة ممن خلع وخالف فافتتحها عبد الرحمن بن محمد على يد بدر الحاجب سنة ثلاث مئة فهدم سورها ووضع بالأرض قواعدها وألحق أعاليها بأسافلها وهدم قنطرة نهرها ، وفي ذلك يقول أحمد بن محمد ابن عبد ربّه :

(من الطويل)

ألا إنهُ فَتْحٌ يُقِرُّ له الفَتْحُ فأوّله سَعْدٌ وآخِرُه نُجْحُ
سرَى القائدُ الميمونُ خيرَ سَريّةٍ تقدَّمها نصرٌ وتابعهـــا فَتْحُ
ألمْ تَرَهُ أرْدى بإسْتِجَةَ العِدى فلاقوا عذاباً كان موعدَه الصُّبحُ
فلا عهدَ للمُرّاقِ من بعدِ هذه يَتِمُّ لهمْ عندَ الإمامِ ولا صُلحُ
تولّوا عَباديداً[2] بكلّ ثَنيّـــةٍ وقد مَسّهمْ قرحٌ وما مَسّنا قَرْحُ

---

(١) هكذا وردت .
(٢) العباديد : الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه ؛ وكذلك العبابيد .

وقال في معنى « من طلب الزيادة فانتقص » :

(من الطويل)

طلبتُ بكَ التكثيرَ فازددتُ قلّـةً   وقد يخسَرُ الإنسانُ في طلبِ الرِّبحِ

وقال :

(من المديد)

مُستَهامٌ دمعُهُ سافِـحْ   بينَ جَنبيهِ هوًى قادِحُ
كلّما أمَّ سبيلَ الهُدى   عاقَهُ السانحُ والبّارحُ[1]
حلَّ فيما بينَ أعدائِـهِ   وهو عنْ أحبابهِ نازحُ
أيُّها القادِحُ نارَ الهوى   إصْلَها يا أيُّها القادِحُ !

وقال في « رجال الحرب ، وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم . فهي مثل السيوف في رقّتها وصلابتها » :

(من البسيط)

سيفٌ عليهِ نِجادُ سيفٍ مِثله   في حَدِّهِ للمُفسِدينَ صَلاحُ

وقال (٥) : ‌!

(من المنسرح)

للهِ عبدُ الرَّحيمِ من مَلِكٍ   ما بَعدَهُ للعيونِ مُطَّرَحُ
كأنَّ بابَ السَّماءِ من يدهِ   على جميعِ الأنامِ مُنفَتِـحُ

---

(١) البارح : ما مر من ميامنك إلى مياسرك ، والسانح ضد البارح . وعاف الطير : زجرها .
(٥) ورد البيتان في جملة أبيات لشعراء مختلفين في معنى « الجود » من كتاب التشبيهات.

حَرْفُ الخَاءِ

وقال :

(من المديد)

عادِ مِنها كُلَّ مُطبوخٍ ... غيرَ داذِيٍّ ومفضوخٍ[1]
واعتقد من وُدِّ أهل الحجى ... كُلَّ وُدٍ غير مشدُوخٍ[2]
وانتشقْ ريّاكَ من مُلتقى ... شاربٍ بالمِسكِ ملْطوخِ
إنَّ في العِلْمِ وآثارِهِ ... ناسخاً منْ بعدِ منسوخِ!

---

(١) الداذي : نبت ، وقيل هو شيء له عنقود مستطيل ، وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره ! ! (والفرق مكيال يسع ثلاثة آصع أو أكثر) . وذكره في الأدوية المفردة بالدال « دادي » .
والمفضوخ – والفضيخ – عصير العنب . وهو أيضاً شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده.

(٢) الشدخ : الكسر .

حَرف الدّال

وقال في معنى خدمة السلطان وصحبته (*) :

(من الطويل)

تَجنّبْ لباسَ الخزِّ إن كنتَ عاقِلاً ... ولا تختتِمْ يوماً بفصٍّ زَبَرجدِ
ولا تَتطيَّبْ بالغَوالي تعَطُّراً ... وتسحبَ أذيالَ الملاءِ المُعضَّدِ [1]
ولا تتخيَّرْ صِيتَ النّعْلِ زاهياً ... ولا تتصدَّرْ في الفِراشِ المُمَهّدِ
وكنْ هَملاً في النّاسِ أغبرَ شاعثاً ... تروحُ وتغدو في إزارٍ وبُرجدِ [2]
يرى جِلد كَبْشٍ تحتهُ كلّما استوى ... عليهِ سريراً فوقَ صَرحٍ مُمَرّدِ [3]
ولا تطمحِ العينانِ منك إلى امرىءٍ ... لهُ سَطواتٌ باللّسانِ وباليَدِ
تراءتْ لهُ الدُّنيا بزِبْرِجِ عيشِها [4] ... وقادتْ له الأطماع من غير مِقوَدِ

(*) أورد ابن عبدُربه القطعة في العقد في أثناء فصل عقده للنهي عن خدمة السلطان وخدمة الملوك ، وقدم لها بقوله « ومن قولنا في خدمة السلطان وصحبته » .

(1) المعضد : ثوب له علم في موضع العضد .

(2) البرجد : كساء غليظ .

(3) في القاموس « بناء ممرد : مطول » . والصرح كل بناء عالٍ مرتفع .

(4) الزبرج : الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك .

فأسْمَنَ كَشْحَيْهِ وأهزلَ دينَــهُ ... ولم يَرْتقبْ في اليومِ عاقبةَ الغَدِ
فيوماً تراهُ تحت سَوطٍ مُجرَّداً ... ويوماً تراهُ فوقَ سرجٍ مُنَضَّدِ
فيُرحَمُ تاراتٍ ويُحْسَدُ تــارةً ... فذا شرٌّ مَرحومٍ وشرٌّ مُحَسَّـدِ !

وقال :

(من الطويل)

وحاملةٍ راحاً على راحةِ اليَدِ ... موردَّةً تَسعى بلونٍ مُوَرَّدِ
متى ما ترى الإبريقَ للكأسِ راكعاً ... تُصَلِّ لهُ من غيرِ طُهرٍ وتسجدِ
على ياسمينٍ كاللُّجَيْنِ ونَرْجسٍ ... كأقراطِ دُرٍّ في قضيبِ زَبَرجدِ
بتلكَ وهذي فالْهُ ليلكَ كُلَّهُ ... وعنها فسلْ لا تسألِ الناسَ عن غدِ
(ستُبدي لكَ الإيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزَوِّدِ)[1]

قال : وأهديتُ طبق ورد ومعه :

(من الطويل)

رياحينُ أهديها لِرَيحـانةِ المَجْدِ ... جَنتْها يدُ التخجيلِ من حُمرةِ الخدِّ
ووَرْدٌ به حَيَّيتُ غُرَّةَ مــاجدٍ ... شمائلهُ أذكى نسيماً من الوَرْدِ
ووشيُ ربيعٍ مُشرقِ اللّونِ ناضرٍ ... يلوحُ عليهِ ثوبُ وَشْيٍ من الحمدِ
بعثتُ بها زهراءَ من فوقِ زهرةٍ ... كتركيبِ مَعشوقَينِ خداً على خدِّ

---

(١) البيت من معلقة طرفة (ديوانه : ٤٤) .

وقال ابن عبد ربّه يرثي عبيد الله بن يحيى (*) :

(من الطويل)

لقد فُجِعَ الإسلامُ منهُ بناصرٍ كما فُجِعَ الأيتامُ منهُ بوالدِ
بكتْهُ اليتامى والأيامى وأعولَتْ عليهِ الأسارى خائباتِ المواعدِ

وقال :

(من المديد)

يا مُجيلَ الرُّوحِ في جَسَدي والّذي يَفْتَرُّ عن بَرَدِ
وفريدَ الحسنِ واحِدَهُ منتهاهُ منتهى العددِ
خُذْ بكفّي إنّني غَرِقٌ في بحارٍ جَمّةِ المددِ
ورياحُ الهَجرِ قد هدمَتْ ما أقامَ الوصلُ مِن أوَدي !

وقال في معنى « المبادرة بالعمل الصالح » :

(من البسيط)

بادِرْ إلى التّوبةِ الخلصاء مجتهداً والموتُ ويحكَ لم يَمدُدْ إليكَ يَدا
وارقُبْ من اللهِ وعداً ليسَ يُخلِفهُ لا بدَّ للهِ من إنجازِ ما وَعَدا

(*) هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ، من أهل قرطبة . كان من فقهاء الأندلس ، مقدماً في المشاورين في الأحكام ، منفرداً برئاسة البلد غير مدافع – كما قال ابن الفرضي – رحل إلى المشرق حاجاً وتاجراً ، ودخل بغداد ومصر وسمع بهما . وكان عاقلا ، كريماً ، عظيم المال والجاه ، وأخبار جوده وإنفاقه في حاجات الناس كثيرة مستفيضة . وقال ابن عبد البر : لقد رأيت البدار يوم جنازته من كل ضرب : الأصحاء بناحية والمرضى بناحية ؛ وأهل الثغور بجانب ، واليهود والنصارى كذلك ؛ ما شهدت مثل جنازته ولا حكى أحد أنه شهد مثلها لعظيم إحسانه الناس ، ومكانه من قلوبهم وسعيه في حوائجهم .
وتوفي عن عمر مديد في عاشر رمضان ٢٩٨ . وجعل صاحب الجذوة وفاته سنة ٢٩٧ .
(جذوة المقتبس ٢٦٨ وتاريخ العلماء والرواة ٢٥٠ وترتيب المدارك للقاضي عياض ٤٢٢)

نقل ابن دحية في « المطرب » قصة جرت لابن عبد ربه مع الكاتب أبي حفص عمر بن قِلْهيل في التسمّع على جاريته « مصابيح » ، قال : اتفق أن اجتاز أحمد بن عبد ربه بدار أبي حفص عشيّةً فقرع سمعَه من طيب الغناء ما استوقفه وأراد الدنوّ من الباب . وقيل إنه صُبّ عليه من العِلِيّة ماءٌ بلّ ثيابه ، فلم يردَعْه ذلك عن طلب الازدياد في السماع . فعدل إلى مسجد بقرب الدّار ، وسأل المعلم فيه أن يأتيه بدواة وبَياض يكتُب فيه فجاءه بهما . فكتب إلى ابن قِلهيل رقعة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . طاولتكَ النعم وطالت بك . إنّا لمسنا سماءَ لحونك (فوجَدْناها ملئتْ حَرَساً شَديداً وشُهباً . وأنّا كنا نقعدُ منها مقاعِدَ للسّمعِ . فمن يستمع الآنَ يجدْ له شِهاباً رَصَداً) [« الجن » ٧٢ / ٩ــ ٨] وفي ذلك أقول :

(من البسيط)

يا مَنْ يَضِنُّ بصوتِ الطّائرِ الغَرِدِ ... ما كنتُ أحسبُ هذا الضّنَّ من أحدِ
لو أنَّ أسماعَ أهلِ الأرضِ قاطبةً ... أصغتْ إلى الصّوتِ لم ينقصْ ولم يزدِ
لولا اتّقائي شِهاباً منكَ يُحرقُني ... بناره لاسترقتُ السمعَ مِنْ بُعدِ
لو كانَ زريابُ حَيّاً ثمّ أسمِعَهُ ... لماتَ من حَسَدٍ أو ذابَ من كمدِ !
فلا تضنّ على أُذني تقرّطُهـــا ... صَوتاً يجولُ مجالَ الرُّوحِ في الجَسَدِ
أما الشرابُ فإنّني لستُ أقرَبُهُ ... ولستُ آتيكَ إلاّ كِسرتي بيدي !

وسأل البوّاب فأوصل الرقعة إليه . فلما قرأها وعَرَف موضعه جاء حافياً إليه ، وسأله الحضور ففعل ، ثم قال ممازحاً : هاتِ الكسرة التي زعمتَ أنك ترفع عنا مؤونتها ! فقال : أنصرفُ فآتيك بها ! فأقام أحمد عنده أيّاماً .

وقال :

(من البسيط)

الجسمُ في بلَدٍ والرّوحُ في بلَدِ يا وحشةَ الرّوح بل يا غُربة الجسدِ
إن تبكِ عيناكَ لي يا مَنْ كلفتُ بهِ من رحمةٍ فهُما سهماكَ في كبَدي!

وقال في ذكر الموت :

(من البسيط)

مَن لي إذا جُدتُ [1] بين الأهلِ والولدِ وكان منّيَ نحو الموتِ قيدَ يدِ [2]
والدّمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةٌ فالدّمعُ في صبَبٍ والنّفسُ في صُعُدِ
ذاكَ القضاءُ الذي لا شيء يصرفُهُ حتى يفرّقَ بين الرّوحِ والجسدِ!

وقال في معنى فضل المال :

(من البسيط)

دعني أصُنْ حرَّ وجهي عن إذالتهِ وإن تغرّبتُ عن أهلي وعن ولَدي
قالوا: نأيتَ عن الإخوان قلتُ لهمْ : مالي أخٌ غير ما تُطوى عليه يدي!

---

(١) أي : جدت بنفسي وروحي ، وفي الأساس : يجود بنفسه أي يسوق .
(٢) القيد : القدر .

قال صاحب « المقتبس » : (وكان فتح قلعة أيّوب [1] عظيم الشأن لِما اجتمعَ عليه من خضد لشوكة التّجيبيّين [2] ؛ إذ كانت فيهم عدّةٌ من فُرسان سَرقسطة الممدّين لهم ؛ إلى الظفر بخمس مئة فارس من المشركين في دار الإسلام أودوا فلم يَنْجُ منهم إلاّ الخمسون المؤمَّنون من عرضهم ؛ إلى افتتاح سبعة وثلاثين حِصناً من حُصون الجلالقة في مقام واحد ، وانقطاع المارق محمد بن هاشم زعيم الجماعة من الانتصار بأوليائه المشركين ، وما جرى عليه من نقص عَدده ، وقطع عُدده ، وانفراده بسالفته .

وقد ذكرت الشعراء هذا الفتح في تهنئة الناصر لدين الله به ، منوّهةً

---

(١) قلعة أيوب : مدينة بالثغر الأعلى من أعمال سرقسطة . قال ياقوت (٤ : ٣٩٠) « وهي مدينة جليلة القدر بالأندلس بالثغر من أعمال سرقسطة ، بقعتها كثيرة الأشجار والأنهار والمزارع ، ولها عدة حصون ، وبالقرب منها مدينة تبلة » . وفي الروض المعطار (٤٦٩) هي مدينة رائعة البقعة ، حصينة شديدة المنعة كثيرة الأشجار والثمار . ونص البكري في المسالك والممالك (٩١) على أنها مدينة محدثة . وذكر العذري في ترصيع الأخبار (٤١) أنه لما ثار بنو قسي على الإمام محمد المرواني بثغر سرقسطة نوه بأولاد عبد العزيز التجيبي وبنى لهم قلعة أيوب ، وأدخل فيها جماعة – سماهم – ونصبهم لمحاربة بني قسي . فهذا مبتدأ ظهور مدينة قلعة أيوب وظهور أسرة التجيبيين في سرقسطة والثغر الأعلى .

(٢) التجيبيون النازلون بالثغر من ثوار العرب المتنزين ، كان بنو مروان استعملوهم على عدد من عواصم الثغر فأذعنوا الطاعة – وخرجوا عنها أحياناً – وتحالف بعضهم مع دول النصارى لدعم استقلالهم بحكم سرقسطة وعدد من مدن الثغر . والغزوة التي ذكرها ابن حيان ، وساق شعر ابن عبد ربه فيها ، كانت سنة ٣٢٥ ، رأسها الناصر لدين الله بنفسه بعد أن خالف مطرف ابن المنذر صاحب قلعة أيوب ، وغيره من أهل الثغر ، وتآمروا مع ردمير (راميرو) صاحب ليون وطوطة (تيودا) صاحبة نبارة (نافار) . وأثمرت غزوة الناصر سقوط سرقسطة واستسلام محمد بن هاشم صاحبها ، ومقتل مطرف ودخول قلعة أيوب ، وكسر حلف النصارى (سماهم مشركين) وخضوع طوطة للأمير المرواني .

(ترصيع الأخبار العذري : ٥٠ – ٥٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٣٠ وفيه أن الذي قتل يوم فتح قلعة أيوب الناصر وكان صاحبها يومذاك هو سليمان الشرورب) .

وقارن بالدراسات الحديثة : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ٢٥٨ ، ودولة الإسلام في الأندلس – العصر الأول – القسم الثاني : ٣٨٥ .

بمقداره فأكثرتْ وجوّدت . فمن أحسن أقوالها فيه قول زعيمهم أحمد بن محمد بن عبد ربّه في شعر أوّله :

(من البسيط)

يا ابنَ الخلائفِ والصِّيدِ الصَّناديدِ ألقتْ إليكَ الرَّعايا بالمَقاليدِ

وقال في الناصر لدين الله يوم البيعة له في قرطبة :

(من البسيط)

يا مَنْ عليهِ رداءُ البأسِ والجودِ من جود كفّك يجري الماءُ في العودِ
لما تطلّعتَ في يوم الخميسِ لنا والناسُ حولك في عيدٍ بلا عيدِ !
وبادرتْ نحوكَ الأبصارُ واكتحلتْ بحُسْنِ يوسفَ في مِحرابِ داودِ !

---

(٥) بنو حجاج أسرة عربية من لخم . ودار اللخميين بالأندلس — كما في جمهرة أنساب العرب : ٤٢٤ — شذونة والجزيرة وإشبيلية . و « إبراهيم بن حجاج » (٢٣٨ — ٢٩٨) كان من جملة أهل المعاقد والتصرف في الصوائف ، واستعمله الأمير عبد الله على كورة إشبيلية . وكان متمسكاً بالطاعة مع ابني خلدون — وكانوا تقاسموا البلد بينهم — ثم قتلهما في خبر طويل . وأظهر إبراهيمُ الخلعان واستبد أيضاً بقرمونة وعاقد ابن حفصون . ثم عاود الطاعة والتزم قطيعاً من الجباية . قال ابن حيان : ولم يجاهر بالمعصية في أكثر أوقاته . وكان ابن حجاج قد اتخذ كاتباً وقاضياً وصاحب مدينة يقيم الحدود ، وكانت له بإشبيلية طرز يطرز فيها اسمه كفعل السلطان . وكان جواداً ممدحاً يرتاح للثناء ويعطي الشعراء . . . وكان أهل قرطبة متعرضين لسيبه فيكرمهم ويصلهم . وقد انتجعه أحمد بن عبد ربه من بين جميع ثوار ذلك الوقت بالأندلس فعرف قدره وأفضل عليه . وتوفي ابن حجاج سنة ٣٩٨ ، بعد أن كان ضمن من الأمير التسجيل لابنه عبد الرحمن على إشبيلية منذ سنة ٢٩٢ .

(ترصيع الأخبار ١٠٣ ، المقتبس (ملطية) : ١١ ، البيان المغرب ٢ : ١٢٥ ، العبر (تاريخ ابن خلدون) ٤ : ٢٩٤ ، الحلة السيراء ٢ : ٣٧٦ أعمال الأعمال (قسم الأندلس) ٣٤ . المسالك والممالك للبكري ١١٢) .

وقال يمدح إبراهيم بن حجّاج ، والي إشبيلية [1] .

(من الوافر)

كتابُ الشّوقِ يطويهِ الفؤادُ ... ومن فيْضِ الدّموعِ لهُ مِدادُ
تخطّ يدُ البُكاءِ بهِ سُطوراً ... على كبدي ويُمليها السُّهادُ
وكيفَ وبي فؤادٌ مستطيرٌ ... لمنْ لا يستطيرُ لهُ فؤادُ
أمِن يمَن يكونُ الجُودُ خِلْواً ... وإبراهيمُ حاتمُها الجَوادُ
زيارتُه لمن يأتيهِ حَجٌّ ... ومِدحتهُ رباطٌ أو جهادُ
ومالي في التخلّفِ عنهُ عُذرٌ ... ولي في الأرض راحلةٌ وزادُ!

وقال في صفة الخمر :

(من الوافر)

مُورَّدَةٌ إذا دارتْ ثلاثاً ... يُفتّحُ وردُها وَرْدَ الخدودِ
فإن مُزِجتْ تخالُ الشمس فيها ... مطبّقةً على قَمَرِ السُّعودِ

وقال في معنى « الشباب » :

(من الوافر)

شبابي ! كيفَ صرتَ إلى نفادِ ... وبُدّلْتَ البياضَ منَ السّوادِ ؟

---

(١) إشبيلية : من أشهر مدن الأندلس ، وهي مدينة قديمة كانت دار مملكة دهراً طويلا . وتقع على النهر الأعظم – نهر الوادي الكبير – اشتهرت بخصبها وخيراتها . وكانت ذات أهمية خاصة في التاريخ الأندلسي لقربها من العاصمة « قرطبة » ولوفرة جباياتها ولمكانة موقعها . كانت إشبيلية كورة كبيرة أيام الدولة المروانية، وتمركز بها بنو عباد اللخميون مدة دول الطوائف فاتخذوها عاصمة . ثم آلت إلى ولاية أيام المرابطين، وحظيت بمكانة خاصة أيام الموحدين . وسقطت المدينة سنة ٦٤٦ .
انظر (ترصيع الأخبار ٩٥ والروض المعطار ٥٩ معجم البلدان ١ : ١٩٥) .

وما أبقى الحوادثُ منكَ إلاّ كما أبقتْ من القمرِ الدآدي[1]
فراقُك عرّفَ الأحزانَ قلبي وفرّقَ بينَ جفني والرُّقادِ
فيا لنعيمِ عيْشٍ قد تولّى ويا لغليلِ حزْنٍ مستفادِ
كأنّي منكَ لم أرْتعْ بربْعٍ ولم أرتَدْ به أحلى مَرادِ
سقى ذاكَ الثرى وبلُ الثريّا وغادى نبْتَهُ صوبُ الغوادي
فكمْ لي مِن غليلٍ فيه خافٍ وكمْ لي مِن عويلٍ فيه بادي
زمانٌ كانَ فيه الرُّشدُ غيّاً وكانَ الغيُّ فيهِ منَ الرَّشادِ
يُقبّلُني بِدلّ من قبُولِ ويُسعدُني بوصلٍ من سُعادِ
وأجنُبُهُ فيُعطيني قيــاداً ويجنُبُني فأعطيهِ قيادي !

وقال في معنى « الصبر والإقدام في الحرب » . وذكر القائد أحمد بن محمد بن أبي عبادة :

(من الوافر)

مَقيلُكَ تحتَ أظلالِ العوالي وبيتُكَ فوقَ صهواتِ الجيادِ
تبختَرُ في قميصٍ من دِلاصٍ[2] وترفُل في رداءٍ من نِجادِ
كأنّكَ للحُروبِ رضيعُ ثَدْيٍ غذَتكَ بكلِّ داهيةٍ نآدِ[3]

---

(١) الدآدي والواحدة : دأداءة . ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحاق ، وقيل إنها هي .
(•) هو القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة ، أحد أعوان الناصر لدين الله ، وقائد من قادة فيالق جيشه . أقره الناصر على منزلته من القيادة بعد بيعة الناس له ، ووجهه في عدد كبير من المهمات الحربية واعتمد عليه ، وكان شجاعاً ، مظفراً .
(انظر : تاريخ الناصر : ٤٣ والبيان المغرب ٢ : ١٥٨ والعبر ٤ : ١٤١) .
(٢) الدلاص : الدرع « يقال للواحد والجمع » .
(٣) النآد : الداهية .

فكمْ هذا التمنّي للمنايـا وكمْ هذا التجلُّدُ للجِلادِ
لئن عُرِفَ الجِهادُ بكلِّ عامٍ فإنّكَ طولَ دهرِكَ في جِهادِ
وإنّكَ حينَ أُبتَ بكلِّ سَعْدٍ كمثلِ الرُّوحِ آبَ إلى الفؤادِ
رأينا السّيفَ مُرتَدياً بِسَيْفٍ وعايَنّا الجَوادَ على الجَوادِ!

وقال في معنى «الشيب»:

(من الوافر)

سوادُ المرءِ تُنفِدُهُ اللّيالي وإنْ كانتْ تصيرُ إلى نَفادِ
فأسوَدُهُ يصيرُ إلى بَياضٍ وأبيضُهُ يعودُ إلى سَوادِ!

وقال:

(من الوافر)

سرى طيفُ الحبيبِ على البِعادِ ليُصلحَ بينَ عَيني والرُّقادِ
فباتَ إلى الصَّباحِ يَدي وسادٌ لِوَجْنَتِهِ كما يَدُهُ وِسادي
بنفْسي مَن أعادَ إليَّ نفْسي وردَّ إلى جَوانحِهِ فؤادي
خيالٌ زارَني لمّـا رآني عَدَتْني عن زيارتِهِ عَوادي
يُواصِلُني على الهِجْرانِ منهُ ويُدنيني على طولِ البِعادِ!

وقال في رثاء ولده:

(من الكامل)

بليتْ عِظامُكَ والأسى يتجدّدُ والصّبرُ يَنفَدُ والبُكا لا يَنفَدُ
يـا غائبـاً لا يُرتجى لإيابِهِ ولِقائِهِ ــ دون القيامةِ ــ مَوعِدُ

ما كانَ أحسنَ مَلحداً ضُمّنتَهُ لو كانَ ضمَّ أباكَ ذاكَ المَلحدُ
باليأسِ أسلو عنكَ لا بتجلّدي هيهاتَ ! أينَ من الحزين تجلُّدُ !

وقال في رثاء ابنه أيضاً :

(من الكامل)

قَصَدَ المنونُ لهُ فماتَ فقيداً ومضى على صرف الخطوبِ حميدا
بأبي وأمّي هالكاً أفردتُهُ قد كانَ في كلّ العلومِ فريدا
سودُ المقابرِ أصبحتْ بيضاً بهِ وغدتْ لهُ بيضُ الضمائرِ سُودا
لم نُرْزَهُ — لمّا رُزِئنا — وحدَهُ وإن استقلّ بهِ المنونُ وحيدا !
لكنْ رُزِئنا القاسمَ بن محمّدٍ فيْ فضلِهِ والأسود بن يزيدا [1]
وابن المبارك في الرّقائقِ مُخبراً وابنَ المسيّبِ في الحديث سعيدا [2]
والأخفشَيْنِ فصاحةً وبلاغةً [3] والأعشَيَيْنِ روايةً ونشيدا [4]
كانَ الوصيَّ إذا أردتُ وصيّةً والمُستفادَ إذا طلبتُ مُفيدا
ولّى حفيظاً في الأذمّةِ حافظاً ومضى ودوداً في الورى مَودودا
ما كانَ مِثلي في الرزيّةِ والداً ظَفِرَتْ يداهُ بمثلِهِ مَولودا
حتّى إذا بذّ السوابقَ في العُلا والعلمِ ضُمّنَ شِلوُهُ مَلحودا

---

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٣٧ – ١٠٧) أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة. والأسود بن يزيد (... – ٧٥) . تابعي فقيه من الحفاظ ، كان عالم الكوفة في عصره .
(٢) عبد الله بن المبارك (١١٨–١٨١) شيخ الإسلام الحافظ المجاهد . وأول من صنف في الجهاد . وسعيد بن المسيب (١٣ – ٩٤) سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة في المدينة .
(٣) الأخفش لقب لأكثر من عالم .
(٤) أشهر من لقب بالأعشى أعشى قيس : ميمون بن قيس (ت : ٧ هـ) وله ديوان شعر .

يا مَنْ يفنّد في البُكاءِ ولَمْها ما كانَ يسمعُ في البُكا تفنيدا
تأبى القُلوبُ المُستَكينةُ للأسى مِنْ أنْ تكونَ حِجارةً وحَديدا!
إنَّ الذي بادَ السّرورُ بموتِـه ما كانَ حُزْني بعدَهُ ليَبيدا
الآنَ لمّا أنْ حويتَ مـآثِراً أعيتْ عدوّاً في الورى وحسودا
ورأيتُ فيكَ مِنَ الصّلاحِ شمائلاً ومن السّماحِ دلائلاً وشُهودا
أبكي عليكَ إذا الحمامةُ طرّبَتْ وجهَ الصّباحِ وغرّدَتْ تغريدا
لولا الحياءُ وأنْ أُزَنّ (١) ببدعةٍ ممّا يُعَدّدُهُ الورى تعديدا
لجعلتُ يومَكَ في المناثحِ مأتماً وجعلتُ يومَكَ في الموالدِ عيدا!

وقال:

(من الكامل)

يُنْبيكَ أنّكَ لم تَجِدْ وَجْدي ما خدّتِ العَبراتُ مِنْ خَدّي
نامَ الخليُّ عـن الشّجيِّ بـهِ وجفا الملولُ ولجَّ في الصّدِّ
كنتَ الشّفاءَ فصرتَ لي سَقَماً أبداً تتوقُ إلى هوًى مُرْدي

وقال * :

(من مجزوء الكامل)

يـا مَنْ تجلّدَ للزّمـا نِ أما زمانُكَ منكَ أجلَدْ
سلّطْ نُهاكَ عـلى هوا كَ وعُدَّ يومَكَ ليس من غَدْ

---

(١) زن فلاناً وأزنه بخير أو شر: ظنه به.
(*) أورد ابن عبد ربه هذه القطعة في فصل عقده للترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف، وقدم لها بقوله «ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق».

إنَّ الحيـــاةَ مَزارِعٌ فازرَعْ بها ما شئتَ تَحْصُدْ
والنــاسُ لا يبقى سوى آثارِهِمْ والعَيْنُ تُفْقَدْ
أوَما سمعتَ بمنْ مَضى هذا يُذَمُّ وذاكَ يُحْمَدْ
والمالُ إنْ أصلَحْتَـــهُ يَصْلُحْ وإنْ أفسدتَ يَفْسُدْ
والعلمُ ما وَعَتِ الصدو رُ وليسَ ما في الكتبِ يَخْلُدْ

وقال :

(من الرجز)

قلبٌ بِلَوعاتِ الهوى مَعمودُ حيٌّ كَميتٍ ، حاضرٌ مَفقودُ
ما ذقتُ طعمَ الموتِ في كأسِ الأسى حتى سقتنيــه الظِّباءُ الغِيدُ
مَنْ ذا يُداوي القلبَ من داءِ الهوى إذْ لا دواءٌ للهوى موجودُ ؟ !
أم كيفَ أسلو غادةً . ما حُبُّها إلاّ قضاءٌ ما لَهُ مَرْدودُ
القلبُ منهــا مُستريحٌ سالمٌ والقلبُ منّي جاهدٌ مجهُودُ

وقال :

(من مجزوء الرمل)

يا قتيلاً مِنْ يَــدِهْ مَيّتــاً من كَمَدِهْ
قَدحتْ للشوقِ نــاراً عينُـهُ في كَبِـــدِهْ
هائمٌ يَبْكي علَيْــهِ رحمةً ذُو حَسَــدِهْ
كلَّ يومٍ هوَ فيــــهِ مستعيذٌ من غَــدِهْ
« قلبُهُ عنــدَ الثُّريّا بائنٌ عَــنْ جَسَدِهْ »

وقال في البكاء من خشية الله تعالى :

(من السريع)

مَدامِعٌ قد خَدَّدتْ في الخدودِ وأعينٌ مَكْحولَةٌ بالهُجودِ
ومَعشَرٌ أوعدهُمْ رَبُّهُمْ فبادروا خَشْيةَ ذاكَ الوَعيد
فَهمْ عُكوفٌ في محاريبِهمْ يبكونَ من خوفِ عقابِ المجيدِ
قد كادَ أن يُعشِبَ من دَمعهمْ ما قابلتْ أعيُنهمْ في السّجودِ !

وقال في رثاء ولده :

(من المنسرح)

واكَبِدا قد تَقَطّعَتْ كَبِدي وحرّقَتها لواعِجُ الكَمَدِ
ما ماتَ حيٌّ لميّتٍ أسَفاً أعذرُ من والدٍ على ولَدِ
يا رحمةَ اللهِ جاوري جَدَثاً دفنتُ فيهِ حُشاشَتي بيَدي
ونَوّري ظُلمةَ القُبورِ على مَنْ لم يصلْ ظُلمُهُ إلى أحدِ
مَنْ كان خِلواً من كل بائقة[1] وطيّبَ الرّوحِ طاهرَ الجسدِ
يا مَوتُ يحيى لقد ذهبتَ به ليسَ بِزُمّيلةٍ ولا نَكِدِ[2]
يا موتَهُ لو أقلْتَ عَثرتَهُ يا يومَهُ لو تركتَهُ لِغَدِ
يا موتُ لو لم تكنْ تُعاجِلُهُ لكانَ لا شكَّ بيضةَ البلدِ[3]
أو كنتَ راخيتَ في العنانِ لهُ حازَ العُلا واحتوى على الأمدِ
أيَّ حسامٍ سلبتَ رونَقَهُ وأيَّ روحٍ سللتَ من جَسَدِ
وأيَّ ساقٍ قطعتَ من قَدَمٍ وأيَّ كفٍّ أزلتَ من عَضُدِ
يا قمراً أجحفَ الخُسوفُ بهِ قبلَ بُلوغِ السّواءِ في العَدَدِ[4]

---

(١) باق فلان : جاء بالشر . والبائقة مفرد البوائق : الشر والظلم .
(٢) الزميلة : الجبان الضعيف . ورجل نكد : شؤم عسر .
(٣) بيضة البلد : واحده الذي يجتمع إليه ، ويقبل قوله .
(٤) السواء : الوسط . يريد ليلة أربع عشرة .

أيُّ حشاً لم تذب له أسفاً وأيُّ عينٍ عليه لم تجُد ؟
لا صبرَ لي بعده ولا جلَدٌ فُجعتُ بالصبرِ منه والجَلَد
لو لم أمُتْ عندَ موتِه كمَداً لحقَّ لي أن أموتَ من كمدي
يا لوعةً ما يزالُ لاعجُها يقدحُ نارَ الأسى على كَبِدي

وقال في فتح قَرْمُونة والظفر بابن سَوادة من قصيدة أوّلها(*) :

(من المنسرح)

أمّا الهُدى فاستقام من أوَدِهْ[1] ومدّ أطنابَهُ على عَمَدِهْ
وانتعشَ الدّينُ بعدَ عثرتِه واتّصلتْ كفُّهُ على عضدِهْ
وزُلْزِلَ الكفرُ من قواعدِه وجُبَّ رأسُ النّفاق من كتدِهْ[2]
بفتحِ قَرْمونة[3] التي ستبقَتْ ما عدّ كفُّ الخلاف من عددِهْ

(*) في سنة ٣٠١ خرج الناصر لدين الله في غزوة إلى كورة ريه والجزيرة وقرمونة – وهي الثانية من غزواته – فحارب المعاندين واستنزل المستأمنين وضبط النواحي . « حتى أوفى على مدينة قرمونة ، وكان حبيب بن سوادة قد أظهر الخلاف ، فنازلته جيوش أمير المؤمنين وحوصر بها عشرين يوماً حتى عضته النكاية ، وأخذت بمخنقه المحاصرة ثم استأمن فأمن » . وأمهله الناصر حتى انتقل بماله وأهله إلى قرطبة . (أخبار الغزوة في تاريخ الناصر لدين الله : ٤٢ ، والمقتبس « مخطوطة الرباط » : ٦٥ أ ، والبيان المغرب ٢ : ١٦٤ – ١٦٥) . وذكر صاحب البيان والمغرب الحادثة « ٢ : ١٣١ » وسمى المخالف بقرمونة (حبيب بن عمر بن سوادة) وقال إنه كان على المدينة والياً من قبل السلطان ، ثم خالف ، حتى حاصره الناصر لدين الله واستنزله .

(١) الأود : الاعوجاج . (٢) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس .

(٣) قرمونة قال في الروض المعطار (٤٦١) : مدينة في الشرق من إشبيلية ، بينهما عشرون ميلا ، تقع في سفح جبل عليها سور حجارة وجنباتها ممتنعة على المحاربين إلا من جهة الغرب . ويقبلي قرمونة فحص عريض حسان الزرع فيه قرى كثيرة ذات مياه غزيرة وعيون وآثار) . تلت ولا تزال « قرمونة » تعبق بالأريج العربي في آثارها وطابعها . وأول ما يلفت زائرها العربي ويأسر قلبه منارة مسجد قرمونة الباقية ، وهي تشبه منارة المسجد الجامع بقرطبة وتتربع على الطراز الأموي .

بيُمنِ أسنى أميةٍ حسَباً وخيرِهمْ رافِداً لمُرتَفِدِهْ
إمامُ عدلٍ على رَعيتِهِ أشفَقُ مِن والدٍ على ولدِهْ
أحيَى لنا العدلَ بعدَ ميتَتِهِ وردَّ روحَ الحياةِ في جسدِهْ
في كلِّ يومٍ يَزيدُ مَكرُمَةً ويقصرُ الوصفُ عن مدى أمدِهْ
فأمسُهُ دونَ يومِهِ كرَماً ويومُهُ في السَّماحِ دون غَدِهْ
للهِ عبدُ الرَّحمنِ من مَلِكٍ لابسِ ثوبِ السَّماحِ معتقدِهْ

وقال :

(من المنسرح) *

عاضَتْ بوصلٍ صَدّا تُريدُ قَتْلي عَمْدا
لمّا رَأتني فَرْدا أبكي وألقى جَهْدا
قالَتْ وأبدَتْ دُرّا « ويلُمّ سَعدٍ سَعدا »(1)

وقال * بمناسبة مبايعة أهل الأندلس الأمير عبد الرحمن الناصر (2) :

(*) من المنسرح المنهوك (المكسوف) .

(1) من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الخندق . وهو من شواهد العروض « انظر المعيار ٦٨ والوافي ١٤٨ والاقناع ٥٧ » . وقرأها في شرح التحفة : رداً.

(*) أورد ابن عبد ربه أسماء خلفاء بني أمية في الأندلس وتواليفهم في نسق ، وقال في الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد « ثم ولي الملك القمر الأزهر ، الأسد الغضنفر ، الميمون النقيبة ، المحمود الضريبة . سيد الخلفاء ، وأنجب النجباء عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ؛ صبيحة هلال ربيع الأول سنة ثلاث مئة ، فقلت فيه : « البيتان الأولان » . . . وهي عدة أبيات .

(2) قال الإمام ابن حزم فيه « هو المسمى بالخلافة وإمرة المؤمنين دون جميع من تقدم من أسلافه وتلقب بالناصر لدين الله . واتصلت ولايته خمسين سنة وستة أشهر ، واستولى على الأندلس وكثير من بلاد البربر — بالمغرب — استيلاء لم يستوله أحد من سلفه بالأندلس » الجمهرة ١٠٠ .

(من المجتث)

بَدَا الهِلالُ جَدِيداً والمُلْكُ غَضٌّ جَدِيدُ
يا نِعمَةَ اللهِ زِيدِي ما كانَ فيكِ مَزِيدُ
[إن كانَ للصَّومِ فِطْرٌ فأنتَ للدَّهْرِ عِيدُ]
.... صرفِ بَدْرٍ تَنَاوَلَتْهُ السُّعُودُ
إمامُ عَدْلٍ عَلَيْهِ تاجانِ : بأسٌ وجُودُ
يومَ الخَمِيسِ تَبَدَّى لنا الهِلالُ السَّعِيدُ
فكلَّ يومِ خَمِيسٍ يكونُ للنَّاسِ عِيدُ !

وقال :

(من الخفيف)

يا غَلِيلاً كالنَّارِ في كَبِدِي واغترابَ الفؤادِ عن جَسَدِي
وجُفوناً تَذرِي الدُّموعَ أسًى وتبيعُ الرُّقَادَ بالسَّهَدِ
ليتَ مَنْ شَفَّنِي هواهُ رأى زفراتِ الهوى على كَبِدِي
عادَةٌ نازِحٌ شَلَّتُهَا ، وكَلَّتْنِي بِلَوْعَةِ الكَمَدِ
« رُبَّ خَرْقٍ من دونِها قَذَفٍ ما به غيرُ الجِنِّ من أحدِ »[1]

---

(١) استشهد بالأبيات في (شرح تحفة الخليل) : ٢٦٣ .

حَرفُ الذّال

وقال :

(من المديد)

ذكرتْ من طيزَناباذِ[1]   فقُرى الكرخِ ببغداذِ
قهوةٌ ليسَتْ بباذِقَةٍ   لا ولا بِتْعٍ ولا داذِي[1]
مرّةٌ يَهذي الحليمُ بها   بأبي ذلكَ مَن هاذي[2]
فهي أُستاذُ الشّرابِ بنا   والمعاني دأبُ أستاذي !

---

(١) موضع بين الكوفة والقادسية . قال في معجم البلدان : وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة . . . ولأهل الخلاعة فيها أخبار يطول ذكرها . ولأبي نواس :

بطيزناباذ كرم ما مررت به   إلا تعجبت من يشرب الماء !

(٢) الباذق : الخمر الاحمر ، والبتع : نبيذ العسل . والداذي في القاموس شراب الفساق . وفي شرحه : هو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب .

(٣) كذا في المصادر « مرة » . قلت ولعلها « مزة » بالزاي وهي الخمر اللذيذة الطعم .

حرف الراء

[وفي سنة ٣٠٢] ولد الحكم بن الناصر لدين الله أثير أولاده الذي اختاره من جماعتهم ، وولاه عهده ، فورث سلطانه بعده ، وتسمى بالمستنصر بالله . ويكنى أبا العاصي . وكانت ولادته بقصر قرطبة يوم الجمعة حين النداء لصلاتها وانبعاث الخطيب في الخطبة غرة رجب من هذه السنة ، فنوه والده الناصر لدين الله بولادته ، وأوسع الإنفاق على عقيقته ، واقترب طبقات الناس إليه بالتهنئة إليه . واستنفرت شعراؤهم في التبشير بطلوعه ، فقال في ذلك أحمد بن محمد بن عبد ربه :

(من الطويل)

هلالٌ نَماهُ المجدُ واختارَهُ الفَخْرُ ... تلقّتْ به شمسٌ وأنجبَهُ بَــدرُ

على وجْهِهِ سِيما المَكارمِ والعُلا ... فضاءتْ بهِ الآمالُ وابْتَهجَ الشِّعْرُ

سلالةُ أملاكٍ ، ربيبُ خَلائفٍ ... أكفُّهم بَحْرٌ . ونائِلُهم غَمْرُ

بَدا لِصَلاةِ الظُّهرِ نَجْمَ مكارمٍ ... تحفُّ بهِ العَلْيا ويكْنُفُه الفخر

نَمــاهُ إلى العَلْياءِ خيرُ خَليفةٍ ... تَتيهُ بهِ الدُّنْيا ويزهى به القصرُ

كذاكَ يطيبُ الفَرْعُ إنْ طابَ نَجْرُهُ ... وما طابَ فرعٌ لا يطيبُ لهُ نَجْرُ(١)

---

(١) النجر والنجار (بالنون المشددة المضمومة ، والمكسورة) : الأصل .

فلا زالَ مَحفوفاً بأكنافِ نِعمةٍ — يطيرُ له ذِكْرٌ ويسمو بهِ قَدْرُ

هَنيئاً إمامَ المُسلمينَ عَطيّـــةً — حباكَ بها ربٌّ لهُ الحمدُ والشكرُ

فيا مَنْ كَساهُ اللهُ تاجَ خِلافَـــةٍ — ومَنْ جودهُ قَطرٌ إذا أعدم القَطْرُ *

ومَن كاد يَنْدى[1] الخيزران بكفّهِ — ويَنْبُتُ في أطرافِهِ الورَقُ الخضرُ

. . . . العُمْرُ

. . . . الذي لاح . . . . فجرت . . . . نحوه الأنجم الزّهرُ

. . . . كفى بحمله . . . . جرى الدّهرُ[2]

وقال « في طفل أصيب به ** » :

(من الطويل)

على مِثلِها مِنْ فَجيعةٍ خانَني الصَبْرُ — فراقُ حبيبٍ دونَ أوبتهِ الحَشْرُ

ولي كبدٌ مشطورةٌ في يدِ الأسى — فتحتَ الثرى شطراً وفوقَ الثرى شطرُ

يقولونَ لي صبرٌ فُؤادَكَ بَعْدَهُ — فقلتُ لهم: مالي فؤادٌ ولا صبرُ !

فُرَيخٌ من الحُمرِ الحواصلِ ما اكتسى — من الرّيش حتى ضمّهُ الموتُ والقبرُ

إذا قلت: أسلُو عنهُ هاجَتْ بلابلٌ — يجدّدُها فكرٌ يجدّدُهُ ذِكْـــرُ

وأنظرُ حولي لا أرى غير قَبْرِهِ — كأنّ جميع الأرضِ عندي له قَبْرُ

أفَرْخَ جِنانِ الخُلد طِرتَ بمهجتي — وليسَ سوى قَعرِ الضّريحِ لهُ وكرُ

(*) كذا في المطبوع . ولعلها « إذا عدم القطر » .

(١) في كتاب « تاريخ الناصر لدين الله » ص ٤٩ : يبدي . ورجحت أن أقرأها « يندى » بمجاراة للمعنى ، وسياق البيت ، وأظن المحقق صحف في قراءة الكلمة .

(٢) هذا هو الباقي من الأبيات الثلاثة في المخطوطة المعتمدة .

(**) ساق ابن عبد ربه القصيدة بعد بيتين ذكرهما لأعرابي ، وهما :

بني لئن ضنت جفون بمائها — لقد قرحت مني عليك جفون

دفنت بكفي بعض نفسي فأصبحت — والنفس منها دافن ودفين

نقل ابن حيّان في المقتبس – في أخبار الأمير محمد بن عبد الرحمن – ما ذكره الرازي من عنايته بالبنيان والعمران . وأسهب في ذكر « مُنية كِنْتُش »[1] . قال :

ولأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه في وصف مُنيةِ كِنْتُش هذه لأول انبعاثه في قول الشّعر قصيدة طويلة مُستحسنة أوّلها :

(من الطويل)

أَلِمّا على قَصْرِ الخليفةِ فانظُرا	إلى مُنيةٍ زهراءَ شِيدتْ لأزهرا
مزوّقةٍ تستودعُ النّجمَ سرَّهـا	فتحسبُهُ يُصغي إليْهـا لتُخبرا
هي الزّهرةُ البيضاءُ في الأرض ألبستْ	لها الزهرةُ الحمراء في الجو مِغفرا[2]
بودٍّ وِداداً كلُّ عضوٍ ومفصلٍ	لَتُبصِرُها لو أنّهُ كان أبْصَرا
بناءٌ إذا ما اللّيلُ حلّ قناعَهُ	بدا الصّبحُ من أعرافهِ الشمّ مُسفرا
تعالى علوّاً فاتَ عن كلِّ واصفٍ	إذا أكثرُوا في وصفِهِ كان أكثرا
ترى المُنيةَ البيضاءَ في كلِّ شارقٍ	تلبّسُ وجه الشمس ثوباً مُعصفرا
إذا سَدلتْ سِتْراً على كلِّ كوكبٍ	كَبا نورُهُ من نورِها فتستّرا
فإن عدرتْ شمسُ الضّحى في نجومِها	على الجوّ كان القصرُ في الشمس أعذرا
ودونكَ فانظرْ هلْ ترى من تفاوتٍ	بهِ أو رأتْ عيناكَ أحسنَ منظرا ؟

:

(١) قال الرازي إن « كنتش » ضيعة كانت للأمير محمد بأسفل قرطبة لغربيها ، فأمر فاختط بها المنية التي شهرت بـ «منية كنتش» محكمة الصنعة، رائعة الحسن ، واتخذها موطناً من مواطن مسرته ، واستدعى شعراء آبائه لوصف منيته هذه، والثناء على حسن استنباطه لها . وممن قال فيها الشاعر المجود مؤمن بن سعيد ، وابن عبد ربه .

(٢) المغفر – والمغفرة والغفارة – زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع بها المتسلح.

تضارعُ ... تدفقتْ ... تدفق ... السنّوّرا [1]
تَرى السّوسنَ المُنآدَ بين رياضِها ... تلألأ حُسناً في بهارٍ تَدنّرا
توشّحْنَ من هذا اليمانيّ مُثلما ... تأزّرنَ من ذاكَ المُلاء المزعفرا
بموشيّةٍ يُهدي إليها نسيمُها ... على مفرقِ الأرواحِ مسكاً وعنبرا
سِداوتُها من ناصعِ اللّونِ أبيضٍ ... ولُحمتها من فاقعِ اللّونِ أصفرا [2]
تُلاحظ لحظاً من عُيُونٍ كأنّها ... فُصوصٌ من الياقوتِ كُلّلن جَوهرا
تفكّهْ أمينَ اللهِ وابنَ أمينِهِ ... بجنّةِ دُنيا رائحاً ومبكّراً
إمامَ الهُدى لا زلتَ في ظلِّ حَبْرةٍ ... ولا زلتُ أكسوكَ الثّناءَ المُحبّرا

وله في غرض التشبيب ، وخرج إلى حسن التعليل :

(من الطويل)

جَمالٌ يفوتُ الوهمَ في غايةِ الفكرِ ... وطرفٌ إذا ما فاهَ ينطقُ بالسّحرِ
ووجهٌ أعارَ البدرَ حُلّةَ حاسدٍ ... فمنه الذي يسودُّ في صَفحةِ البَدرِ

وقال في باب التنصل والاعتذار :

(من الطويل)

عَذيريَ من طولِ البكا لوعةُ الأسى ... وليس لمن لا يقبلُ العذرَ من عذْرِ

---

(١) هذا ما بقي من البيت في الأصل . والسنور : لبوس من قد كالدرع أو جملة السلاح .
(٢) السدى – بفتح السين – من الثوب خلاف اللحمة ، وهو ما يمد طولا في النسيج : الواحدة سداة . والجمع أسداء وأسدية . ولم أجد (السداوة) . وأبيض وأصفرا من الأصل .

وقال :

(من المديد)

زادني لَوْمُكَ إصرارا إنَّ لي في الحبِّ أنصارا

طارَ قلبي من هوى رشأٍ لو دَنا للقلبِ ما طارا

خُذْ بكفّي لا أمُتْ غَرَقاً إنَّ بحرَ الحُبِّ قد فارا !

أنضجَتْ نارُ الهوى كَبِدي ودُموعي تُطفِىءُ النّارا

«رُبَّ نارٍ بِتّ أرمُقها تقضمُ الهِنْديَّ والغارا »[1]

قال الحُميدي في جُذوة المقتبس : ومما أنشدني أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم من شعر ابن عبد ربه . وأخبرني أنّ بعض مَنْ كان يألفهُ أزمع على الرَّحيل في غَداةٍ ذكرها . فأتت السماءُ في تلك الغداة بمطرٍ جَوْدٍ حالَ بينه وبين الرَّحيل ، فكتب إليه أبو عُمر :

(من البسيط)

هلّاَ ابتكرتَ لبينٍ أنتَ مُبتكرُ هيهاتَ يأبى عليكَ اللهُ والقَدَرُ

ما زلتُ أبكي حِذارَ البَيْنِ ملتهفاً حتى رثى ليَ فيكَ الرّيحُ والمَطرُ

يا بَرْدَهُ مِن حَيا مُزنٍ على كبدٍ نيرانُها بغَليلِ الشّوْقِ تَستعِرُ

آليتُ ألاّ أرى شَمساً ولا قَمَراً حتى أراك فأنت الشّمسُ والقمرُ !

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي (الأغاني – دار الكتب ٢ : ١٤٧) وهو من أبيات العروض (المعيار في أوزان الأشعار : ٣٩) .

قال الحُميدي « ولأحمد بن عبد ربّه أشعار كثيرة جداً سمّاها الممحصات وذلك أنّه نقض كل قطعة قالها في الصّبا والغزل بقطعة في المواعظ والزّهد . محّصها بها كالتوبة منها والندم عليها . ومن ذلك قطعة محّص بها القطعة المذكورة أولاً ، وهي » :

(من البسيط)

يا عاجزاً ليسَ يعفو حينَ يقتدرُ ... ولا يُقضّى لهُ من عيشهِ وَطَرُ
عاينْ بقلبكَ إنّ العينَ غافلةٌ ... عن الحقيقةِ واعلمْ أنّها سَقَرُ
سوداءُ تزفرُ من غيظٍ إذا سُعِرَتْ ... للظّالمينَ فلا تُبقي ولا تَذرُ
إنّ الّذينَ اشترَوا دُنيا بآخرةٍ ... وشقوةً بنعيمٍ ساءَ ما تجرُوا
يا مَنْ تلهّى وشيبُ الرأسِ يندبُهُ ... ماذا الذي بعد شيبِ الرأسِ تنتظرُ؟!
لو لَم يكنْ لكَ غيرُ الموتِ موعظةٌ ... لكانَ فيه عن اللذّاتِ مُزْدَجَرُ
أنت المقولُ لهُ ما قلتَ مبتدئاً ... «هلاّ ابتكرتَ لبينٍ أنتَ مبتكرُ»؟

وأنشد في باب « الأدب في العيادة » :

(من البسيط)

لاغروَ إنْ نالَ منكَ السّقمُ والضّررُ ... قد تُكسفُ الشمس لابل يخسفُ القمرُ
يا غُرّةَ القَمرِ الدّاوي غضارتُها ... فِداً لِنورِكَ منّي السّمعُ والبَصرُ
إن يمسِ جسمكَ موعوكاً بصاليةٍ ... فهكذا يوعك الضرغامةُ الهصِرُ [1]

---

(١) الضرغامة والهصر : من أسماء الأسد . وصلي النار وبالنار : قاسى حرها . وسمى الحمى صالية لما فيها من حرارة وسخونة .

أنتَ الحُسام فإنْ تُفلل مضاربهُ فقبلَهُ ما يُفلّ الصّارمُ الذّكرُ
روحٌ من المجدِ في جُثمانِ مكرمةٍ كأنّما الصّبحُ من خدّيهِ ينفجرُ
لو غالَ مجلودَهُ شيءٌ سوى قدرٍ أكبرتُ ذاكَ ولكنْ غالَهُ القدرُ

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه في مديح النّاصر لدين الله ، وقد خرج متصيّداً أوّل ركوبٍ كان له في خلافته إلى منية البُنتي بشرقي قُرطبة غرّة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاث مئة في شعرٍ له أوله :

(من البسيط)

شمسٌ بدتْ من حجابِ المُلكِ أم قمرٌ أم برقُ مُدجنةٍ يَعشى له البصَرُ ؟

وقال :

(من البسيط)

يا ليلةً ليسَ في ظلمائها نورُ إلاّ وجوهاً تُضاهيها الدّنانيرُ
حُورٌ سقتني بكأسِ الموت أعينُها ماذا سقتْنيه تلكَ الأعينُ الحُورُ ؟
إذا ابتسمنَ فدُرُّ الثّغرِ مُنتظمٌ وإنْ نطقْنَ فَدُرُّ اللّفظِ منثورُ
خلِّ الصِّبا عنكَ واختمْ بالنُّهى عملاً فإنّ خاتمةَ الأعمالِ تكفيرُ
« الخيرُ والشرّ مقرونانِ في قَرَنٍ فالخيرُ مُتّبعٌ والشرّ محذُورُ »

وقال في وصف الحرب :

(من البسيط)

كم ألحمَ السّيفُ في أبناءِ ملحمةٍ ما منهمُ فوقَ متنِ الأرضِ ديّارُ

وأوردَ النّار من أوراحِ مارقةٍ   كادت تميّز من غيظٍ لها النّارُ
كأنّما صال في ثِنيَيْ مُفاضته [1]   مستأسدٌ حنقُ الأحشاءِ هدّارُ
لما رأى الفتنةَ العمياءَ قد رَحُبت   منها على النّاسِ آفاقٌ وأقطارُ
وأطبقتْ ظُلَمٌ من فوقِها ظُلَمٌ   ما يُستضاءُ بها نورٌ ولا نارُ
قادَ الجيادَ إلى الأعداءِ ساريةً   قُبّاً[2] طواها كطيِّ العصْبِ إضمارُ[3]
مَلمومةً تتبارى في مُلملمةٍ   كأنّها لاعتدالِ الخلقِ أفهارُ[4]
تزورُّ عند احتماس الطّعْنِ أعينها[5]   وهنّ من فُرجاتِ النّقعِ نُظّارُ
تفوتُ بالثّأرِ أقواماً وتُدركهُ   من آخرين إذا لم يُدركِ الثّارُ[6]
فانسابَ ناصرُ دينِ الله يَقدُمهمْ   وحولهُ من جُنودِ الله أنصارُ
كتائب تتبارى حولَ رايته   وجحفلٌ كسوادِ اللّيلِ جرّارُ
قومٌ لهمْ في مكَرّ اللّيلِ غَمْغَمةٌ   تحتَ العَجاجِ وإقبالٌ وإدبارُ
يستقدِمونَ كراديساً مُكَرْدَسةً   كما تدفّعَ بالتّيارِ تيّارُ[7]
من كلِّ أروعَ لا يَرعى لهاجسةٍ   كأنه مُخدرٌ في الغيلِ هَصّارُ[8]
في قسطلٍ من عجاجِ الحربِ مُدّ له[9]   بين السماءِ وبينَ الأرضِ أستارُ

---

(١) المفاضة : الدرع الواسعة .
(٢) قب ج أقب : الضامر البطن .
(٣) العصب : الطي الشديد . في القاموس : ضمر الخيل وأضمرها : علفها القوت بعد السمن .
(٤) الململمة : الكتيبة . وأفهار ج فهر : الحجر ملء الكف .
(٥) احتمس الطعان : هاج واشتد .
(٦) قال في هامش العقد ١ : ١١٣ في شرح البيت « يريد أن تلك الخيل تفوت من طلبها بالثأر فلا يقدر عليها لسرعتها ، كما أنها تلحق من يريد أن يفوتها فتدرك ثأرها منه » .
(٧) الكراديس (ج كردوسة) جماعات عظيمة من الخيل .
(٨) الأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته . والمخدر : الأسد الملازم خدره « أجمته » .
(٩) القسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فكم بساحتهم من شِلْوٍ مُطَّرَحٍ كأنه فوق ظهر الأرض إجّارُ[1]
كأنّما رأسُهُ أفلاقُ حَنْظَلَةٍ وساعداه إلى الزّندين جُمّارُ[2]
وكم على النّهرِ أوصالاً مُقَسّمَةً تقسّمتها المَنايا فهيَ أشطارُ
قد فُلّقَتْ بصفيحِ الهِنْدِ هامُهمُ فهنَّ بينَ حَوامي الخيلِ أعشارُ[3]

وقال في غرض الشيب:

(من البسيط)

جارَ المشيبُ على رأسٍ فغيَّرَهُ لما رأى عندنا الحكّام قد جاروا
كأنّما جنُّ ليلٌ في مَفارِقِــهِ فاعتاقَهُ من بَياضِ الصُّبحِ إسْفارُ

وقال :

(من البسيط)

وقال في العود -- عود الغناء -- :

(من البسيط)

يا مجلساً أينعتْ منهُ أزاهِيرُهُ يُنسيكَ أوّله في الحُسنِ آخِرُهُ
لم يَدْرِ هل باتَ فيهِ ناعماً جَذِلاً أو باتَ في جَنّةِ الفردوسِ سامِرُهُ
والعُودُ يَخْفِقُ مَثْنـاهُ ومَثْلَثُهُ والصُّبْحُ قد غرّدتْ فيهِ عَصافِرُهُ
وللحجارةِ[4] أهْزاجٌ إذا نَطَقَتْ أجابَها من طيورِ البرِّ ناقِرُهُ

---

(١) الشلو : الجسد ، والإجار : السطح .
(٢) الجمار : شحم النخلة .
(٣) الحوامي : ميامن الحافر ومياسره . يريد تشبيه هامات القتلى بجزور الميسر ، أي إنها مقسمة بين حوافر الخيل (الشرح على هوامش العقد ١ : ١١٤) .
(٤) وردت الابيات : ٢،٤،٦،٧ في كتاب التشبيهات لابن الكتاني . قال محققه في معنى الحجارة : كذا واظنه يعني بها الصنوج ، الا ان تكون مصحفة من الجهارة وهي جهار ترك بالفارسية (آلة موسيقية) .

وحَنٍّ من بينها الكُثْبان عن نغمٍ تُبدي عن الصَّبِّ ما تخفي ضمائرُهُ
كأنّما العودُ فيما بيننا مَلِكٌ يمشي المُويلى وتتلوهُ عساكرُهُ
كأنّه إذْ تمطّى وهي تتبعُـــهُ كِسْرى بنُ هُرْمزَ تقفوهُ أساورُهُ[1]
صوتٌ رشيقٌ وضربٌ لو يراجِعهُ سجعُ الغريض إذا ضلّتْ أساطِرُهُ
لو كانَ زِرْيابُ حيّاً ثم أُسمِعَهُ لماتَ من حسدٍ إذْ لا يُناظِرُهُ !

وقال :

(من البسيط)

نورٌ تولّدَ من شمسٍ ومن قمرٍ في طَرْفِهِ قدَرٌ أمضى من القدَرِ
أصلى فؤادي بلا ذنبٍ جوًى حَرِقٍ لم يُبْقِ من مُهجتي شيئاً ولم يَذَرِ
لا والرّحيق المصفّى من مَراشفِهِ وما بخَدّيْهِ من وردٍ ومن طُرَرِ
ما أنصفَ الحبُّ قلبي في حكومتِهِ ولا عفا الشّوقُ عني عفْوَ مُقتدِرِ

وله :

(من البسيط)

مُستوحِشاً من جَميعِ الناس كلّهم كأنّما النّاسُ أقذاءٌ على بصَري !

شرح أبو الطاهر التجيبي قطعة لبشار فيها :

يا رئم قولي لمثل الرئم قد هجرت
يقظى فما بالها في النوم تغشاني
لهفي عليها ولهفي من تذكرها
يدنو تذكرها مني وتنآني !

وقال : وقوله « يدنو تذكرها مني وتنآني » معنى متبع منه قول « عدد من الشعراء ذكرهم » وقول أحمد بن محمد بن عبد ربه :

---

(١) الإسوار (بضم الهمزة وكسرها) الواحد من أساورة الفرس ، وهم الفرسان .

(من البسيط)

وَدَّعتَ فاركبْ جناحَ البينِ في سَفَرِهْ ... هذا الفِراق وهذا الموتُ في أثرِهْ
مَن يشتكي البينَ لا يشكو غوائلَهُ ... قلبٌ يراكَ إذا ما غبتَ عن بَصَرِهْ

وقال في « المشيب » :

(من الوافر)

نجومٌ في المَفارقِ ما تغورُ ... ولا يجري بها فَلَكٌ يدورُ
كأنَّ سَوادَ لِمّتِهِ ظَلامٌ ... أغارَ من المَشيبِ عليهِ نورُ
ألا إنَّ القَتيرَ وعيدُ صِدقٍ ... لنا لو كان يزجُرنا القَتيرُ[1]
نذيرُ المَوتِ أرسَلَهُ إلينا ... فكذَّبْنا بما جاءَ النّذيرُ
وقُلنا للنّفوسِ : لعلَّ عُمراً ... يطولُ بِنا وأطولُهُ قَصيرُ
متى كُذِبتْ مواعِدُها وخانتْ ... فأوّلُها وآخِرُها غُرورُ
لقد كادَ السّلوُّ يُميتُ شوقي ... ولكنْ قلّما فُطِمَ الكبيرُ !
كأنّي لم أرُقْ بلْ لم تَرُقْني ... شُموسٌ في الأكلّةِ أو بُدورُ
ولم ألْقَ المُنى في ظِلِّ لهوٍ ... بأقمارٍ سَحائِبُها السُّتُورُ

وقال في صفةِ المعترَك :

(من الوافر)

ومُعْتَرَكٍ تَهُزُّ بهِ المَنايا ... ذكورَ الهند في أيدي ذُكورِ[2]
لوامعُ يُبْصِرُ الأعمى سَناها ... ويَعمى دونَها طَرفُ البَصيرِ
وخافقةِ الذّوائبِ قد أنافتْ ... على حمراءَ ذاتِ شَبّاً طَريرِ

---

(١) القتير : أول الشيب ، أو الشيب مطلقاً .
(٢) في القاموس : الذكرة من الرجل والسيف : حدتهما .

تحومُ حولَها عُقبانُ موتٍ   تخطّفُ القلوبَ من الصدورِ
بيومٍ راح في سِربالِ ليلٍ   فما عُرِفَ الأصيلُ من البُكورِ
وعينُ الشمسِ ترنو في قتامٍ   رُنُوَّ البِكرِ من بينِ الستورِ !
فكم قصّرْتَ من عمرٍ طويلٍ   بهِ ، وأطلتَ من عُمرٍ قصيرِ

وقال ؛ وأنشدها له ابن الكتاني في باب « الشراب وأوصاف الخمر » :

(من الوافر)

ورادعةٍ بأنفاسِ العبيرِ   مُقنّعةِ المفارقِ بالقتيرِ[1]
جلتْها الكاسُ فاطّلعتْ علينا   طلوعَ البِكرِ في حُلَلِ الحريرِ
كأنّ كؤوسَها يحملنَ منها   شُموساً أُلبِسَتْ خِلَعَ البُدورِ
كأنّ مِزاجَها لمّا تجلّتْ   بصحنِ زُجاجِها نارٌ بنورِ
كأنّ أديمَها ذهبٌ عليهِ   أكاليلٌ مِنَ الدُرِّ النثيرِ

وقال في « ذِكْرِ الموت » :

(من الوافر)

أتلهو بينَ باطيةٍ وزيرٍ[2]   وأنتَ منَ الهلاكِ على شفيرِ ؟ .

---

(١) الرادعة : المعلمة بالطيب . و« القتير : الشيب » وهو هنا كناية عما يعلو الخمر من زبد » .
(٢) الباطية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون . والزير : الدن ؛ وهو أيضاً نوع من الأوتار . ويتوجه المعنى على الوجهين .

فيا مَنْ غرَّهُ أملٌ طويلٌ يؤدّيه إلى أجَلٍ قصيرِ
أتفرحُ والمنيةُ كلَّ يومٍ تُريكَ مكانَ قبرك في القبورِ!
هي الدُّنيا فإنْ سرَّتْكَ يوماً فإنَّ الحُزْنَ عاقبةُ الغرورِ
ستُسلبُ كلَّ ما جمّعتَ منها كعاريةٍ تُردُّ إلى المُعيرِ
وتعتاضُ اليقينَ من التظنّي ودارَ الحقِّ من دارِ الغُرورِ

وقال في معنى البُكاء وأنشدها له ابن الكتّاني :

(من الوافر)

إليكَ فررْتُ مِن لحظاتِ عينٍ خلَعْتَ بها القلوبَ من الصدورِ
تَسيلُ معَ الدُّموعِ جفونُ عيني كما سالَ الفؤادُ مع الزفيرِ

وقال :

(من الوافر)

سبيلُ الحُبِّ أوّلهُ اغتِرارُ وآخرُهُ هُمومٌ وادِّكارُ
وتلقى العاشقينَ لهمْ جُسومٌ بَراها الشّوقُ لو نُفِخوا لطارُوا!

وقال في الشيب :

(من الوافر)

بَدا وضَحُ المشيبِ على عِذاري وهلْ ليلٌ يكونُ بِلا نَهارِ

وألبَسني النُّهى ثوباً جَديداً وجرّدني من الثوبِ المُعارِ
شربتُ سوادَ ذا ببياضِ هذا فَبُدّلتُ العِمامَةَ بالخِمارِ
وما بِعتُ الهوى بَيْعاً بشَرْطٍ ولا استثنيتُ فيهِ بالخِيارِ !

وقال :

(من مجزوء الوافر)

غزالٌ زانَهُ الحَوَرُ وساعدَ طَرْفَهُ القَدَرُ
يُريكَ إذا بَدا وَجْهاً حكاهُ الشَّمْسُ والقمرُ
بَراهُ اللهُ مِنْ نُورٍ فَلا جِنٌّ ولا بَشَرُ
فَذاكَ الهَمُّ لا طَلَلٌ وقفتَ عليهِ تَعْتَبِرُ
«أهاجكَ منزلٌ أقْوَى وغَيَّرَ آيَهُ الغِيَرُ»

وقال :

(من الكامل)

يَوْمُ المُحِبِّ لِطُولِهِ شَهْرُ والشَّهْرُ يُحْسَبُ أنّهُ دَهْرُ
بأبي وأمّي غادَةٌ في خَدِّها سِحْرٌ وبَيْنَ جُفُونِها سِحْرُ
الشمسُ تحسبُ أنّها شمسُ الضُّحى والبدرُ يَحْسَبُ أنّها البَدْرُ

فَسَلِ الهَوى عنها يجيبُ وإن نأتْ	فسلِ القِفارَ يجيبُكَ القَفْر

«لِمَنِ الدّيارُ بِرامَتَيْنِ فَعاقِلِ	درستْ وغيّرَ آيَها القَطْرُ؟»[1]

وأنشد لنفسه في باب مَن مدح أميراً فخيّبه . قال «سألت بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكأ ، فقلت» :

(من الكامل)

حاشا لِمِثْلِكَ أن يفُكَّ أسيرا	أو أنْ يكونَ من الزّمانِ مُجيرا

لَبِسَتْ قَوافي الشّعرِ فيكَ مَدارِعاً	سُوداً وصكّتْ أوجُهاً وصُدورا[2]

هلا عطفْتَ برحمة لمّا دَعَتْ	وَيلاً عليكَ مدائحي وثُبورا

لو أنَّ لُؤْمَكَ عادَ جوداً عُشْرُه	ما كانَ عندكَ «حاتِمٌ» مذكورا!

قال ابن عبد ربّه : «دخلتُ على أبي العباس القائد فأنشدته (الله جرّد للندى والباس . . .)[3] . ثم سألتُه حاجةً فيها بعض الغلظ ، فتلكّأ عليَّ . فأخذت سحايةً[4] من بين يديه ، فوقعت فيها على البديهة :

(من الكامل)

ما ضَرَّ عندكَ حاجتي ما ضرّها	عذراً إذا أعطيتَ نفسكَ قدْرَها

---

(1) البيت في المهار : ٢٥ . ذكر البكري (معجم ما استعجم ٢ : ٦٢٨) الموضع الأول في مادة «رامة» وذكر أنها وردت مثناة في بعض الشعر . قال وهي موضع بالعقيق وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة . وقال في «عاقل» : ماء لبني أبان بن دارم ، من وراء القريتين .

(2) صكه : ضربه شديداً .

(3) أربعة أبيات مدحية ، انظرها في حرف السين .

(4) أي قرطاساً .

انظرْ إلى عَرضِ البلادِ وطولِها أوَلستَ أكرمَ أهلِها وأبرَّها
حاشى لجُودِكَ أن يُوَعِّر حاجتي ثِقتي بجودِكَ سهّلتْ لي وَعْرَها
لا يَجتَني حلوَ المَحامدِ ماجِدٌ حتّى يذوقَ من المطالبِ مُرَّها

فقضى الحاجةَ . وسارع إليها .

وقال في غرض صفة الأسد واسترسل إلى وصف غؤور عينيه * :

(من الكامل)

ولَرُبَّ خافقةِ الذّوائبِ قد غدتْ مَعْقودةً بِـلوائهِ المنصورِ
يَرمي بها الآفاق كلُّ شَرَنْبَثٍ [1] كفّاه غيرُ مُقَلّمِ الأظفُورِ
ليثٌ تطيرُ لهُ القُلوبُ مَخـافةً مِن بينِ هَمْهمةٍ لهُ وزئيرِ
وكأنّما يُومي إليـكَ بِطَرْفِـهِ عن جَمْرَتَيْنِ بِجَلْمَدٍ مَنْقُورِ !

وقال في غرض التّشبيه * :

(من الكامل)

حَوْراءُ داعَبَها الهوى في حُورِ حكمتْ لواحِظُها على المَقدورِ

(*) ساق ابن عبد ربه الأبيات في معرض وصف الأسد وأنه إنما يوصف بغؤور العينين ، كقول أبي زبيد « كأن عينيه نقباوان في حجر » . قال ، ومن قولنا في وصف الأسد ما هو أشبه به من هذا ، وذكر الأبيات .

(1) الشرنبث : الغليظ الكفين .

(*) قدم ابن عبد ربه القطعة بقوله بعد إيراد قطع مشابهة « ونظير هذا من قولنا في رقة التشبيب وحسن التشبيه البديع الذي لا نظير له ، والغريب الذي لم يسبق إليه » الأبيات .

ثانياً : النثر

الرسالة الهزلية

كتبها ابن زيدون على لسان ولادة إلى ابن عبدوس منافسه في الحب والسياسة (١) .

أمَّا بَعْدُ (٢) أيُّها المُصَابُ بِعَقْلِه ، المُوَرَّطُ بِجَهْلِه (٣) ، البَيِّنُ سَقَطُه (٤) ،

---

(١) ذكر ابن نباتة الباعث على إنشاء هذه الرسالة وهو أن ابن عبدوس أرسل إلى ولادة « امرأة من جهته تستميلها إليه ، وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته ، فبلغ ابن زيدون ذلك ، فكتب هذه الرسالة البديعة جواباً له عن لسانها ، تتضمن هذه الغرائب من سب أبى عامر والتهكم به والهجاء له ... وأرسلها إليه عقب رجوع المرأة ، فبلغت منه كل مبلغ ، واشتهر ذكرها فى الآفاق ، وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة إلى أن انتقل ابن زيدون إلى إشبيلية وتوفى بها ، تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه ، هذا معنى ماذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين » ؛ راجع قصيدته إلى ابن عبدوس ص ٥٨٢ — ٥٨٦ من الديوان ؛ وقد اعتمدنا فى تحقيق هذه الرسالة على سرح العيون ونهاية الأرب جـ ٧ ص ٢٧١ — ٢٩٠ ؛ والمجموعة الأدبية مخطوطة رقم ٧ أدب بدار الكتب .

(٢) هذه العبارة ترد كثيراً فى مستهل الخطب والرسائل ، وتقديرها « مهما يكن بعد » ؛ قال سحبان :

وقد علمت قيس بن عيلان أننى إذا قلت : « أما بعد » أنى خطيبها

(٣) الورطة : الهلاك ، وورّطه : أوقعه فى الورطة فتورّط فيها ، وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها ، وربما هلك الواقع فيها .

(٤) البيّن : الظاهر ، السقَط : الردىء ، ومنه سقط المتاع أى رديئه ، وسقط القول : خطؤه .

الفاحشُ غلطُه(١) ، العاثرُ في ذيلِ اغترارِه(٢) ، الأعمى عن شمسِ نهارِه ، الساقطُ سقوطَ الذبابِ على الشرابِ ، المتهافتُ تهافُتَ الفَراشِ إلى الشهاب(٣) ، فإنّ العُجْبَ أكذبُ(٤) ، ومعرفةَ المرءِ نفسَه أصوبُ . وإنك راسلتني مستهدياً – من صِلَتي – ما صَفِرَت منه أيدي أمثالك(٥) ، متصدّياً – من خُلّتي – لما قُرِعت دونه أنوفُ أشكالك(٦) ، مُرسِلاً خليلتك مرتادةً ، مستعمِلاً عشيقتك قوّادةً(٧) ، كاذباً نفسك أنك ستنزل

---

(١) الفاحش : ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال ، ومنه الفاحشة : الفعلة القبيحة .

(٢) العثور : السقوط ، الاغترار : الغفلة ؛ ذيل الاغترار : استعارة لطيفة كأنه كان يسحب ذيله تيهاً وعجباً فتعثر به فسقط .

(٣) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفى سرح العيون والمجموعة الأدبية « فى الشهاب » ؛ التهافت : الترامى مع خفة وطيش ؛ الشهاب : الشعلة من النار .

(٤) فإن العجب أكذب : الفاء واقعة فى جواب « أما بعد » فى أول الرسالة ؛ العجب : الكبر .

(٥) صلتى : مودتى أو قربى ؛ صفِرَت : خلت .

(٦) تصدّى له : تعرض له ؛ الخُلّة : المودة أو الصداقة ؛ قُرِعت : ضُربت ؛ وفى الأمثال « هو الفحل لا يُقدَع أو لا يُقرَع أنفُه » لأن العرب كانت تضرب أنف البعير لتصرفه عن لقاح الناقة إذا كان غير كريم ، ثم استعمل المثل فى الكريم الذى لا تُرَدّ خِطبته ، ولما بلغ أبا سفيان زواجُ النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة قال : « ذلك الفحلُ لا يُقدَعُ أنفُه » . وفى نهاية الأرب « قرعت فيه » ولعل الأصح « قُدِعت دونه أنوف أمثالك » لمشاكلة كلام أبى سفيان .

(٧) فى بعض نسخ سرح العيون « مرسلا حليلتك » ، الحليلة : الزوجة ؛ ==

عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ ـ بَعْدَهَا ـ عَلَيَّ[1] :

وَلَسْتَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ[2]

* * *

وَلاَ شَكَّ أَنَّهَا قَلَتْكَ إِذْ لَمْ تَضِنَّ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَغَرْ عَلَيْكَ[3] ، فَإِنَّهَا أَعْذَرَتْ فِي السِّفَارَةِ لَكَ[4] ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَاعِمَةً أَنَّ الْمُرُوءَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ[5] ، وَالإِنْسَانِيَّةَ اسْمٌ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولاَهُ[6] ،

= الخليلة : الصاحبة ؛ المرتاد : طالب الكلأ ، ويُسمَّى به الطالب مطلقا ؛ القوادة : التى تجمع بين الرجل والمرأة فى الحرام ، كأنها تقود كُلاً منهما للآخر .

(١) المعنى : إنك ستنصرف عن هذه الخليلة إلىّ وتمتاض عنها بى .

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر هجومه على الخارجىّ أولها :

إلامَ طماعية العاذل ؟ ولا رأىَ فى الحب للعاقل

ورواية البيت نقلا عن الديوان « وليس بأول ذى همة ... » ومعناه : ليس الخارجىّ بأول صاحب عزيمة دفعته إلى مالا يناله .

(٣) قلتك : أبغضتك ، تضنّ : تبخل : ملّتك : سئمتك ، وفى المجموعة الأدبية « وسلتك إذ لم تمز عليك » .

(٤) أعذر : بلغ من الاجتهاد ماصار به معذورا ؛ السفارة : السَّعىُ فى الصلح .

(٥) المروءة : الإنسانية ، والمراد كمال الصفات الإنسانية ؛ والمعنى : زعمتْ فى حديثها أن المروءة تجسمتْ فيك .

(٦) الهيولى : الصورة المنوية التى يُصَبُّ الجسمُ على مثالها ؛ وقد نادى إفلاطون بنظرية المُثُل Ideality وخلاصتها أن الأجسام المادية تقليد للعالم المثالى المنوى الأزلى ؛ والمعنى : إن الإنسانية تجسمت فيك بمعناها ومبناها .

قَاطِعَةً أَنَّكَ انْفَرَدْتَ بِالْجَمَالِ ، وَاسْتَأْثَرْتَ بِالْكَمَالِ ، وَاسْتَعْلَيْتَ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَاسْتَوْلَيْتَ عَلَى مَحَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خُيِّلْتَ أَنَّ يُوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ حَاسَنَكَ فَغَضَضْتَ مِنْهُ[1] ، وَأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ رَأَتْكَ فَسَلَتْ عَنْهُ[2] وَأَنَّ قَارُونَ أَصَابَ بَعْضَ مَا كَنَزْتَ[3] وَالنَّطِفَ عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَزْتَ[4] ، وَكِسْرَى حَمَلَ غَاشِيَتَكَ[5] ، وَقَيْصَرَ رَعَى مَاشِيَتَكَ[6] ،

---

(١) حاسنك : باراك فى الحسن ، غضضت منه : خفضت ، ونقصت من قدره ؛ ويوسف عليه السلام ضُرِبَ به المثلُ فى الجمال ، وقد قالت فيه علية نساء مصر قديما « ما هذا بشراً إنْ هذا إلا مَلَكٌ كريم » .

(٢) قصة امرأة العزيز وتدلهها فى حُب يوسف عليه السلام — حتى نسيت منزلتها ومكانة زوجها — مشهورة « راجع سورة يوسف فى القرآن الكريم » .

(٣) قارون : من قوم موسى عليه السلام ، وكان يضرب به المثل فى الثروة الطائلة والغنى الفاحش ، فلما اغترَّ بما ملك خسف الله به وبداره الأرض «راجع قصته فى سورة القصص الآيات ٧٦ — ٨٣ » .

(٤) كان النَطِفُ بنُ جبير مقيما بالبادية مع بنى تميم ، فأغار مع آخرين على قافلة أرسلها عامل اليمن إلى كسرى حافلة بالثياب اليمنيـة والذهب والمسك والجوهر ، وقتلوا مَنْ بها ؛ واستولى النطف على كثير منها من جملته خرجان مملوءان ذهباً محلى بالجواهر النفيسة ؛ الفضل : بقية الشىء ، الركز والركاز : دفين مال الجاهلية ؛ وفى المجموعة الأدبية « عثر على ما كنزت » .

(٥) فى المجموعة الأدبية « حامل غاشيتك » ؛ كسرى : لقب لكل ملك من ملوك الفرس ؛ وإذا أطلِقَ قصِدَ به كسرى أنوشروان ، وقد حكم فارس فى أواخر القرن السادس ، الغاشية : غطاء السرج أو المظلة .

(٦) فى المجموعة الأدبية « راعى ماشيتك » قيصر : لقب لكل ملك من ملوك الروم ؛ وإذا أطلق قصد به أغسطس .

وَالإِسْكَنْدَرَ قَتَلَ دَارًا فِي طَاعَتِكَ[1] ، وَأَرْدَشِيرَ جَاهَدَ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ لِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ[2] ، وَالضَّحَّاكَ اسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ[3] ، وَجَذِيمَةَ الأَبْرَشَ تَمَنَّى مُنَادَمَتَكَ[4] ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فِيكَ[5] ، وَبِلْقِيسَ

(١) حارب الاسكندرُ المقدونى الأكبرُ ملكُ الإغريق دارا ملكَ الفرس وقتله واحتل مملكته وضمها إليه .

(٢) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفى سرح العيون « بخروجهم عن طاعتك » ؛ أردشير بن بابك : حارب أمراء بلاد فارس بعد مقتل دارا وارتداد الإغريق عنهم حتى ضمّهم إلى طاعته ، ووحّد مملكة فارس تحت عرشه وأسّس لها دولة ودولة من جديد .

(٣) اختلف الرواة فى نسب الضحاك ؛ فزعم بعضهم أنه من الفراعنة وقال بعضهم من الفرس وقال آخرون من العرب ؛ ولكنهم جميعاً يروون أنه قتل جمشيد الطاغية واستلب ملكه وطغى وتجبر ويزعمون أنه أول من غُنّي له ، وضرب الدراهم والدنانير ولبس التاج ووضع المنشور ... الخ .

(٤) جذيمة بن مالك بن فهم بن عامر التنوخى ملك الحيرة : يقال إنه أول من قاد العرب وملك قضاعة وكان أبرص فعُدل عن هذا الإسم فقيل الأبرش أو الوضاح ؛ قيل إنه كان ينادم الفرقدين أنفة منه وكبرا أن ينادم بشرا ، وقيل كان له نديمان قتلهما فى سكره ، ثم ندم عليهما وبنى عليهما الغريين ونادم بعدهما الفرقدين ، قال متمم بن نويره فى رثاء أخيه :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا

(٥) شيرين : زوجة أبرويز بن هرمز ملك الفرس ، كانت يتيمة فى حجر رجل من الشعب فأحبها أبرويز فتزوجها ورفعها إلى العرش فوفت له حتى قيل إنها سمّت نفسها بعد وفاته ؛ بوران بنت أبرويز : وليت الملك بعد أبيها وكانت من أجمل النساء .

غارت الزّبّاء عليك (1) وإنّ مالك بن نويرة إنما ردف لك (2)، وعروة بن جعفر إنما رحل إليك (3)، وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك (4)، وجسّاسا إنما قتله بأنفتك (5)، ومهلهلا إنما طلب ثأره

(1) بلقيس بنت الحارث ملكة سبأ: كانت مشركة هي وقومها، فدلّ الهدهدُ عليها سليمان عليه السلام، فتوعدها وقومَها بالحرب إن لم تؤمن برسالته، فوفدتْ عليه وآمنت به وتزوجته « راجع قصتها في سورة النمل الآيات ٢٠ – ٤٤ »؛ الزباء: بارعة أو ميسونة بنت عمرو بن الظرب ملكت الجزيرة بعد أبيها وأخذت بثأره من جذيمة الأبرش ملك الحيرة؛ في المجموعة الأدبية « وبلقيس غارت وشيرين نافست ... ».

(2) آثرنا رواية المجموعة الأدبية وفي سرح العيون ونهاية الأرب « أردف لك »؛ مالك بن نويرة بن شداد: من فرسان العرب وشجعانهم وذوي الردافة في الجاهلية، وأرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة، كالوزراء في الإسـلام.

(3) عروة بن عتبة بن جعفر: من بني عامر بن صعصعة يعرف بعروة الرحّال لرحلته إلى الملوك، وكان من ذوي العقل والشهامة، وهو من أرداف الملوك، وكان قد تعهد للنعمان بن المنذر بحماية قافلته من أهل نجد وتهامه فاغتاله البراض وقامت بسببه حرب الفجار.

(4) كليب بن ربيعة: زعيم قبيلتي بكر وتغلب، يقال فيه « أعز من حمى كليب »، وكان يحمي مواقع السحاب فلا يرعاها أحد غيره، وإذا مر بمرعى قذف فيه جروا يعوى فلا يرعاه أحد.

(5) جساس بن مرة بن ذهل: صهر كليب قتل كليبا لأنه قتل ناقة لخالة جساس البسوس بين إبله.

بِهِمَّتِكَ(١) ، وَالسَّمَوْءَلَ إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ(٢) ، وَالأَحْنَفَ إِنَّمَا احْتَبَى فِي بُرْدِكَ(٣) ، وَحَاتِمًا إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ ، وَلَقِيَ الأَضْيَافَ بِبِشْرِكَ(٤) .

(١) مهلهل : هو عدى بن ربيعة التغلبي أخو كليب ، ظل يطالب ثأر أخيه كليب سنوات عديدة، وأثار حروبا طاحنة بين قبيلتي بكر وتغلب فى طلب الثأر ؛ وسمى مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الشعر أى أرقه ؛

(٢) السموءل بن عادياء من يهود يثرب : يضرب به المثل فى الوفاء ، وسبب ذلك أن امرأ القيس لما خرج فى طلب ثأر أبيه حُجْر وذهب إلى ملك الروم ليستعين به ، أودع عند السموءل مائة درع وسلاحا أمانة عنده حتى يرجع ، لحفظها بحصنه الأبلق فى تيماء ، فجاء الحارث بن ظالم ، وطالب السموءل بها وهدده ، فأبى أن يسلمها إليه ، وتحصن بحصنه ، فأخذ الحارث ابنا للسموءل وساومه على تسليم ابنه له مقابل السلاح ، فأبى السموءل أن يغدر بعهده ، فقتل الحارث ابنه أمامه وطرحه وانصرف ، فقال السموءل من أبيات :

وفيتُ بأدرع الكندىّ ، إنى ... إذا ما خان أقوامٌ وفيت

(٣) فى شرح العيون « فى بردتك » ؛ وفى المجموعة الأدبية « احتبى فى بردك » ؛ الأحنف : هو صخر بن قيس ابن معاوية السعدى يضرب به المثل فى الحلم والسيادة ، وله حكم مشهورة منها : « أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك ؛ أنفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك ؛ لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ؛ وقال له رجل لأشتمنك شتما يدخل معك فى قبرك ، فقال فى قبرك والله يدخل لا قبرى » ؛ وتوفى بالكوفة سنة ٦٩ هـ ؛ احتبى فى بردته : اشتمل فى كسائك .

(٤) حاتم بن عبد الله الطائى : ممن ضرب به المثل فى السماحة والسخاء ، فـ أجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة : حاتم الطائى ، وهرم بن سنان ؛ وكعب بن مامة وحاتم أشهرهم ؛ وكان كما قالت ابنته للنبى ﷺ : إن أبى كان يفك العانى ويطعم الجائع ويكسو العارى ، ومن شعره :

أماوىّ إن المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

أماوىّ ما يغنى الثراءُ عن الفتى ... إذا حشرجتْ يوما وضاق بها الصدرُ

وَزَيْدَ بْنَ مُهَلْهِلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخِذَيْكَ(١) ، وَالسُّلَيْكَ بْنَ السُّلَكَةِ إِنَّمَا عَدَا عَلَى رِجْلَيْكَ(٢) ، وَعَامِرَ بْنَ مَالِكٍ إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بِيَدَيْكَ(٣) ، وَقَيْسَ ابْنَ زُهَيْرٍ إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ(٤) ، وَإِيَاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ

---

(١) فى المجموعة الأدبية « وزيد الخيل » ؛ زيد بن مهلهل الطائى من فرسان العرب وشعرائها المعدودين ، أدرك الإسلام وأسلم وكان يسمى زيد الخيل لكثرة خيله ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، يقال : إنه كان طويل القامة عظيم الخلق ، يركب الفرس ورجلاه تخطان فى الأرض ؛ وقال له النبي (ص) : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الأناة والحلم » .

(٢) السليك بن السلكة أحد فتاك العرب وصعاليكهم فى الجاهلية ، وكانت الخيل لا تلحقه فى العدو .

(٣) عامر بن مالك من بنى صعصعة يسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

يلاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتائب أجمع

وقيل لقول حسان بن نمير — وقد رآه بين فرسان أطافوا به وقاتلهم — : « ما هذا إلا ملاعب الأسنة » .

(٤) قيس بن زهير بن جذيمة العبسى شيخ بنى عبس ، ثارت الحروب بينه وبين حذيفة بن بدر شيخ بنى ذبيان بسبب تراهنهما على فرسيهما داحس والغبراء فى قصة مشهورة ؛ وكان قيس معروفاً بالدهاء وبعد النظر ؛ ولما استطار الشر بسبب هذه الحروب نصح قومه بصالح بنى عمهم ، ومن كلامه يصف نفسه : « إنى امرؤ غيور فخور أنف ؛ ولست أنظر حتى أبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف حتى أظلم » ومن شعره :

إذا أنت أقررت الظلامة لامرىء رماك بأخرى شعبها متفاقم

فلا تبد للأعداء إلا خشونة فما لك منهم إن تمكن راحم

(م — ١١ ديوان ابن زيدون ورسائله)

ذَكَائِكَ (١) ، وَسَحْبَانَ إِنَّمَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِكَ (٢) ، وَعَمْرَو بْنَ الأَهْتَمِ إِنَّمَا سَحَرَ بِبَيَانِكَ (٣) ، وَأَنَّ الصُّلْحَ - بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ - تَمَّ

(١) إياس بن معاوية بن قرة المزنى قاضى البصرة زمن عمر بن عبدالعزيز كان مشهوراً بحدة الذكاء وسداد الإجابة ، وله نوادر فى القضاء وفى سرعة البديهة مشهورة ، وله أخبار كثيرة مجموعة فى كتاب يسمى « زكن إياس » ؛ قيل له يوماً : إن فيك عيوباً : دمامة الشكل ، وإعجابك بما تقول ، وعجلة بالحكم ؛ فقال : أما الدمامة فليس أمرها إلىّ ، وأما الإعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما أقول ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنا أحق بالإعجاب بقولى ، وأما العجلة بالحكم فكم هذه ؟ —ومدّ أصابع يده— فقالوا : خمس ، فقال : أعجلتم بالجواب ، فقالوا : كيف نعدّ ما نعلم ؟ فقال : وأنا كيف أؤخر حكم ما أعلمه ؟ توفى سنة ١٢١ هـ

(٢) سحبان بن زفر بن إياس الوائلى خطيب مصقع يضرب به المثل فى البيان واللسن ؛ قال الأصمعى : كان إذا خطب يسيل عرقا ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ ؛ استدعاه معاوية يوما على غير أهبة وكلّفه الخطابة فى وفد خراسان ، فتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ، ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقى عليه منه شىء ؛ فما زالت تلك حاله حتى أشار إليه معاوية بيده ؛ فأشار إليه سحبان : ألاّ تقطع علىّ كلامى ، فقال معاوية : الصلاة !! قال : هى أمامك ونحن فى صلاة وتحميد ووعد ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب !! فقال سحبان : والعجم والجن والإنس !! توفى سنة ٥٤ هـ

(٣) عمرو بن سنان الأهتم التميمى وفد على النبى ﷺ هو والزبرقان بن بدر فأسلما ، فسأل النبى عمرو بن سنان عن الزبرقان بحضوره ، فقال : مطاع فى ناديه ، شديد العارضة فى قومه ، مانع لما وراء ظهره ؛ فقال الزبرقان : يا رسول الله إنه ليعلم منى أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى ، فقال عمرو : أما والله إنى علمت ما قد علمتُ ، فإنه زَمِنُ المروءة أحمق الأب لئيم الخال ضيق العطن ؛ فرأى تغيّر=

بِـ سَالَيْكَ[1] ، وَالْحَمَالاَتِ - بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ - أُسْنِدَتْ إِلَى كَفَالَتِكَ[2] ،
وَأَنَّ احْتِيَالَ هَرِمٍ - لِعَلْقَمَةَ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَلِكَ عَنْ إِشَارَتِكَ[3] ،

= وجه النبي ﷺ لما اختلف قوله ، فقال : يارسول الله لاتغضب !! لما رضيت قلت أحسن ما علمت ؛ ولما غضبت قلت أقبح ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ؛ فقال ﷺ : « إن من البيان لسحرا » توفي عمرو سنة ٥٧ هـ

(١) في المجموعة الأدبية « انما تم » ؛ لما قتل جساس بن مرة كليباً ثارت الحرب بين قبيلتيهما بكر وتغلب وهما أبناء عمومة وأصهار ، واستمرت الحرب أمداً طويلا حتى برحت بالقبيلتين ، إلى أن تدخل بينهما الحارث بن عمرو بن معاوية ملك كندة جد امرىء القيس ، وضم القبيلتين إلى حكمه فأصلح شأنهم وكان الحارث ملكا جليلا رفيع الهمة ويلقب بآكل المرار .

(٢) الحمالات : جمع حمالة وهي الدية ؛ لما ثارت الحرب بين عبس وذبيان وأهلكت الكثيرين تدخل الحارث بن عوف وهرم بن سنان بينهما واجتهدا في إصلاح ذات البين وحمل الديات ، وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى :

تداركتما عبساً وذبيان ، بعدما تفانوا ، ودقوا بينهم عطر منشم

وكانت اليد الطولى للحارث بن عوف ؛ وعاش الحارث إلى أن أدرك النبي ﷺ فأسلم ، ومن شعره :

كم من يد - لا أؤدي حق نعمتها - عندي لمختبط طارٍ ، ومن منن
إذ جاء يسعى إلى رحلي لأسعفه أليس قد ظن بي خيرا ، ولم يرني ؟

(٣) تفاخر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة في الجاهلية ، واستطار بينهما اللجاج فتنافرا - أي احتكما - إلى هرم بن قطبة بن سيار - لا ابن سنان كما ذكر ابن نباتة - على مائة من الإبل ، وأرجأهما عاما ، ثم وفدا عليه =

وَجَوَابُهُ لِعُمَرَ ـ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيِّهِمَا كَانَ يُنَفِّرُ ؟ ـ وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ(١) ،
وَأَنَّ الحَجَّاجَ تَقَلَّدَ وِلَايَةَ العِرَاقِ بِجِدِّكَ(٢) ، وَقُتَيْبَةَ فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ

= ومع كل منهما أشراف قومه، فأقاموا عنده أياما، فأرسل سراً إلى عامر، فقال له : ياعامر ما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ؛ أتفاخر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال عامر : ناشدتك الله والرحم ألاّ تفضل عليّ علقمة ، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسوّ بيننا ، قال سأرى ؛ ثم استدعى علقمة ، وقال له مثل ما قال لعامر ؛ فناشده أن يسوى بينهما إذا لم يكن بد ، فلما مثلا بين يديه هما وقومهما قال لهما : ياابنى جعفر قد تحاكمتما عندى ، وإنكما كركبتى البعير تقعان معاً على الأرض ، وكلاكما سيد كريم . وبهذا حجز الشر بين قوميهما ؛ وانصرفوا راضين ؛

فى المجموعة الأدبية « كان من أشارتك » ؛ وفى نهاية الأرب: « لعامر وعلقمة حتى رضيا كان عن رأيك »

(١) فى نهاية الأرب « وتم بمد مشورتك » وفى المجموعة الأدبية « عن أيهما ينفر كان عن رأيك » ؛لما وفد هرم بن قطبة على عمر رضى الله عنه سأله عن منافرة عامر وعلقمة ، وقال يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر ؟ — أى تغلب — ومن كان عندك الأفضل منهما ؟ فقال هرم : لو قلتُ الآن فيهما كلمة لعادتْ — الحرب بين الحيين — جذعة ؛ فأعجب عمر بهذه الإجابة وقال : بحقٍّ حكّمتك العرب .

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفى من قادة العرب وخطبائها المعدودين ؛ ولى العراق لعبد الملك بن مروان فأخمد الفتن وشتّت شمل الخوارج ، ثم قضى على ثورة ابن الزبير بالحجاز ؛ وكان جباراً قاسياً لايرحم، سفاكا للدماء ، وفصيحا مفوّهاً ؛ قال مالك بن دينار : « والله لربما رأيتُ الحجاج يتكلم على المنبر ، ويذكر حسن صنعه إلى العراق وسوء صنعهم له ، حتى يخيل إلى أنه مظلوم » الجَـدّ : الحظ ، والجِدُّ : الاجتهاد ، وكلاهما صالح للمعنى هنا .

بِمَنْدِكَ[1] ، وَالمُهَلَّبَ أَوْهَنَ شَوْكَةَ الأَزَارِقَةِ بِأَيْدِكَ ، وَفَرَّقَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ بِكَيْدِكَ[2] ، وَأَنَّ هِرْمِسَ أَعْطَى بِلِينُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ[3] ، وَأَفلاطُونَ

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي كان والياً على خراسان من قبل عبد الملك بن مروان؛ وهو الذي فتح بلاد ما وراء النهر « أي ما هو شرقي نهر جيحون بخراسان » وهو قائد شجاع أبلى في حروبه أحسن البلاء ، وكان دمث الأخلاق لبيبا ؛ وأقام بالشرق والياً عليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب ، وتوفى سنة ٩٦ هـ

(٢) في سرح العيون « أوهى ... بيدك » ؛ الأيد: القوة ؛ المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير كبير طائر الذكر شجاع ؛ أمره مصعب بن الزبير على البصرة ، ثم ولاه عبدُالله بن الزبير خراسان ، ثم أقره عبد الملك بن مروان ليتمم ما بدأه من حرب الأزارقة فشتت شملهم ؛ ومن كلامه : « عجبت لمن يشتري العبيد بماله ، ولا يشتري الأحرار بأفضاله » وكان يقال فيه: « ساد الأحنف بحلمه ، ومالك بن مسمع بحبه لعشيرته ، وقتيبة بدهائه ، وساد المهلب بهذه الخلال جميعها » وتوفي سنة ٨٣هـ.
والأزارقة طائفة من الخوارج تنسب إلى نافع بن عبدالله بن الأزرق ، ثاروا بالبصرة والأهواز وغيرها من بلاد فارس ، وعظمت شوكتهم وكثرت فتكاتهم بالمسلمين حتى خضد شوكتهمُ المُهَلَّبُ بمكايده حينا ، وحروبه أحيانا ؛ وهم ينادون بكفر عليٍّ عليه السلام بسبب قبوله التحكيم ، ويكفرون من يقعدون عن القتال في صفهم ، ويرون أن مرتكب الكبيرة خارج عن الإسلام مخلد في النار ، ويكفرون كل من لا يدين بآرائهم من المسلمين .

(٣) في المجموعة الأدبية « أعطى جالينوس » ؛ تروى الأساطير العربية أن هرمس — عند قوم من الصابئة — نبيٌّ مرسل وأنه إدريس عليه السلام ، ويزعمون أنه باني الأهرام ويسندون إليه شرائعهم ، ويزعمون أن بلينوس ورثه في النبوة وكان قد أخذ عنه العلوم والأسرار .

أَوْرَدَ عَلَى أرِسْطَطَالِيسَ مَا نَقَلَ عَنْكَ[1] ، وَبَطْلَيْمُوسَ سَوَّى الأَصْطُرْلاَبَ بِتَدْبِيرِكَ ، وَصَوَّرَ الْكُرَةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ[2] وَأَبُقْرَاطَ عَلِمَ الْعِلَلَ وَالأَمْرَاضَ بِلُطْفِ حِسِّكَ[3] ، وَجَالِينُوسَ عَرَفَ طَبَائِعَ الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ[4] وَكِلاَهُمَا قَلَّدَكَ فِي الْعِلاَجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمِزَاجِ[5] ، وَاسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ

---

(١) فى نهاية الأرب « ما حدث عنك » ؛ افلاطون من أشهر فلاسفة الأغريق القدماء وهو صاحب نظرية المثل Identity وخلاصتها أن الأجسام المادية تالية فى الحقيقة لعالم مثالى معنوى مُثبَّتٌ على صورته . وهو تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو أشهر فلاسفة الإغريق وأعظمهم ، وقد تدارس فلاسفة العرب فلسفة أرسطو وافتتنوا بها وشرحوها وسموه المعلم الأول .

(٢) فى المجموعة الأدبية « ووضع الكرة » ؛ بطليموس صاحب كتاب المجسطى الكبير من أشهر علماء الفلك والجغرافيا عند الإغريق ، ونفى القفطى فى كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء أنه من أسرة البطالسة التى حكمت مصر كما وهم كثيرون ؛ الأصطرلاب : آلة لرصد النجوم ؛ والكرة هنا الكرة الأرضية .

(٣) ذكر القفطى أن أبقراط كان فى زمن أردشير ملك الفرس ، وهو الذى بث صناعة الطب فى الناس يتوارثونها بالتلقين ولا يكتبون منها شيئا

(٤) جالينوس من أشهر أطباء الإغريق ويسمى خاتم الأطباء والمعلمين ؛ وظلت آراؤه سائدة عند الإغريق ثم العرب قرونا متتالية ويقولون : « إنه عرف خواص الحشائش ، وقاس أمزجة الأبدان ، ودرس طبائعها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة فى الطب ؛ وفى نهاية الأرب « بدقة نظرك » .

(٥) المزاج : واحد الأمزجة وهى الطبائع ، ويقسمها القدماء إلى تسعة أقسام : واحدة معتدلة وثمانية غير معتدلة ؛ منها أربعة مفردة هى : الحار والبارد والرطب واليابس ، وأربعة أخلاط هى : الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم ... الخ ما قالوه .

الأعضاء ، واستشارك في الدَّاء والدَّواء ، وأنك نهجت لأبي معشر طريق القضاء[1] ، وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء[2] ، وأعطيت النظام أصلاً أدرك به الكمان[3] ، وجعلت للكندي رسماً استخرج به

---

(١) في المجموعة الأدبية « نهجت لأبي معشر » ؛ أبو معشر جعفر بن محمد ابن عمر البلخي المنجم المشهور ، كان من أصحاب الحديث ، ثم درس الحساب والهندسة ، ثم أحكام النجوم فمهر فيها حتى اعتبروه عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم ؛ وله فيها مصنفات عديدة ، وكان من أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر الأعجام ؛ ولكنه كان مدمنا على الشراب ، وكان بسببه الصرع شهريا ؛ توفي سنة ٢٧٢ هـ ؛ نهج الطريق : أبانه وأوضحه ؛ القضاء : المراد به هنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب ؛ وهو يشير بهذا الى قول أبي تمام — ساخراً من المنجمين حديثهم عن تأثير النجوم — :

يقضون بالأمر عنها ، وهي غافلة ما دار في فلك منها وفي قطب

(٢) ذكر ابن نباتة في شرحه لهذه الرسالة أنه لم يقف له على ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، ولو راجع الفهرست لابن النديم وطبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي لوجد له فيهما ترجمة موجزة ، وهما كتابان يعتمد عليهما ؛ وهو أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي من أشهر مؤلفي العلوم عند العرب ، وقد بلغت تصانيفه زهاء خمسمائة كتاب ، بقي منها : كتاب أسرار الكيمياء ، وأصول الكيمياء ، وعلم الهيئة ، ومجموعة رسائل في نحـــو ألف بقعة ، وكلها مطبوعة ؛ وكان من أصحاب جعفر الصادق ثم اتصل بالبرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيي البرمكي ، وتوفي سنة ١٦١ هـ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري النظام من شيوخ المعتزلة وأئمتهم ؛ كان آية في الذكاء وقوة الجدل ، ومن آرائه : أن الله خلق العالم دفعة واحدة ، لكنه أكمن بعضه في بعض ؛ وأن في قدرة البشر أن يأتوا بمثل القرآن إلا أن=

الدَّقَائِقَ (١) ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفَ الأَوْتَارِ (وَالأَنْقَارِ) تَوَالِيدُكَ وَابْتِدَاعُكَ (٢) ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنَ يَحْيَى بَارِى أَقْلاَمِكَ (٣) ، وَسَهْلَ بْنَ هَارُونَ مُدَوِّنُ كَلاَمِكَ (٤) وَعَمْرَو بْنَ بَحْرٍ

= الله تعالى صرف أذهانهم عن معارضته ، وأن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور . توفى سنة ٢٣٠ هـ وقيل سنة ٢٣٦ هـ

(١) يعقوب بن إسحق الكندى من أبنـاء الولاة والحكام ، وجدّه الأشعث بن قيس من الصحابة ؛ سماه القدماء فيلسوف العرب ، وله مصنفات عديدة فى العلوم الفلسفية تناهز الخمسين ، توفى سنة ٢٥٥ هـ على الأرجح .

(٢) لم ترد كلمة (الأنقار) فى نهاية الأرب ؛ وفى المجموعة الأدبية « الأوتار والأنغام » ؛ وينسب العرب إلى بطليموس أنه أول من أفرد لها كتابا سماه كتاب اللحون الثمانية ، الأنقار : آلات الطرب .

(٣) عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بالمشرق من أشهر الكتاب المجيدين ، ضُربَ به المثلُ فى البلاغة ، وقيل فيه: بُدِئَت الكتابة بعبد الحميد ؛ ويروى أنه كتب خطاباً إلى أبى مسلم الخراسانى ليصرفه عن الدعوة العباسية ، فخشى أبو مسلم تأثير الخطاب فيه فلم يقرأه وأحرقه ، وكتب على قصاصة باقية منه :

محا السيفُ أسطارَ البلاغة ، وانتحى عليكَ ليوثُ الغاب من كل جانب

وقد ابتدع للكتاب مناهج تبعوها من بعده ، وكان إبراهيم بن جبلة يكتب خطاً رديئاً فقال له عبد الحميد : أطِلْ جلفة قلمك وأسمنها وحرف قطتك يصلُحْ خطُّك . ولعل هذا ما أشار إليه ابن زيدون ؛ وظل وفياً لمروان حتى قتله العباسيون سنة ١٣٢ هـ

(٤) سهل بن هرون اشتهر بالبلاغة والحكمة ، قدمه الفضل بن سهل للمأمون فأعجب ببلاغته وجعله كاتباً على خزانة الحكمة ، وكان شعوبياً يتعصب على =

مُسْتَمْلِيكَ(١) ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ مُسْتَفْتِيكَ(٢) ، وَأَنَّكَ الَّذِي أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ(٣) ، وَحَدَّ الْمَاهِيَّةَ ، وَبَيَّنَ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ(٤) ، وَنَاظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ(٥) ، وَمَيَّزَ الصِّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ ، وَفَكَّ الْمُعَمَّى(٦)

= العرب ، وألف كتباً عارض بها كتب الأوائل حتى قيل فيه « بزرجمهر الإسلام » وقد نقل عنه الجاحظ كثيراً من آثاره ؛ توفى سنة ٢١٥ هـ .

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ شيخ كتاب العربية وإمام الفصحاء والمتكلمين ألف فى شتى الفنون من أدب ودين وحيوان ونبات وفلسفة .. وضرب به المثل فقيل : « مما فضّل اللهُ به أمة محمد عليه السلام على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب فى سياسته ، والحسن البصرى فى علمه ، والجاحظ فى بيانه » ومن أعظم كتبه الباقية الخالدة : البيان والتبيين ، والبخلاء ، والحيوان . توفى سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة وإمام دار الهجرة وصاحب كتاب الموطأ ، ضرب به المثل فى العلم والورع فقيل « لا يفتى ومالك بالمدينة » ومن كلامه : إذا ترك العالم قول « لا أدرى » أصيبت مقاتله ؛ ليس العلم بكثرة الرواية ، وإنما هو نور يقذفه الله فى القلب ؛ توفى سنة ١٨٩ هـ

(٣) البراهين : الأدلة ؛ القوانين : الصور الكلية التى تتعرف بها أحكام جزئياتها .

(٤) الماهية : الصورة الذهنية للشىء فى الفكر ؛ الكيفية : التركيب والتكوين ؛ الكمية : الحجوم والأقدار .

(٥) الجوهر : الجسم أو الطبيعة أو الأصل ؛ والعرض : الصفات الطارئة والأحوال المتعاقبة .

(٦) فى نهاية الأرب والمجموعة الأدبية « وبين الصحة .. » ؛ المعمَّى : اللغز مأخوذ من عمَّيتُ الشىء إذا أخفيته ، وعمِيَ الأمرُ : التبس .

وَفَصَلَ بَيْنَ الْاِسْمِ وَالْمُسَمَّى[1] ، وَضَرَبَ وَقَسَّمَ ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ[2] ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ ، وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ ، وَنَفَى وَتَعَجَّبَ ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ ، وَثَنَّى وَجَمَعَ ، وَأَظْهَرَ وَأَضْمَرَ ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ[3] ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ[4] ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ[5] ، وَبَ تَ وَنَظَّرَ ، وَتَصَفَّحَ الْأَدْيَانَ ، وَرَجَّحَ

---

(١) الاسم : العَلَمُ الذى يتميز به كل كائن ، والمسمى هو الذات التى يطلق عليها هذا الاسم ؛ وللفلاسفة والمتكلمين أبحاث كثيرة فى هل الاسم هو المسمى أو غيره .

(٢) فى سرح العيون «وصرف وقسم» ، وعقب عليها ابن نباتة بأنه لم يدرك المعنى المطلوب ؛ وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ، ومعناها أنه أتقن الحساب من ضرب الأعداد وقسمتها . وعدّل وقوّم ذكر ابن نباتة أيضاً أنه لم يفهم المقصود منها ، ولعل المعنى : إنه وازن بين الأشياء وأدرك قيمة كل منها أى إنه دقيق النظر بارع التمييز خبير فى تقدير ما يقع عليه نظره .

(٣) الأسماء والأفعال ، والظروف والأحوال ، والبناء والإعراب ، والنفى والتعجب ، وهمزتا الوصل والقطع ، والإفراد والتثنية والجمع ، وإظهار الضمير وإضماره ، كلها اصطلاحات نحوية وصرفية لها أبواب وأحكام معروفة فى كتب النحو والصرف ، أما الخبر والاستفهام (أو الخبر والإنشاء) فهما من اصطلاحات علم المعانى ؛ وفى نهاية الأرب . « وابتدأ وأخبر » فيكونان من اصطلاحات النحو أيضاً يقصد بهما : المبتدأ والخبر .

(٤) فى نهاية الأرب « واستفهم وأهمل وقيد» وقد آثرنا رواية سرح العيون؛ أهمل : كتب الحروف بدون تنقيط وتشكيل، وقيّد : ضبطها بهما ؛ أو أهمل وقيد : ترك واختار ، أو أسقط وحفظ ، أو خطّأ وصوّب .

(٥) أرسل : روى أحاديث النبي ﷺ دون أن يذكر سلسلة النسب حتى تصل إليه ، بل تصل إلى أحد التابعين ، وأسند : روى الأحاديث مسلسلة راوٍ عن راوٍ حتى تصل إلى من سمعها عن النبى عليه السلام .

بِيْنَ مَذْهَبَيْ مانِي وَغَيْلَانَ[1] ، وَأشَارَ بِذَبْحِ الْجَعْدِ[2] ، وَقَتْلِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ[3] ، وَأَنَّكَ لَوْ شِئْتَ خَرَقْتَ الْعَادَاتِ ، وَخَالَفْتَ الْمَعْهُودَاتِ[4] ، فَأَحَلْتَ الْبِحَارَ عَذْبَةً ، وَأَعَدْتَ السِّلَامَ رَطْبَةً[5] ، وَنَقَلْتَ غَدًا فَصَارَ أَمْسًا ، وَزِدْتَ فِي الْعَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا[6] ، وَأَنَّكَ الْمَقُولُ فِيهِ : « كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ

---

(١) مانى : ظهر فى أيام سابور بن أردشير ملك الفرس وادّعى النبوة وتبعه خلق كثير ، وكان يزعم أن العالم خالقه اثنان: إله الخير وهوالنور ، وإله الشروهو الظلام ؛ غيلان بن يونس: ظهر فى زمن هشام بن عبد الملك وهو أول من تكلم فى القدر وخلق الإنسان ، قتله هشام بن عبد الملك .

ولا وجه للموازنة بين المذهبين .

(٢) الجعد بن درهم مولى بنى الحكم ، كان يقول بخلق القرآن ، قتله خالد ابن عبد الله القسرى والى العراق من قبل هشام بن عبدالملك لما خشى تفاقم شره .

(٣) بشار بن برد الشاعر المشهور من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وكان متهما بالمجون والفسق والزندقة والتعصب للفرس ضد العرب ، أمر المهدىّ بضربه بالسياط حتى تلف سنة ١٦٨ هـ .

(٤) خرق العادات : أتى بما يخالف الطبيعة مثل المعجزات .

(٥) السّلام : جمع سَلِمة وهى الحجرة . ثم أخذ الكاتب يعدد أمثلة خرق العادات ، ومخالفة المعهودات ، مثل تحويل البحار الملحة إلى عذبة . وتحويل صلابة الصخور إلى ليونة وطراوة ؛ وتزعم الأساطير العربية أن الحجارة كانت ليّنة على عهد نوح عليه السلام .

(٦) فى المجموعة الأدبية (فصارت خمساً) . العناصر عند الأقدمين أربعة : النار والهواء والماء والتراب ؛ وهى ليست عناصر فى نظر العلم الحديث بل مركبات . والعناصر فى نظر العلم الحديث قد جاوزت التسعين .

الفَرَا[1] » وَ

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ[2]

وَالْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا ... عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ[3]

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

ذُكِرَ الأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً ... كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا[4]

---

(١) الفَرَا : الحمار الوحشي ؛ وسببُ المثـل : أن جماعة خرجوا للصيد ، فاصطاد أحدهم أرنباً ، والثاني ظبياً ، والثالث حماراً ، فسخر الأولان من الثالث ، فقال : « كل الصيد في جوف الفَرا » أي إنّ ما صدته يشتمل على ما عندكما ، وليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي ؛ واستأذن أبو سفيان على النبي ﷺ فحجبه قليلا ، فلما عاتبه قال له : « يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد في جوف الفرا » أي إذا حجبتُك قنع كل محجوب .

(٢) في سرح العيون : « وليس لله بمستنكر » ؛ البيتُ لأبي نواس في مدح الفضل بن يحيي من قصيدة يقول فيها مخاطباً الرشيد :

قولا لهرونَ إمامِ الهـدى ... عنـد احتفال المجلس الحاشد :

أنتَ ـ على ما بك من قدرة ـ ... فلست مثل (الفضل) بالواجد

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العـالم في واحد

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة في مدح مهدي بن أصرم يقول فيها :

جعلتَ الجـودَ لألاءَ المساعي ... وهل شمس تـكون بلا شعاع ؟

ورأيك مثل رأي السيف صحّت ... مشورةُ حدّه عنـد المصاع

ولو صـورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطباع

(٤) البيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها محمد بن أحمد بن عمران يقول فيها :=

فكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ (١) ، وَاسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمٍ (٢) ، وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ (٣) ؛ وَلَمْ تَجِدْ لِرُمْحٍ مَهَزًّا ، وَلاَ لِشَفْرَةٍ مَحَزًّا (٤) ؛ بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ (٥) ، وَتَمَنَّيْتَ الرُّجُوعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ (٦) ، لأنِّي قُلْتُ :

= أعيا زوالك عن محل نلته	لا تخرجُ الأقمارُ عن هالاتها
ذُكِرَ الأنامُ لنا فكان قصيدة	كنتَ البديعَ الفردَ من أبياتها

(١) الكدم : العض ؛ المكدم : موضع العض ؛ « كدمت فى غير مكدم » مثل يضرب لمن يطلب شيئاً لا يتمكن منه .

(٢) لم ترد هذه الجملة فى نهاية الأرب ؛ الورم : الانتفاخ ؛ والمعنى مأخوذ من قول المتنبى :

أعيذها نظرات منك صادقة	أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ

(٣) فى نهاية الأرب « ونفخت فى غير فحم » ؛ الضَّرَمُ : التهاب النار ، والمعنى مأخوذ من قول عمرو بن معد يكرب :

ولو نار نفخْتَ بها أضاءَتْ	ولكن أنتَ تنفخُ فى رَمَادِ

(٤) فى شرح العيون « ولم تجد لرمح مهزا » وفسرها بأن المرأة الرسلة لم تجد لرمح كلامها مايهزنى ويستميلنى ، ولا لشفرة احتيالها مايحز ويقطع ؛ وفى المجموعة الأدبية « لرمحك » وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ؛ « لم أجد لشفرتى محزاً » مثل يُضرَبُ فى تعذر الحاجة أى لم أجد بها لا لعزمى ؛ والمعنى : إنها لم تجدْ لكلامها تأثيراً ولا لادعائها مجالا ، فما هزّتْ رمحاً ولا سنّتْ حداً .

(٥) « رضىَ من الغنيمة بالإياب » : مثل يضرب لمن قنع — بعد ما بذل من جهد — بالرجوع إلى بيته سالماً ، وهو مأخوذ من قول امرىء القيس :

وقد طوّفتُ فى الآفاق حتى	رضيتُ من الغنيمة بالإياب

(٦) كان حنين إسكافياً ساومه أعرابى على خُفَّيْنِ وأغاظه ؛ فوضع حُنَيْن =

« لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ »(1)

وَأَنْشَدَتْ :

عَلَى أَنَّهَا الأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ(2)

وَنَخَرَتْ وَكَفَرَتْ ، وَعَبَسَتْ وَبَسَرَتْ(3)، وَأَبْدَأَتْ وَأَعَدَتْ ، وَأَبْرَقَتْ

=في طريقه أحد الخفين، فقال الأعرابي : لو كان معه زميله !! ثم سار قليلا فوجد الخف الآخر ، فعقل بعيره، ورجع ليأخذ الأول؛ فخرج الإسكافي من مكمنه وأخذ البعير ، ورجع الأعرابي بالخفين وأضاع بعيره ؛ فقيل فيه « رجع بخفي حنين » وهو مثل يضرب للخيبة .

(1) في المجموعة الأدبية ومجمع الأمثال « لقد ذل » ؛ كان غاوي بن ظالم سادناً لصنم يعبده بنو سليم في الجاهلية ، فرأى ثعلباً أقبل على الصنم وبال عليه ، فقال : يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ؛ ولا يعطي ولا يمنع ، ثم أنشد :

أربٌّ يبول الثُّعْلُبانُ برأسه ؟ لقد هان من بالت عليه الثعالبُ !!

وذهب غاوي بن ظالم إلى النبي ﷺ فأسلم ، فسماه راشد بن عبد ربه ؛ الثُّعلبان : ذكر الثعالب .

(2) في المجموعة الأدبية « وأنشدت لها »، البيت لأبي تمام من قصيدة يرثي بها غالبا الصغدي يقول فيها :

وقلتُ أخي ! قالوا أخٌ ذو قرابة؟ فقلتُ لهم : إن الشكولَ أقاربُ
صديقيَ في رأيي وعزمي ومذهبي وإن باعدتْنا في الأصول المناسبُ
عجبتُ لصبري بعده وهو ميّتٌ وكنتُ امرءاً أبكي دماً ، وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب ، حتى ليس فيها عجائب

(3) النّخير : صوت يصدر من الأنف وأكثر ما يكون عند الغضب ، [illegible] التبرؤ من الشيء ، قال تعالى : « ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض » ؛ [illegible]

وَأَرْعَدْتُ ، وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي[1] ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجِوَارِ ذِمَّةً ، وَلِلضِّيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ[2] ؛ وَلَكِنَّ النَّمْلَ

= قطوب الوجه من ضيق الصدر ؛ البَسْر : التقطيب والعبوس أو القهر ، قال تعالى : « وَوُجُوهٌ يومئذ باسرة تظنّ أن يُفْعَل بها فاقرة » أى كالحة تتوقع أن تحل بها كارثة، قال تعالى فى شأن الوليد بن المغيرة : « ثم نظر ، ثم عبس وبسر ». وفى سرح العيون « ونخرت وبسرت ، وعبست فكفرت » وقد آثرنا رواية المجموعة الأدبية ونهاية الأرب .

(١) أى هممت بقتل هذه المرأة ولم أنفذه، وقد كدت أن أفعله وليتنى فعلتُه؛ وهو شطر بيت لضابىء بن الحارث بن أرطأة ، كان بذيئا كثير الشرور حبسه عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنه دهم صبيا بدابته فقتله ، ثم خرج من السجن ، فاستعار كلب صيد من بنى نهشل وما طل فى رده ، فألحوا عليه فقال :

فأمُّكمُ لاتتركوها وكلبَكم فإن عقوقَ الأمهات كبير
إذا اكتنفتْ من آخر الليل شخصه
يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان ، فقال له : ويلك !! ما سمعتُ أحدا يرمى امرأةً بكلب غيرك، ثم حبسه؛ فأعد حديدة لقتله فأخذتْ منه وتركَ مهمَلا فى السجن فقال:

هممت ... ولم أفعل ... وكدت .. وليتنى
تركتُ على عثمان تبكى حلائله

(٢) القذال : جماع مؤخر الرأس ؛ المعنى : لولا أنه صار لهذه المرأة حرمة بدخول منزل وضيافتى لفعلتُ بهـا فعلَ سيف الدولة بالدمستق وهو بطريق قاد جيشا من الروم لحرب سيف الدولة فارتد مهزوماً منكسرا ؛ والمعنى مأخوذ من قول المتنبى من قصيدة يمدح بها سيف الدولة يقول فيها :

رأى ملكُ الروم ارتياحكَ للندى فقام مقام المجتدى المتملق
وكنتَ إذا كاتبته قبل هذه كتبتَ إليه فى قذال الدمستق

حَاضِرةٌ إنْ عَادَتْ العَقْرَبُ [1] ، وَالعُقُوبَةَ مُمْكِنَةٌ إنْ أصَرَّ المُذْنِبُ ؛ وَهَبْهَا لَا تَلاحظُكَ بِعَيْنٍ كَالِيلَةٍ عَنْ عُيُوبِكَ [2] ، وإنَّها حَبِيبُهَا [3] ، وَحَسَنٌ فِيها مَنْ تَوَدُّ [4] ، وَكَانَتْ إنَّمَا حَلَّتْكَ بِحُـــــلاكَ وَوَسَمَتْكَ

---

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفى سرح العيون والمجموعة الأدبية « والنمل حاضرة » وهو مثل مأخوذ من قول الفضل بن العباس اللهبى :

إن عادت العقربُ عدنا لها وكانت النعل لها حاضرَهْ

(٢) كالِيلة : ضعيفة ؛ والمعنى : هب هذه المرأةَ المرسلةَ صدقتْ فيما تحدثتْ به عنك ، وقالتْ ما اعتقدته فيك (فإن منظرك القبيح يغنى عن خبرك) .. ومن الأحاديث المأثورة « حبك الشىء يعمى ويصم » وهو مأخوذ من قول عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن أبى طالب الهاشمى :

وأنتَ أخى ما لم تكن لِىَ حاجة فإن عرضتْ أيقنتُ ألاَّ أخاليا
وَعينُ الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

(٣) ملؤها حبيبها : ترى حبيبها كلَّ شىء فى الحياة ، وهو مأخوذ من قول مجنون ليلى :

أهابكِ إجلالاً ، وما بِكَ قدرةٌ علىّ ، ولكن مِلءُ عينٍ حبيبُها
وما هجرتكِ النفسُ أنكِ عندها قليلٌ ، ولكنْ قلَّ منكِ نصيبُها

(٤) المعنى : إن حبيبها فتان فى نظرها وإن كان قبيحا ، وهو مأخوذ من قول عمر بن أبى ربيعة :

ولقد قالتْ لأترابٍ لهـــا ذات يوم — وتعرَّتْ تبترِد —
: أكما ينعتنى تبصرننى ؟ عمركنَّ الله ! أم لا يقتصدْ ؟
فتضاحكنَ ، وقد قُلْن لها : «حسنٌ فى كل عينٍ منَ تود»

بِسِمِاكَ[1] ، وَلَمْ تُعِرْكَ شَهَادَةً ، وَلاَ تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنَّ بَكْرِهَا فِيمَا ذَكَرَتْهُ عَنْكَ[2] ، وَوَضَعَتِ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقْبِ بِمَا نَسَبَتْهُ إِلَيْكَ[3] ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتْ بِهِ عَلَيْكَ ، فَالمُعَيْدِيُّ تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ[4] .

= حسدٌ حُمِّلْنَهُ من أجلها وقديما كان في الناس الحسدُ

ومثل هذا قولهم : « زين في عين والدٍ ولدُه » و « كل فتاة بأبيها معجبة »

(١) وسمتك بسماك : ميزتك بما امتزت به .

(٢) البكر : الفتِيُّ من الإبل ، وفي الأمثال « صدقني سنَّ بكره » وهو مثل يضرب في الصدق ، وأصله أن رجلا ساوم أعرابيا في بعيره ، وسأله عن سنه ، فقال له : بكر ، فقال الرجل « صدقني سن بكره »

(٣) الهناء : القطران ، النقب : الثقب الذي تحدثه جرثومة الجرب في الجسم أو الجربُ نفسُه ؛ وهو مأخوذ من أبيات قالها دريد بن الصمة ، وكان قد مرّ بالخنساء وهي تطلي بعيرا لها بالقطران حتى فرغت منه ، فنضَت ثيابها واغتسلت ودريدٌ يراها ولا تشعر به ، فقال فيها :

حيُّوا تُماضرَ واربعوا صحبي وقفوا ، فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به كاليوم هانِئَ أَيْنُقٍ جرب
متبذّلاً تبدو محاسنُه يضع الهِنَاءَ مواضع النقْبِ

أي يضع الأمورَ في مواضعها ، ثم خطبها فردّته لكبر سنه ؛ وفي نهاية الأرب « فيما نسبته إليك » .

(٤) في نهاية الأرب « .. تسمع به لا أن تراه » وهو مثل مشهور ، ورد على عدة صور منها : « أنْ تسمعَ بالمعيدي » أو : لا أنْ تسمع بالمعيدي ، =

هَجِينُ الْقَذَالِ[1] ، أَرْعَنُ السِّبَالِ[2] ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَاوَةِ[3] مُفْرِطُ الْحُمْقِ وَالْغَبَاوَةِ ، جَافِي الطَّبْعِ ، سَيِّءُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ[4] ، بَغِيضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيفُ الذَّهَابِ وَالْجِيئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُنْتِنُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَثَالِبِ[5] ، كَلَامُكَ تَمْتَمَةٌ ، وَحَدِيثُكَ غَمْغَمَةٌ ، وَبَيَانُكَ فَهْفَهَةٌ ، وَضِحْكُكَ قَهْقَهَةٌ ، وَمَشْيُكَ هَرْوَلَةٌ[6] ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ

= والمختار : تسمعُ بالمعيدى خير من أن تراه ، ويروى : لا أنْ تراه » وهو مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره ، وهو مثل قاله النعمان ، لأن شقة بن ضمرة كان يغير على ماله ويطلبه فلا يقدر عليه ، فأمّنه — وكان يعجبه ما يسمعه عنه — فلما رآه قال : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » فقال : أبيت اللعن !! إن الرجال ليسوا بجُزُرٍ ، وإنما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه . فصارت مثلا ؛ والجزر : الشاء السمينة .

(١) الهجين : مَنْ فى نسبه هجنة أى قبح من جهة أمه ، والمُقْرِف مَنْ فى نسبه قبح من جهة الأب ؛ القذال : جماع مؤخر الرأس ؛ هجين القذال : لئيم النسب يبدو لؤم نسبه من النظر إلى قذاله إذا أدبر، لأنه يخفض رأسه ذلا وحياء أو لأنه كثير الفرار فى الحروب .

(٢) السِّبال : جمع سَبَلة وهى الشارب : أرعن السبال : أحمق الشارب ، وخصت الرعونة به لأنه مظهر الرجولة .

(٣) العلاوة : أعلى الرأس والعرب يعدون طول الرأس والعنق من دلائل الحمق .

(٤) الجابة : الإجابة ، وفى الأمثال : « أساء سمعاً فأساء جابة » ، وفى المجموعة الأدبية « سيء الإجابة »

(٥) المثالب : النقائص .

(٦) التمتمة من معايب النطق المدونة، قال الجاحظ: إنها التردد فى التاء ؛=

زندقةٌ ، وَعِلْمُكَ مَخْرَقَةٌ (١) ،

مَسَاوٍ !! لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الغَوَانِي ... لَمَا أُمْهِرْنَ إلاَّ بِالطَّلاقِ (٢)

حتَّى إنَّ بَاقِلاً مَوْصُوفٌ بِالبَلاغَةِ إذَا قُرِنَ بِكَ (٣) ، وَهَمْهَمَةٌ مُسْتَحِقٌّ

= الهمهمة : أن يصدر الصوت مسموعا ، ولا تظهر فيه مقاطع الحروف؛ القهقهة : الضحك الشديد ، وهو خصلة منافية للوقار ، والأفضل فيه التبسم ؛ الهروة : ضرب من العدو فوق المشى ودون الجرى ، وهى مشية تنافى الاتزان وتشعر بالنزق ؛ وشبيه بهذا قول المتنبى فى هجاء إسحق بن كيغلغ من قصيدة :

وارفق بنفسك !! إن خلقك ناقص ... واستر أباك ، فإن أصلك مظلم

وغناك مسألة ، وطيشك نفخة ... ورضاك فيشلة ، وربك درهم

(١) الزندقة : الميل إلى وثنية الفرس القديمة نسبة إلى كتابَىْ زند وزندين المنسوبين إلى زرادشت ومزدك ؛ ثم أصبحت الزندقة تطلق على كل من خرج على شريعة الإسلام ؛ المخرقة : نوع من التحايل لإظهار البراعة إيهاما للناس بأنها كرامات .

(٢) البيت لأبى تمام من أبيات يهجو بها الأعمش يقول منها :

دع ابن الأعمش المسكين يبكى ... لداءٍ ظلّ منه فى وثاقِ

كحاتٍ بقبح سورته ، فأضحى ... لها إنسانُ عينى فى السياق

مَسَاوٍ لو قسمن على الغوانى ... لما أمهرن إلا بالطلاق

(٣) باقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادى يضرب به المثل فى العىّ يقال : « أعىّ من باقل » ، قال أبو عبيدة : بلغ من عيّه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما وحمله ، فسأله شخص عن ثمنه ففتح كفيه ، وفرق أصابعه وأخرج لسانه ، يشير بذلك إلى أحد عشر فهرب الظبى ، قال المعرى : =

لِأَسْمِ الْعَقْلِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْكَ(١) ، [وَأَبَا غَبْشَانَ مَحْمُودٌ مِنْهُ سَدَادُ الْقَيْسِيِّ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ](٢) ، وَطُوَيْساً مَأْثُورٌ عَنْهُ يُمْنُ الطَّائِرِ إِذَا قِيسَ

إذا وصف الطائيّ بالبخل مادرٌ وعيّر قسّاً بالفهاهة باقلُ

فياموتُ زرْ ! ! إن الحياة ذميمةٌ ويا نفس جدى ، إن دهرك هازل

والطائى : حاتم الطائى المشهور بالجود ، ومادر يضرب به المثل فى البخل ، وقس مضرب المثل فى البلاغة .

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفى سرح العيون والمجموعة الأدبيـــة « .. مستوجب لاسم العقل إذا أضيف إليك » ، هبنقّة : هو يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة ، ويسمى أبا الودعات لأنه نظم ودعاً لنفسه فى سلك ، وجعله فى عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع ، فنافله أخوه يوما ولبس العقد ، فارتبك هبنقة وقال له : أنت أنا ، فترى من هو أنا ؟

(٢) لم ترد هذه الجملة فى سرح العيون ولا فى المجموعة الأدبية ، وقد زدناها عن نهاية الأرب ؛ وأبو غبشان مضروب به المثل فى الحماقة ، ذكر الميدانى فى مجمع الأمثال : أن أبا غبشان خزاعى كان يلى سدانة الكعبة ، فخدعه قصى وأسكره ، ثم اشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر ، وأشهد عليه ودفعها لابنه عبـد الدار ، وطيّر به إلى مكة ، فلما أشرف عليها رفع عقيرته صائحا : معاشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم اسماعيل قد ردّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم ، فلما أفاق أبو غبشان من سكره ندم ولات حين مندم ، فقال الناس : « أحمق من أبى غبشان » قال الشاعر :

أبو غبشان أظلمُ من قُصَىّ وأظـــلم من بنى فهر خزاعة

فلا تلحَوْا قصيًّا فى شراه ولوموا شيخكم إن كان باعهْ

عَلَيْكَ(١) ؛ فَوُجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالاغْتِبَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْخَيْبَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ سَقَرُ(٢) ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ لُؤْمَكَ لِكَرَمِي كِفَاءً ؟ وَضَعَتَكَ لِشَرَفِي وَفَاءً(٣) ؟ وَأَنَّى جَهِلْتَ أَنَّ الأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ؟ وَالطَّيْرَ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى أُمْثَالِهَا(٤) ؟ وَهَلاَّ عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لاَ يَجْتَمِعَانِ ؟ وَشَعَرْتَ أَنَّ (نَادِيَ) الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ لاَ يَتَقَارَبَانِ(٥) ؟

---

(١) اليُمْنُ : البركة ؛ طويس : هو عيسى بن عبدالله مولى بنى مخزوم كان ماجنا ظريفا ، يقال إنه أول من غنى على الدف بالعربية ، ويُضْرَبُ به المثلُ فى الشؤم لأنه ولد يوم قبض رسول الله ﷺ ، وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن « وقيل بلغ الحلم » يوم قُتِل عمر ، وتزوج يوم قُتِل عثمان ، وَوُلِدَ له يوم مقتل على ، وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الأنصار .

(٢) المعنى : حياتك مثل فقدك ، والفرحة بك تجلب الندم ، والفشل منك ربح عظيم ، والجنة فى صحبتك تنقلب إلى الجحيم .

(٣) اللؤم : الدناءة فى الأصل وفى الأخلاق ؛ كِفاء : مماثل ومناظر أو مُجَازٍ ؛ الوفاء : العدل أو الطول ؛ المعنى : كيف ترى لؤمك لكرمى مماثلا ؟ وذلك لشرفى معادلة أو مطاولة ؟

(٤) فى نهاية الأرب وسرح العيون « تقع على ألافها » وقد آثرنا رواية المجموعة الأدبية ؛ أنى : كيف ؟ المعنى : كيف تجهل أن الشىء ينجذب إلى مثيله ؟ والطير تقع على نظائرها ؟ فلا عجب إذا ملتُ إلى شكلى وإلفى ، ولستَ منهما

(٥) كلمة (نادى) : زيادة من نهاية الأرب ، وفيه « أن نادى المؤمن والكافر لا يتراءيان » وقد آثرنا رواية سرح العيون والمجموعة الأدبية ؛ النادى والندى والندوة : مجلس القوم ومكان حديثهم وتشاورهم ما داموا فيه ؛ والمعنى : لاسبيل إلى تقاربنا كما لا سبيل إلى اجتماع الشرق والغرب ، ولا يمكن اتفاقنا كما لا يمكن اتفاق مجلس المؤمنين والكفار .

[وَقُلْتَ] : الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لاَ يَسْتَوِيَانِ ؟[1] وَتَمَثَّلْتَ :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ ! كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ[2] ؟

وَذَكَرْتَ أَنِّي عِلْقٌ لاَ يُبَاعُ مِمَّنْ زَادَ[3] ، وَطَائِرٌ لاَ يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضٌ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ مَنْ أَجَادَ[4] ، مَا أَحْسَبُكَ إِلاَّ كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِئَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ لِلتَّرْفِئَةِ[5] ،

(١) نظر الكاتب إلى قوله تعالى : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » وما بين القوسين ساقط من المجموعة الأدبية .

(٢) البيت لعمر بن أبى ربيعة فى الثريا بنت عبد الله حينما تزوجها سهيل ابن عبد العزيز بن طلحة أو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ورحل بها إلى الشام فقال عمر (وفى البيتين تورية بنجمى الثريا وسهيل) :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان ؟

هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى

عمرك الله : قسم ببقاء الله ودوامه ، أو سألت الله تعميرك ، وعلى هذا المعنى يكون غير قسم .

(٣) العلق : الثمين ؛ لا يباع ممن زاد : أى لمن زاد ، وفى ، بمعنى اللام من استعمال الفقهاء كما فى شرح النووى على مسلم .

(٤) الغرض : الهدف .

(٥) الترشيح : الاستعداد للشىء ؛ الترفئة : التهنئة بالزواج من قولهم للمتزوج : « بالرفاء والبنين » أى بالالتئام والاتفاق وجمع الشمل ، ومنه قول عمر بن الخطاب لما أصبح معرسا بأم كلثوم بنت على بن أبى طالب من زوجته السيدة فاطمة : رفئونى ؛ ثم صارت الترفئة عامة فى الزواج وغيره ؛ وفى الحديث : « إذا رفأ أحدكم أخاه فليقل : بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير »

[أَوْلَى لَكَ ! !](1) وَلَوْلاَ أَنْ جَرْحَ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ(2) ، لَقِيتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لاَقَى يَسَارٌ(3) ، فَمَا هَمٌّ إِلاَّ بِدُونِ مَا هَمَمْتَ بِهِ ، وَلاَ تَعَرَّضَ إِلاَّ لِأَيْسَرِ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ(4) ، أَيْنَ ادِّعَاؤُكَ رِوَايَةَ الْأَشْعَارِ ؟ وَتَعَاطِيكَ

---

(1) زيادة واردة في نهاية الأرب ، أولى لك ! ! : تهديد ووعيد أي قاربك ما يهلكك ، أو الشر أقرب إليك ، أو اندم على ما فاتك ، أو كلمة تلهف يقولها الرجل إذا أفلت من مصيبة ، أو دنوتَ من الهلكة ، قال تعالى : « فلا صدَّقَ ولا صلَّى ولكن كذَّب وتولَّى، ثم ذهب إلى أهله يتمطَّى ، أَوْلَى لَكَ فأولى ! ! ثم أولى لك فأولى ! ! » أي قربت من الوبال ، قالت الخنساء :

همتْ بنفسيَ كلُّ الهموم ... فأَوْلَى لنفسيَ ! ! أولى لها ! !

(2) « جرح العجماء جُبار » حديث شريف : العجماء : البهيمة ؛ جبار : هدرٌ ؛ وعدم القصاص في جرح البهيمة لأنها لا تعقل ، ويضرب به المثل لما يستهان به .

(3) يسار : عبد أسود دميم يقال له يسار الكواعب لأن النساء كن يضحكن منه لقبحه ، فكان يظنهنّ معجبات به ، حتى نظرتْ إليه امرأة مولاه (أو بنته) فضحكتْ فطمع فيها وراودها ، فقالت له : مهلاً فإن للحرائر طيبا أشمك إياه ، فقال : هاتيه ، فأتت بطيب وموسى فأشمته الطيب ثم أمّت بالموسى فقطعت أنفه ، فصاح ! ! فقالت له صبرا على مجامر الكرام ، فضرب به المثل ؛

ولما ماتت امرأة الفرزدق أراد الخطبة إلى بسطام بن قيس ، فقال جرير يهجوه :

فهل أنت ــ إذْ ماتت أتانُك ــ راحلٌ ... إلى آل بسطام بن قيس بخاطب ؟

وإنى لأخشى إن رحلت إليهم ... عليك الذى لاقى يسار الكواعب

(4) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفي سرح العيون « فما هَمَّ إلا ببعض ما به هممت ، ولا تعرض إلا لأيسر ما له تعرضت »

حِفظَ السِّيَرِ وَالأَخْبَارِ ؟ [أَمَّا ثابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ ؟][1] :

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ   وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الحَبِطَاتُ[2]

وَهَلاَّ عَشَّيْتَ وَلَمْ تَغْتَرَّ[3] ، وَمَا أَمْنَعَكَ أَنْ تَكُونَ وَافِدَ البَرَاجِمِ[4] ؟

---

(١) ما بين القوسين ساقط من نهاية الأرب ؛ ثاب إليك : رجع إلى ذهنك .

(٢) البيت للفرزدق ، ومعناه : إن بني دارم لا ينبغي أن يصاهرهم إلا بنو مِسْمَع فأما بنو الحبطات فلا ؛ بنو دارم : من ذرية دارم وهو مالك بن حنظلة التميمي بيته أكبر بيوت بني تميم ؛ آل مسمع : بيت بكر بن وائل من بني قيس بن ثعلبه ؛ الحَبِطات : بنو الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم ، وفيهم يقول الشاعر :

وجدنا الشَّيبَ مِنْ شَرِّ المطايا   كما الحبطاتُ شرُّ بني تميم

(٣) في الأمثال « عَشِّ ولا تغترّ » وهو مثل يضرب للاحتياط والأخذ بالثقة ؛ ومعناه : هلاَّ رفقتَ بإبلك فأطعمتها بالعشيّ لأنك لا تضمن ما يكون في غد ؛ عَشِّي : رفَقَ .

(٤) في سرح العيون والمجموعة الأدبية « وما أشك أنك تكون وافد البراجم » وقد آثرنا بعض الروايات في نهاية الأرب .

من الأمثال : « أشقى من وافد البراجم » والبراجم خمسةٌ من أولاد حنظلة ، وسبب المثل أن عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا في ثأر أخ له ، وكان قد آلى أن يحرق منهم مائة ؛ فمرّ رجل اسمه عمار (أحد البراجم) فشم رائحة اللحم فظنه طعاماً فأتى إليه ، فأكمل الملك به المائة ؛ وعُيِّرت بنو تميم بحب الطعام بسببه ، قال الشاعر :

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم   وسرّكَ أن يعيش فجيء بزادِ

أَوْ تَرْجِعَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ[1] ؟ أَوْ أَفْعَلَ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلَّفَةَ بِالْجُهَنِيِّ ، إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا ، فَدَهَنَ اسْتَهُ بِزَيْتٍ وَأَدْنَاهُ مِنْ قَرْيَةِ النَّمْلِ[2] ؟ وَمَتَى كُنْتَ تَلَاقَيْنَا ؟ وَاتَّصَلَ تَرَائِينَا ؟ فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَا دَعَا ابْنَةَ الْخُسِّ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السِّوَادِ ، وَقُرْبِ الْوِسَادِ[3] ؛ وَهَلْ فُقِدَتْ الْأَرَاقِمُ

(١) « صحيفة المتلمس » تضرب مثلا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع النفع ؛ والمتلمس : شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وفد مع ابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، فحنق عمرو عليهما يوما ، فلم يظهر لهما الوجدة خوف هجائهما ، وأرسل كلا منهما بكتاب إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما ، وأوهمهما أنه كتب لهما بصلة من عامله ؛ ففتح المتلمس صحيفته وعرف ما بها فمزقها ؛ ونصح طرفة أن يفعل كما فعل ، فأبى وظن أن الملك لا يجرؤ على هذا خيفة قومه ؛ فلاقى مصرعه .

(٢) عقيل بن علّفة اليربوعي من شعراء الدولة الأموية ، كان أهوج جافيا شديد الاعتزاز بنسبه عنيف الغيرة ، وكان لا يرى أحدا كفئا لمصاهرته ؛ خطب عبد الملك بن مروان إحدى بنات عقيل لأحد أبنائه فأطرق ساعة ، ثم قال : إن كان ولا بد فجنبني هجناءك ، أي أولاد الإماء ، ودخل على عثمان بن حيان والي المدينة فقال له : زوجني بعض بناتك ، فقال عقيل : أبكرة من إبلي تعني ؟ فنهره عثمان ؛ وكان له جار جهني تقدم لخطبة ابنته وكان أحمر اللون ، فغضب عقيل وكتفه ودهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل فآذته أشد الإيذاء ، وقال فيه :

رددتُ صحيفةَ القرشيِّ لمّا ... أبتْ أعراقه إلّا احمرارا

(٣) ابنة الخُس : هي هند بنت الخُس بن حابس الإيادي ، وكانت تعد من حكيمات نساء العرب ؛ ولكنها زنتْ بعبدها فلما سئلت : ما حملك على الزنى ؟ قالت : قرب الوساد وطول السواد ، وزاد بعضهم في حديثها « وحب السِّفاد » لأن أباها كان قد منعها من الزواج . السِّواد : السرار يقال ساودته إذا أسررتُ إليه كلاما وأسرّ هو إليّ كلاما ، وفي الحديث الشريف : « السِّواد من السحر »

فَأَنْكَحَ فِي جَنْبٍ (١) ؟ أَوْ عَضَلَنِي هَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ فَأَقُولُ : « زَوْجٌ مِنْ عُودٍ خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ » (٢) ؟

وَلَعَمْرِي ! لَوْ بَلَغَتْ هٰذَا الْمَبْلَغَ لَارْتَفَعْتُ عَنْ هٰذِهِ الْخُطَّةِ ، وَمَا رَضِيتُ بِهٰذِهِ الْخُطَّةِ (٣) ، فَالنَّارُ وَلَا الْعَارُ ، وَالْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ ، وَالْحُرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا (٤)

---

(١) الأراقم : حي من تغلب ؛ جَنْب : حي من اليمن ، وقد أشار بهذا إلى قول مهلهل بن ربيعة لما رحل عن قومه بعد أن أفنتهم حرب البسوس ، ونزل فى جاريته على حى من اليمن فخطبوا إليه ابنته ، وساقوا إليها جلودا من أدم فقال :

أعزز على تغلب بما لقيت ۞ أختُ بنى الأكرمين من جشم
انكحها فقدُها الأراقمَ من ۞ جَنْبٍ ، وكان الحباءُ من أدَم

(٢) عضل الولىُّ فتاته : منعها من الزواج ؛ عضل همامُ بن مرة بن ثعلبة بناته الأربع عن الزواج ، فاستمع إليهن مرة وهن لا يعلمن ، فسمع كلاً منهن تتمنى الزواج من رجل يكون متصفا بصفات خاصة ذكرتها ، إلا الصغرى فإنها صمتت ، فلما ألحت عليها أخواتها بأن تذكر صفات الزوج الذى تتمناه ، قالت : « زوجٌ من عود خيرٌ من قعود » فصارت مثلا ؛ ولما سمع أبوهن هذا الحديث أسرع فى تزويجهن .

(٣) فى شرح العيون والمجموعة الأدبية « .. ولا رضيت بهذه الخطة » وقد أخذنا برواية نهاية الأرب ؛ والمعنى : وحياتى لو بلغ بى الأمر مبلغه لارتفعت عن هذه الذلة ولم أرض بهذه السُّبَّة .

(٤) فى المجموعة الأدبية « من كد ثدييها » ؛ أمثلة ثلاثة تضرب لمن يؤثر التلف على قبح السيرة ؛ فالحر يفضل التعذيب بالنار على احتمال العار ، ويؤثر =

فَكَيْفَ ؟ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِكِ مَنْكَحٌ وَفِتْيَانُ هِزَّانَ الطِّوَالُ الْغَرَانِقَهْ[1]

* * *

مَا كُنْتُ لِأَتَخَطَّى الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ، وَلَا لِأَمْتَطِيَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ[2]

فَإِنَّمَا يَتَيَمَّمُ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً، وَيَرْعَى الْهَشِيمَ، مَنْ عَدِمَ الْجَمِيمَ[3] وَيَرْكَبُ

= الموت على الذل، والمرأة الشريفة الحرة ترضى بالجوع ولا ترضى أن تتجر بشرفها وكرامتها وتكون مرضعا بمنزلة الخادم .

(١) البيت للأعشى، هزان بن يقدم: بطن من العرب؛ الغرانقة: جمع غرنوق أو غرنيق وهو الشاب الأبيض الجميل؛ تزوج الأعشى امرأة من عنزة فلم يرضها، فطلقها وقال فيها من أبيات:

أيا جارتى بينى، فإنك طالقهْ كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ

وبينى حصانَ الفرج غيرَ ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقهْ

وذوقى فتى قوم، فإنّى ذائقٌ فتاة أناس مثلما أنت ذائقهْ

وكيف ؟ وفى شبان قومك منكح وفتيان هزان الطوال الغرانقهْ

وفى سرح العيون «فقد كان فى أبناء قومك منكح»؛ وفى المجموعة الأدبية «فى أبناء عمى».

(٢) فى سرح العيون والمجموعة الأدبية «ولا أمتطى» وفى نهاية الأرب «دون الجواد»؛ المعنى: ما كنتُ لأترك فتيان قومى لأنصرف إليك، مع أن نسبتك إليهم كنسبة الرماد إلى المسك والثور إلى الجواد، قال المتنبى:

ومن ركب الثورَ بعد الجوا دِ أنكر أظلافه والغبَبْ

الغبب: اللحم المتدلى تحت الحنك.

(٣) فى المجموعة الأدبية «فإنما يتيمم من لا ماء له»؛ الهشيم: النبات اليابس المتكسر؛ والجميم: النبت الكبير أو الذى نهض وانتشر، أو الذى =

الصَّعْبَ مَنْ لاَ ذَلُولَ لَهُ[1] ؛

وَلَعَلَّكَ أَغْمَارُكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبْوَتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرَيَاحِينِ الْمِصْرِ[2] الَّذِينَ هُمُ الْكَوَاكِبُ عُلُوَّ هِمَمٍ ، وَالرِّيَاضُ طِيبَ شِيَمٍ ،

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ
مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي[3]

فَيَحِنُّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا[4] ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ؟ وَأَيْنَ تَقَعُ مِنْهُمْ ؟ وَهَلْ

= مال بعض الطول ولم يتم نموه ؛ والمعنى ، يرعى النبات المتكسر من عدم النبات الأخضر الغض ، وفى سرح العيون « من عدم الجميم » ؛ وشبيه بهذا قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نُسِبَ المعلى إلى خيرٍ ، وفى الدنيا كريمُ
ولكنَّ البلادَ إذا اقشعرَّتْ وصَوَّحَ نبتها رُعِيَ الهشيمُ

(١) الصعب من المطايا : الجامح ؛ والذلول منها : السهل القياد .

(٢) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفى سرح العيون والمجموعة الأدبية « وريحان العصر » ؛ الصبوة : الميل والشوق ؛ المصر : المدينة .

(٣) البيت من شعر عبيد بن العرندس فى مدح بنى بدر الغنويين من أبيات يقول منها :

هينون لينون أيسارٌ ذوو كرم سُوَّاس مكرمة أبناء أيسارِ
من تلق منهم تقل لاقيتُ سيدَهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(٤) من الأمثال « حَنَّ قِدحٌ ليس منها » القدح : أحد قداح الميسر ، وإذا كان أحد القداح من غير جوهر القداح ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فيعرف أنه ليس منها ؛ ويضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس منها أو يتمدح =

أنت إلاّ واوُ عَمْرٍو فيهم(١) ، وكالوشيظة في العظم بينهم(٢) ، وإن كنت إنّما بلغت قعرَ تابوتك(٣) ، وتجافيت [لقميصك] عن بعض قوتك(٤) ،

= مما ليس فيه ، وتمثل به عمر بن الخطاب حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم قتل عقبة بن أبي معيط ، فقال عقبة : أأُقتَلُ من بين قريش ؟ فقال عمر : « حنّ قدح ليس منها » ؛ وفي المجموعة الأدبية وسرح العيون « نحن قدح »

(١) المعنى : إنك لست منهم ، فأنت مثل الواو التي تُلْحَق في الكتابة باسم عمرو ، وليست من حروفه ؛ والمعنى مأخوذ من قول أبي نواس في أشجع السلمى :

أيهـــا المدعى سليما سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفـــر
إنمـا أنت من سليم كواو ... ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ويروى « قل لمن يدعى ولاء سليم » .

وفي سرح العيون « وأنى تقع منهم » وقد آثرنا رواية نهاية الأرب .

(٢) الوشيظة : قطعة عظم تكون زائدة عن العظم الصميم ، أو قطعة خشب يُشْعَبُ بها القدح ، وهم وشيظة في قومهم أي حشوٌ فيهم ، قال الحسين رضى الله عنه لعمرو بن العاص : « دخلت في قريش ، وإنما أنت منهـا كالوشيظة في العظم » .

(٣) لعل معناها : لا زمت منزلك ، واختفيت فيه معظم وقتك بخلا ، حتى لا تتورط في النفقات ؛ أو لعله : أتيت بآخر ما عندك ، وأنفقت آخر ما تملك لتظهر بمظهر الثراء .

(٤) عبارة (لقميصك) زيادة من نهاية الأرب ؛ والمعنى : تنازلت عن بعض طعامك لتظاهر بقميص جديد توهم به الناس أنك ثرى ؛ أي جعت لتتزين .

وَعَطَّرْتَ أَرْدَانَكَ ، وَجَرَرْتَ هِمْيَانَكَ(١) ، وَاخْتَلْتَ فِي مِشْيَتِكَ ، وَحَذَفْتَ فُضُولَ لِحْيَتِكَ(٢) ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ، وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ(٣) ، وَرَقَّقْتَ خَطَّ عِذَارِكَ(٤) ، وَاسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ(٥) ، رَجَاءَ الاِكْتِتَابِ فِيهِمْ(٦) ،

(١) الأردان : أكمام القميص ؛ الهميان : السراويل أو كيس يشد في الإنسان في وسطه لحفظ الدراهم ، قال الشاعر :

يشد هميانه على عدم وذاك من حمقه ومن تيهه

والمعنى : عطرت ملابسك ، وسحبت ذيول التيه والكبرياء ، أو سحبت كيس النقود إظهارا للثروة والجاه .

(٢) اختال فى مشيته : تبختر وتمايل فيها تيها وكبرا ؛ وحذف فضول لحيته : قص ما تناثر أو شذ فيها من الشعر ليسويها حتى يبدو فى مظهر مناسب .

(٣) مطّ حاجبيه : تكبر ؛ أو مدهما لجانبي الوجه بقصد الزينة كما تفعل بعض السيدات الآن .

(٤) فى نهاية الأرب « ودققت خط عذارك » ؛ العذار : منبت اللحية من الخدين ؛ والمعنى : إنك سويت مسيل لحيتك فى أعلى خديك وجعلتها دقيقة خفيفة مبالغة منك فى الزينة .

(٥) الإزار : الرداء ؛ والمعنى : استأنفت إصلاح ملابسك ومطارفك لمقتضيات زينتك .

(٦) آثرنا رواية نهاية الأرب ، وفى سرح العيون والمجموعة الأدبية « رجاء الاكتنان فيهم » ؛ الاكتنان : التستر أى راجيا أن تتستر فى وسط هؤلاء الفتيان « أقمار العصر ورياحين المصر » ، الاكتتاب : الاندماج فى ... من اكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان مع الخاصة .

وَطمَعًا فِي الاعْتِدَادِ مِنْهُمْ (١) ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا (٢) ، وَأَخْطَأَتْ اسْتُكَ الحُفْرَةَ (٣) ؛ وَاللهِ لَوْ كُنْتَ مُحَرِّقَ البُرْدَيْنِ (٤) ، وَحَلَتْكَ مَارِيَةُ بِالقُرْطَيْنِ (٥) ، وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَامَةَ (٦) ، وَحَمَلَكَ الحارِثُ عَلَى

---

(١) الاعتداد منهم : الاندماج فى عددهم .

(٢) المعنى منظور فيه إلى قول الخنساء :

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّن يلاقى الحروب ... أَلاَّ يصابَ فقد ظن عجزا

(٣) هذا مثلٌ يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ، أو يتهيأ لمنزلة فلا ينالها .

(٤) محرِّق هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء الشهير بعمرو بن هند ، وسُمِّى مُحَرِّقًا لأنه أحرق مائة من بنى حنظلة فى ثأر أخ له ؛ أما قصة البُرْدين فخلاصتها أن وفود العرب اجتمعت عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه ، وقال : لِيَقُمْ أعزُّ العرب فليأخذهما ؛ فقام عامر بن أحيمر فأخذهما قائلا : العز كله فى معد ، والعددُ فى معد ، ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب ثم فى بهدلة ؛ فمن أنكر هذا فلينافرنى ؛ فسكت الناس ؛ فقال عمرو : هذه عشيرتك !! فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وخال عشرة ثم أخذ البردين وانصرف ..

(٥) مارية بنت ظالم بن وهب الكندى : زوجة الحارث الأكبر الغسانى ملك الشام ، كان فى قرطيها لؤلؤتان كبيرتان يتوارثهما الملوك ؛ وقد وصلتا إلى إلى عبد الملك بن مروان فأهداها إلى ابنته لما زوجها لعمر بن عبد العزيز ، ويقال إن مارية أهدتهما إلى الكعبة .

(٦) فى سرح العيون « بالصمصامة » وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ، والمجموعة الأدبية ؛ عمرو بن معديكرب الزبيدى من فرسان العرب المعدودين فى الجاهلية والإسلام ، وقد أبلى فى موقعة القادسية أعظم البلاء وله شعر وأخبار مشهورة ؛ والصمصامة : سيفه ، ويضرب به المثل فى المضاء ، يقال إنه توارثه من =

النُّعَامَةِ(١) ، مَا شَكَكْتَ فِيكَ ، [وَلاَ تَكَلَّمْتَ بِمِلْءِ فِيكَ] ، وَلاَ سَتَرْتَ أَبَاكَ ، وَلاَ كُنْتَ إِلاَّ ذَاكَ(٢) .

وَهَبْكَ سَامَيْتَهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ ، وَجَارَيْتَهُمْ فِي غَـــايَةِ الظَّرْفِ وَالأَدَبِ(٣) ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى بَيْتٍ قَعِيــدَتُهُ لَكَاعِ(٤) ؟

= هدايا بلقيس لسليمان عليه السلام ؛ ويُرْوى أن عمر بن الخطاب طلبه منه ، فبعثه إليه فلم يجده كما سمع ، فحدثه في هذا فقال : إنني بعثتُ إليك الصمصامة ، ولم أبعث إليك اليد التي تضرب به .

(١) الحارث بن عباد التغلبي سيد بني وائل ، والنعامة اسم فرسه ، وكان قد اعتزل حرب البسوس . فلما قتل ابنه فيها اشترك في خوض غمارها ، وقال :

قربا مربط النعامة مني لقحتْ حرب وائل عن حيالِ
لم أكن من جناتها علم الله ، وإني بحرها اليوم صالِ

(٢) عبارة « ولا تكلمت بملء فيك » زيادة من نهاية الأرب ، المعنى : لو كساك محرق البردين ، وحلتك ماريه بالقرطين ... ما حاشت من ... الشك فيك ، لأن عيوبك أظهر من أن تخفى وأوضح من أن تتوارى ... التزين والتصنع ؛ وليس لك أن تفتخر بمل ء فيك لأن معايبك تمقل لسانك عن الافتخار ، ولن تقدر أن تستر نسبك الوضيع ؛ وإن تكون إلا ما عيرك ؛ فأنت أنت ، مهما تزينت وتصنعت .

(٣) المساماة : المباراة في السمو ؛ الذروة : أعلى الشيء ؛ الحسب : ما ... الإنسان من مفاخره ، أو ما يحسبه من مفاخر آبائه ؛ وقيل : حسب ... وقيل : الحسب والكرم يكونان في المرء وإن لم يكن له آباء له شرفاء ، و... ابن السكيت مثل هذا ، وزاد أن المجد والشرف لا يكونان إلا بالآباء .

(٤) القعيدة : الزوجة ؛ اللكاع : اللئيمة النفس ، قال الحطيئة في هجاء ...

أطوّفُ ما أطوف ثم آوي إلى بيتٍ قعيدته لكاعِ

إذْ كُلُّهُمْ عَزَبٌ خَالِي الذِّرَاعِ[1] ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْفَرِدُ بِهِ ، مِمَّنْ لاَ أَغْلِبُ إلاَّ عَلَى الأَقَلِّ الأَخَسِّ مِنْهُ[2] ؟ وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَمْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالثَّرْوَةِ الْوَافِرَةِ ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إلَيَّ ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَيَّ ، وَبَيْنَ آخَرَ قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ ، وَنَزَحَتْ بِيرُهُ ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ ضُرَاطُهُ[3] ؟

وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إلاَّ الْحَشَفُ وَسُوءُ الْكِيلَةِ[4] ؟ وَيَقْتَرِنُ لِيَ بِكَ

= والمعنى : هبك أحرزت جميع الفضائل منهم ، ألست متزوجا ؟ وكيف أنصرف عن عزب إلى متزوج ؟

(١) العزب : غير المتزوج ؛ خالي الذراع : كناية عن أنه متحرر لا تتعلق به زوجة ..

(٢) في سرح العيون « ممن لا غلب إلا على الأقل . . . » وقد آثرنا رواية المجموعة الأدبية ونهاية الأرب ؛ والمعنى : كيف أوازن بين زوج أنفرد به ، وآخر لا أنال منه إلا فضلة غيرى من الزوجات ؟

(٣) في نهاية الأرب « قد نزحت بيره ونضب غديره » ؛ نضب غديره : جف مجرى مائه ، نزحت بيره : لم يبق بها ماء ؛ والمعنى : كيف أنصرف عن الفتى الفتيّ المقصور عليّ وحدى إلى آخر مُسِنّ ذهبت حيويته وفتر نشاطه وبرّحت به العلل والأمراض ؟

(٤) الحشف : أردأ التمر ؛ الكيلة : اسم هيئة من الكيل ؛ « أحشفا وسوء كيلة ؟ » : مثل يضرب لمن يجمع بين خصلتين كريهتين « سوء البضاعة وتطفيف الكيل » ، وفي نهاية الأرب « وهل كان يجمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة ؟ » .

إلاَّ الغُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ[1] ؟

تَعَالَى اللهُ يَا سَلْمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ[2]

ما كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ[3] !! وَتَرْبَعَ [بِذلِكَ] عَلَى ظَلْعِكَ[4] !! وَلاَ تَسكُونَ بَرَاقِشَ الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا[5] ، وَعَنْزَ السُّوءِ الْمُسْتَثِيرَةَ

---

(١) « غدة كغدة البعير، وموتٌ فى بيت سلولية !! » مثلٌ يضرب فى خصلتين تجتمعان وكل منهما شرٌّ من الأخرى ؛ وسببه: أن عامر بن الطفيل وفد على النبى ﷺ، فقال : يا محمد ما لى إن أسلمت ؟ قال ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم ؛ قال تجعل لى الأمر بعدك ؛ قال لا ليس ذاك ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء ، قال فتجعلنى على الوبر وأنت على المدر ؛ قال لا ؛ فقال عامر وهو منصرف : والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْداً وفتيانا مُرْداً ، فدعا عليه النبىّ ﷺ ؛ وعاد عامر ونزل فى بيت امرأة من سلول، فلما أصبح ظهرت له غدة كغدة البعير، فلما أحس الموت ، قال : « غُدَّةٌ كغدة البعير وموتٌ فى بيت سلولية !! » فصارت مثلا لاقتران المرض بالذل والهوان .

(٢) البيت لأبى العتاهية يخاطب به سلم بن عمرو، ويليه هذا البيت :

هب الدنيـــا تصير إليك عفوا أليس مصير ذلك للزوال ؟

(٣) فى نهاية الأرب « ما كان أحقك بأن ... » وفى المجموعة الأدبية « ما كان أخلقك أن .. » ؛ ما أخلقك !! : ما أجدرك !! تقدر بذرعك : تقيس الأمر بجهدك قبل أن تتورط فيه ؛ الذرع : الجهد، ومنه ضاق فلان ذرعا ، وأصل الذرع بسط اليد كأنه جهد فى بسطها .

(٤) اربع : أقِمْ ، الظلع : الغمز فى المشى بما يشبه العرج ؛ « ارْبَعْ على ظلْعكَ » : مثلٌ يضرب لمن يكلف نفسه مالا يقدر عليه ؛ ومعناه : أقم على ضعفك وارفق بنفسك أو اسكت على ما فيك من عيب أو على قدر طاقتك ، وفى نهاية الأرب والمجموعة الأدبية « وتربع على ظلعك » .

(٥) فى سرح العيون « ولا تكـنْ براقشَ » ؛ « على أهلها تجنى براقش » . =

بظلفها لحتفها[1] ، فما أراكَ إلاّ قدْ سَقطَ العَشاء بكَ عَلى سِرحان[2] ، وَبِكَ لاَ بِظَبْي أعْفَرَ[3] ، قَدْ أعذرْتُ إنْ أغنيْتُ شيئاً ، وأسْمعْتُ لَوْ نادَيْتُ

= مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره إليه ، واختلفت الروايات فى سببه ، وأصحها : أن براقش كلبة لقوم من العرب أغير عليهم فهربوا ، ومعهم كلبتهم براقش ، فاتبع المغيرون آثارهم مستدلين بنباح الكلبة حتى أدركوهم فأوقعوا بهم ، قال حمزة بن بيض :

لم تكنْ عن جناية لحقتْنى   لا يسارى ولا يمينى رمتْنى

بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ   وعلى أهلها براقش تجنى

(١) فى نهاية الأرب والمجموعة الأدبية : «وعنز السوء المستثيرة لحتفها» ؛ ومن الأمثال «الباحثة عن حتفها بظلفها» ؛ وهو مثل يضرب لمن يعين على الإضرار بنفسه ، وسببه أن رجلا أراد ذبح عنز فلم يجد سكينا ، فبينما هو يتطلبها إذ بحثت العنزُ بظلفها فاستثارتْ سكينا فذبحها بها .

(٢) «سقط العشاء به على سرحان» : مثل يضرب لمن أراد غنيمة فقادته إلى نكبة ؛ والسرحان : الذئب ، ومثله «سقط العشاء به على متقمر» والمتقمر : الأسد يطلب الصيد فى القمراء ؛ والمعنى : أراد أن يتعشى فخرج طالبا عشاءه فقادته قدماه إلى ذئب افترسه أو أسد بطش به ، وقال ابن الأعرابى : سببه أن سرحان بن هزلة كان بطلا فاتكا يهابه الناس ، فاندفع رجل بإبله يطلب الرعى فى وادى سرحان ، فهجم عليه سرحان فقتله وأخذ إبله ، وقال :

أبلغْ نصيحة أن راعىَّ أهلها   سقط العشاءُ به على سِرْحان

سقط العشاء به على متقمر   طلق اليدين معاود اطعان

فى سرح العيون والمجموعة الأدبية «فما أراك إلا سقط بك العشاء على سرحان» وفى نهاية الأرب «إلا قد سقط العشاء بك على السرحان» .

(٣) «بك لا بظبي أعفر» : مثل يضرب عنــــد الشماته ، أى نزل بك =

حيًّا(١) ، [وَقَرَعْتُ عَصَا الْعِتَابِ ، وَحَذَّرْتُ سُوءَ الْعِقَابِ](٢) :

إنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ وَالشيْء تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي (٣)

وَإِنْ بَادَرْتَ بِالنَّدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلاَمَةِ ، كُنْتَ قَدْ

= المكروه ونجا منه الظبي ؛ الأعفر الذي لونه مثل التراب ؛ قاله الفرزدق حينما بلغه نعيُ زياد ابن أبيه :

أقول له — لما أتانى نعيُّه — : به لا بظبي فى الصريمة أعفرا

(١) المعنى : لقد أبلغت فى عذرك لو سمعت نصيحتى ! وأسمعتك إن كانت بك حياة ! قال دريد بن الصمة :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادى !

ولو نار نفختَ بها أضاءتْ ولكن أنت تنفخ فى رماد

وفى سرح العيون « أعذرت إن أغنيت ... »

(٢) ما بين القوسين زيادة من نهاية الأرب ؛ والمعنى : لقد نبهتك بالعتاب قبل العقاب ، وحذرتك سوء العاقبة ؛ فلا عذر لك بعد الآن ..

(٣) « إن العصا قرعت لذى الحلم » : مثلٌ يُضربُ لمن يَنْتبِهُ إذا نُبِّهَ ، وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب ، أو قيس بن خالد ، أو عمرو بن حممة ، وقيل عمرو بن مالك ، وذلك أنه لما طعن فى السن أنكر من عقله شيئا ، فقال لبنيه : إذا رأيتمونى خرجت من كلامى وأخذت فى غيره فاقرعوا لى المجنَّ بالعصا ، وكان إذا فعلوا تنبه وعاد إلى صوابه وإليه أشار الحارث بن وعلة فى قوله :

وزعمتمُ ألا حلومَ لنا إن العصا قُرِعَتْ لذى الحلم

وقال المتلمس :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعلما =

اشتريتَ العافيةَ لكَ بالعافيةِ منكَ[1] ، وَإنْ قُلْتَ : « جَعْجَعَةً ، وَلاَ طِحْنًا »[2] وَ « رُبَّ صَلَفٍ تحتَ الرَّاعِدَةِ[3] ، وأَنشدْتَ :

لاَ يُؤيِسَنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ ... قَوْلٌ تُغَلِّظُهُ وَإِنْ جَرَحَا[4]

فَعُدْتَ لِمَا نُهِيتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتَ مَا اسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ ، بِعْتُ مَن

= «الشيء تحقره وقد ينمى» : مثلٌ يضرب للأمر الصغير يكبر ويستشرى أمره ، قال الحارث بن وعلة — وقد قتل بعضُ سادات قومه أخاه — من أبيات :

لا تأمنَنْ قوما ظلمتهمُ ... وبدأتهم بالشتم والرغم

أن يأبروا نخـلا لغيرهم ... والشيء تحقره وقد ينمى

أى يستولوا على نخل غيرهم فيلقحوا طلعه التذكير من ذكوره إلى الإناث

(١) المعنى : إذا ندمت على ما فرط منك ولمت نفسك على ما قدمت من إساءات فإنك بهذا تشترى نجاة نفسك بأن تعفينا من الحاحك والحافك ..

(٢) الجعجعة : صوت الرحى ؛ الطحن : الدقيق ؛ «جعجعةً ولا طِحناً» مثـل يضرب لمن يعد أو يتوعد ولا يستطيع الوفاء ، وروى : «أسمع جعجعةً ، ولا أرى طِحناً» .

(٣) السحاب الصلف : كثير الرعد قليل الماء ، وفى المثل «رُبَّ صلف تحت الراعدة» يضرب لمن يتوعد ثم لا يقدر على التنفيذ ؛ أو للبخيل الغنى ؛ أو لمن يكثر الافتخار بلا طائل .

(٤) البيت لبشار بن برد ؛ ومعناه : لا تيأس من الوصول إلى قلب امرأة عجيبة وإن أغلظت لك القال ؛ وبعده : —

عسرُ النساءِ إلى مُياسرةٍ ... والصعبُ يُركبُ بعدما جمحا

يُزْعِجكَ إلَى الْخَضْرَاء دَفْعاً ، وَيَسْتَحِثكَ نَحْوَهَا وَكْزاً وَصَفْعاً[1] .
فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبِثَ أكَّارُوهَا بِكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ[2] ،
فَمِنْ قَرْعَةٍ مُعْوَجَّةٍ تَقُوَّمُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُجْلَةٍ مُنْتِنَةٍ يُرْمَى بِهَا
تَحْتَ خُصَاكَ[3] ، [ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ[4]] ، لِتَذُوقَ وَبَالَ

---

(١) استصفى : طلب العفو ؛ الخضراء : المزرعة أو اسم ضيعة ؛ استحث الفارس جواده : صاح به أو خبطه برجل أو ضرب ؛ الوكز : الدفع وهو ضرب الظهر ، وقيل : الضرب بجمع اليد على الذقن أو الظهر ؛ الصفع : الضرب بيد مبسوطة على القفا أو البدن ، وإذا كانت الكف مقبوضة لا يسمى صفعا ؛ والمعنى : إذا عدتَ إلى وقاحتك وتبجحك وادعائك بعثت إليك من يسوقك إلى الخضراء ، ويدفعك بالضرب والصفع المتوالى .

(٢) فى نهاية الأرب « صرت بها » ؛ الأكارون : الفلاحون جمع أكار ؛ النواطير : جمع ناطور وهو حافظ الكرم والنخل ، قال المتنبى فى هجاء كافور :

نامتْ نواطيرُ مصر عن ثعالبها فقد بشمنَ ، وما تفنى العناقيدُ

والمعنى : إذا صرت إلى هـذه الزرعة انقضّ عليك فلاحوها وحراسها فأذاقوك الوبال .

(٣) المعنى : ينالك الفلاحون والحراس بالضرب والتنكيل فيضربك أحدهم بالقرعة المعوجة فى قفاك حتى تستقيم (وهى لاتستقيم أبدا) ، ويدخل آخـر الفجلة فى دبرك ، حتى يشهروا بك كل تشهير .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نهاية الأرب ؛ والمعنى : ذلك بسبب فعالك ؛ والعرب تقول : هـذا ما كسبت يداك ، أى فعلتاه وإن لم تكن اليد هى الفاعلة ، قال تعالى : « ذلك بما قدمت يداك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

أمْرِكَ[1] ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ[2] :

فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى[3]

---

(١) في نهاية الأرب « لكي تذوق ... » ؛ الوبال : سوء العاقبة ، قال تعالى : — في شأن من قتل الصيد وهو مُحْرِم - « ليذوق وبال أمره ».

(٢) وترى ميزان قدرك أي تعرف مكانك فلا تتعداه

(٣) البيت للمتنبي في هجاء كافور ، وقبله :

وأسود مشفرهُ نصفُه يقال له : أنت بدر الدُّجى

فما كان ذلك مَدْحاً له ولكنه كان هجو الورى

ومن جهلتْ نفسُه قَدْرَه رأى غيرُه منه مالا يرى

٢ ـ الرسالة الجدية
لابن زيدون

الرسالة الجدية

كتب الشاعر هذه الرسالة من سجنه إلى أبي الحـــزم ابن جهور[1] .

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وِدَادِي لَهُ ، وَاعْتِمَادِي عَلَيْهِ ، وَاعْتِدَادِي بِهِ[2] ، [وَامْتِدَادِي مِنْهُ][3] ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللهُ تَعَالَى[4] مَاضِيَ حَدِّ الْعَزْمِ وَارِيَ

---

(١) يظهر أن هــذه الرسالة وصلت إلينا غير كاملة ، بدليل عبــارة ابن بسام فى الذخيرة : « وله من رقعة خاطب بها ابن جهور من موضع اعتقاله » وبدليل قوله فى ثنايا الرسالة : « وفى فصل منها » . وقد اعتمدنا فى تحقيق الرسالة على الجزء الأول من الذخيرة لابن بسّام ص٢٩٢ — ٢٩٧ ؛ كما اعتمدنا على الجزء السابع من نهاية الأرب للنويرى ص ٢٩٠ — ٣٠٢ ؛ وعلى تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون للصفدى ؛ وعلى الجزء الثانى من المواهب الفتحية للشيخ حمزه فتح الله ص ١٧١ ـ ٢٠٥ .

وقد ذكر الصفدى — فى تمام المتون عند شرحه عبارة « وتأوّلتُ فى بيعة العقبة » — هذا النص : « هكذا قاله بن زيدون ، وهكذا أثبته ابن بسام عنه فى الذخيرة ؛ وكذا نقلته من خط على بن ظافر رحمه الله فى كتاب نفائس الذخيرة له » .

(٢) فى الذخيرة ونهاية الأرب « واعتدادي به واعتمادي عليه » ؛ المولى : ابن العم أو الحليف أو المنعم او المنعَم أو العتيق

(٣) هذه العبارة زيادة فى تمام المتون والمواهب الفتحية

(٤) فى الذخيرة ونهاية الأرب « واعتمادي عليه ؛ أبقاك الله ماضى حد العزم »

زَنْدِ الأَمَلِ[1] ، ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ ؛ إِنْ سَلَبْتَنِي ـ أَعَزَّكَ اللهُ ـ لِبَاسَ إِنْعَامِكَ[2] ، وَعَطَّلْتَنِي مِنْ حَلْيِ إِينَاسِكَ[3] [وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ إِسْعَافِكَ[4] ، وَنَفَضْتَ بِي كَفَّ حِيَاطَتِكَ[5]] ، وَغَضَضْتَ عَنِّي طَرْفَ حِمَايَتِكَ[6] ... بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ، وَسَمِعَ الأَصَمُّ ثَنَائِي عَلَيْكَ[7] ، وَحَسَّ الجَمَادُ بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ[8] ـ فَلاَ غَرْوَ[9] فَقَدْ يَغَصُّ

(١) ورى الزند : خرجت ناره عند قدحه ، والمعنى : جمل الله أملك مهيئاً ممهداً .

(٢) فى المواهب الفتحية « لباس نعمائك » .

(٣) المعنى : إن سلبتنى الستر الذى أسدلته على وانتزعت منى ما حليتنى به من أنسك وإقبالك (فلا عجب فى هذا فقد يغص بالماء شاربه ..)

(٤) البرود : البارد ؛ الإسعاف : الإنجاد .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ النفض : الطرح ؛ الحياطة : الإحاطة بالشىء ؛ المعنى : أعطشتنى إلى برد إغاثتك ونفضت منى كف رعايتك .

(٦) غض طرفه : خفض بصره ؛ الحماية : الوقاية ؛ المعنى : صرفت عنى بصرك ، وتركت وقايتى ، فصرت عرضة للمصائب والآلام .

(٧) المعنى : لقد أبصر تأميلى لك كل إنسان حتى الأعمى ، وسمع به كل امرىء حتى الأصم ، يشير بهذا إلى قول المتنبى :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

(٨) فى الذخيرة « بإسنادى إليك » وكذلك فى رواية لتمام المتون ، وفى رواية أخرى فيه وكذلك فى المواهب الفتحية « باستحمادى إليك » ، وقد آثرنا رواية نهاية الأرب . (٩) لا غرو : لا عجب .

بِالْمَاءِ شَارِبُهُ (١) ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاءُ الْمُسْتَشْفِيَ بِهِ ، وَيُؤْتَى الْحَذِرُ مِنْ مَأْمَنِهِ (٢) ، [وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي فِي أُمْنِيَّتِهِ (٣) ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الْحَرِيصِ (٤) :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهُونُ ، غَيْرَ شَمَاتَةِ الْحُسَّادِ (٥)]

---

(١) في الذخيرة « فقد يغص » ، و« قد » هنا للتقليل مثل قولهم : قد يصدق الكذوب ، وقد ينبو الحسام ، وقد يبخل الجواد ؛ والمعنى : إن الماء الذي يزيل الغصة قد يكون هو سببا للغصة ، قال الشاعر :

من غصّ داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء؟

(٢) المعنى : ربما قتل الدواء المريض ، وأصيب المحترس من الجهة التي كان يطمئن إليها .

(٣) المنية : الموت ؛ الأمنية : الأمل ، قال أبو العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر

استمده من قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

(٤) الحين : الموت ، قال عدى بن زيد :

قد يدرك المبطىء من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص

(٥) ما بين القوسين لم يرد بالذخيرة ؛ والبيت لم يرد في نهاية الأرب ، وهو لعبد الله بن محمد بن أبي عتبة الهاشمي يعاتب ذا اليمينين من أبيات يقول فيها :

من مبلغٌ عنّي الأميرَ رسالةً محصورةً عندي من الإنشادِ؟

وأظن لي منها لديك خبيئة ستكون عند الزاد آخر زاد =

وَإِنِّي لَأَتَجَلَّدُ ، [وَأُرِي الشَّامِتِينَ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَعُ[1]]؛ فَأَقُولُ : هَلْ أَنَا إِلاَّ يَدٌ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا[2] ؟ وَجَبِينٌ عَضَّ بِهِ إِكْلِيلُهُ[3] ؟ وَمَشْرَفِيٌّ أَلْصَقَهُ بِالأَرْضِ صَاقِلُهُ[4] ، وَسَمْهَرِيٌّ عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ[5] ؟

= مالى أرى أمرى لديك كأنه — من ثقله — طود من الأطواد ؟

كل المصائب قد تمر على الفتى — وتهون ، غير شماتة الحساد

(١) ما بين القوسين ناقص من الذخيرة ، وفى نهاية الأرب « وإنى لأتجلد. وأرى الشامتين أنى لا أتضعضع ، وأقول . . . » ؛ وهو مقتبس من بيت لأبى ذؤيب الهذلى فى قصيدة رثى بها أولاده :

وتجلدى للشامتين أريهمو — أنى لريب الدهر لا أتضعضع

والبيت من قصيدة طويلة أوردها صاحب جمهرة أشعار العرب مطلعها :

أمن المنون وريبها تتوجع ؟ — والدهر ليس بمعتب من يجزع

(٢) المعنى : إذا آلمنى الأمير بعقابه فقد زانني بإنعامه ؛ فإساءته ناجمة عن إحسانه ، كاليد التى يدميها السوار ؛ وهو معنى مأخوذ من المتنبي حيث يقول :

بنو كعب وما أثرت فيهم — يد لم يدمها إلا السوار

لها من قطعه ألم ونقص — وفيها من جلالته افتخار

(٣) فى الذخيرة وبعض نسخ نهاية الأرب « عضه إكليله » ، الإكليل : التاج أو عصابة للرأس مكللة باللؤلؤ .

(٤) مشرفى : سيف منسوب إلى مشارف (نسبة غير قياسية) وهى قرى باليمن مشهورة بصناعة السيوف الجيدة ؛ الصاقل : الحداد الذى يجلو السيوف .

(٥) السمهرى : الرمح الصلب ، أو منسوب إلى سمهر وهو رجل اشتهر بتقويم الرماح ؛ والتثقيف : التقويم .

[وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِى يَزُولُ

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا ، وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ][1]

هَذَا الْعَتْبُ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ[2] ، وَهٰذِهِ النَّبْوَةُ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِى[3] ،

وَهٰذِهِ النَّكْبَةُ سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ[4] ، [وَلَنْ يَرِيبَنِى مِنْ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ؛ الازدجار : الارتداع ؛ والبيت من قصيدة لأبى تمام فى مدح مالك بن طوق مطلعها :

أرض مصردة وأخـرى تثجم منها التى رزقت، وأخرى تحـرم

(٢) فى الذخيرة ونهاية الأرب « والعتب محـمود عواقبه ، والنبوة ... والنـكبة ... » ؛ العواقب : جمع عاقبة ، وهى آخر كل شىء ؛ وقد أخذ هـذه العبارة من قول المتنبى :

لعل عتبك محـمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

(٣) النبوة : البعد أو الجفوة ؛ الغمرة : الشدة الشديدة ؛ تنجلى : تذهب وتنكشف ، ومن الأمثال « غمرات ثم ينجلين » ومنه قول الراجز :

الغمرات ثم ينجلين .·. عنّا ، وينزلن بآخرين .·. شدائد يتبعهن لين

وقال شرف الدين المبارك :

وما هى إلا غمـرة ثم تنجلى سريعا ، وإلا نبوة تتصرم

(٤) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب ، وفى تمـــام المتون « عن قليل تَقَشَّعُ » ؛ تقشعت السحابة : أقلعت ، قال ابن الخياط :

سحابة بر آن منها انقشاعها وأيكة مجد حان منها ذبولها

سَيِّدِي أنْ أبْطَأَ سَحَابُهُ[1] ، أوْ تأخَّرَ - غَيْرَ ضَنِين - عَنَاؤُهُ[2] ، فأبْطَأُ الدِّلاءِ فَيْضًا أمْلَؤُها[3] وَأثْقَلُ السَّحَائِبِ مَشْيًا أحْفَلُها[4] وَأنْفَعُ الحَيَا مَا صَادَفَ جَدْبًا[5] ، وَألَذُّ الشَّرَابِ مَا أصَابَ غَلِيلاً[6] ، وَمَعَ اليَوْمِ غَدٌ[7] .

(١) فى رواية لثمار المتون « أن أبطأ سقيُه » ؛ يريبنى : يحملنى على الشك والارتياب .

(٢) ضنين : بخيل ؛ غناؤه : نفعه .

(٣) من الأمثال « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » ، قال ابن المعتز :

قلت : - وقد صاح رافعا يده - دعوا البرايا فالله يكلؤها

واستيقنوا بالدواء منه ، كما أبطأ وفر الدلاء أملؤها

(٤) أحفلها : أكثرها امتلاءً ، قال المتنبي :

ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب فى المسير الجهام

(٥) الحيا : المطر ، الجدب : القفر ، وشبيه به قول ابن حيوس :

وإن ألذ القرب ما قبله نوى وأحلى وصال ما تقدمه صد

(٦) الغليل : العطش ، ومنه قول كشاجم :

هذا الشراب أخو الحياة ، وماله من لذة حتى يصيب غليلا

(٧) من الأمثال « إن مع اليوم غدا » : أى إن الحالات تتغير ، والدول تتقلب . قال ابن طباطبا العلوى :

يا من يخاف أن يكو ن - ما يكون - سرمدا

أما سمعت قولهم : إن مع اليوم غدا ؟

وَلِـكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ[1]

لَهُ الحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ[2] وَلاَ عَتْبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ[3]] :

فَإِنْ يَـكُنِ الفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا ... فَأَفْعَالُهُ اللاَّئِي سَرَرْنَ أُلُوفُ[4]

* * *

---

(١) الأجل : المدة ، والجملة مقتبسة من الآية الـكريمة « وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله ، لـكل أجل كتاب » ومعناها : لـكل أجل كتاب أثبته الله فيه لا يتقدم عنه ولا يتأخر ، قال تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

(٢) الاهتبال : الاغتنام والاحتيال ، أو الثكل ، أو الفرصة ، أو القصاص ، وفى الحديث « من اهتبل جوعة مؤمن كان له كيت وكيت » أى تحينها واغتنمها ؛ واهتبل وتهبل : تكسب ، والهبال : الـكاسب المحتال ؛ والمعنى : للأمير الحمد على ما أغنمنى إياه .

(٣) ورد ما بين القوسين فى الذخيرة ونهاية الأرب كما يأتى : « عن قريب تقشع ، وسيدى إن أبطأ معذور ؛ فإن يكن الفعل .. » الإغفال : الترك والإهمال ، وقريب من هذا قول البهاء زهير :

ومن شغفى فيكم ووجدىَ أننى ... أهوّن ما ألقاه وهو هوان

ويحسن قبحُ الفعل إن جاء منكمُ ... كما طاب ريح العود وهو دخان

(٤) هذا البيت للمتنبى من أبيات يعاتب فيها أبا العشائر على أن أغرى غلامه فرماه بنبله قائلا : خذها وأنا غلام أبى العشائر ، فقال المتنبى :

ومنتسبٍ عنـدى إلى من أحبه ... وللنبل حولى من يديه حفيف

فهيج من شوقى ، وما من مذلة ... حننت ، ولـكن الـكريم ألوف

فإن يكن الفعل الذى ساء واحدا ... فأفعاله اللائى سررن ألوف

وَأَعُودُ فَأَقُولُ :(١)

[مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعْهُ عَفْوُكَ ؟ وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ ؟ وَالتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ(٢) ؟ وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ احْتِمَالُكَ ؟(٣) وَلاَ أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئاً فَأَيْنَ الْعَدْلُ ؟ أَوْ مُسِيئاً فَأَيْنَ الْفَضْلُ(٤) ؟

إِلاَّ يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ ... أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ(٥)

---

(١) فى الذخيرة بدل هـذه العبارة « وليت شعرى ما الذنب ..؟ » ؛ وفى نهاية الأرب « فليت شعرى ما الذنب ..؟ »

(٢) التطاول والاستطالة : الترفع والتكبر ؛ وفى الحديث « أربى الربا الاستطالة فى عرض الناس » أى استحقارهم والترفع عليهم والوقيعة فيهم ، التطول : التفضل والاحسان .

(٣) التحامل : التكلف على مشقة ، وتحامل على نفسه : تكلف الأمر على مشقة ، والتكلف أيضا : الميل ، يقال : تحامل عليه أى مال عليه ؛ الاحتمال : العفو والإغضاء .

(٤) فى إحدى روايات تمام التنون « بَرِيئاً فأين عدلك ؟ أو مُسِيئاً فأين فضلك ؟ » .

(٥) البيت للبحترى فى مدح الخليفة المتوكل وعتابه من قصيدة مطلعها :

شوق إليك تفيض منه الأدمع ... وجوى عليك تضيق عنه الأضلع

حَنَانَيْكَ(1) ! ! قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى(2) ، وَنَالَنِي مَا حَسْبِي بِهِ(3) ! !
وَكَفَى ! !](4) وَمَا أَرَانِي إِلاَّ لَوْ [أَنِّى](5) أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ
فَأَبَيْتُ [وَاسْتَكْبَرْتُ(6)] ، وَقَالَ لِي نُوحٌ : « ارْكَبْ مَعَنَا »
فَقُلْتُ : « سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ(7) » وَأُمِرْتُ بِبِنَاءِ

---

(1) حنانيك ! ! وال حنانك ورحمتك حناناً بعد حنان ، قال طرفه بن العبد للنعمان بن المنذر :

أبا منذر أفنيت ! ! فاستبق بعضنا   حنانيك ! بعض الشر أهون من بعض

(2) الزبى : جمع زبية وهى حفرة تتخذ لصيد الأسود وتختار فى مكان مرتفع لا يعلوه الماء ، فإذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا ؛ وهذا مثل يضرب لكل ما تجاوز الحد .

(3) المعنى : لقد أصابنى ما فيه كفاية لى من الآلام .

(4) ورد ما بين القوسين فى الذخيرة ونهاية الأرب على الصورة الآتية :

« ما الذنب الذى أذنبت ولم يسعه العفو ؟ ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين العدل ؟ أو مسيئا فأين الفضل ؟ » .

(5) زيادة عن تمام المتون والمواهب الفتحية .

(6) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ؛ أخذ الشاعر يعدد كبار الذنوب ، ويقول : لو أنى ارتكبتها جميعا لكفانى ما نالنى من عقابك ؛ وكان أولى به أن يعدد مواقف الصفح ويشيد بمواقف الحلماء ؛ وقد ابتدأ بذكر إبليس وتكبره عن السجود لآدم عصيانا منه لأمر الله ..

(7) أشار إلى قصة سيدنا نوح عليه السلام وطلبه من ابنه الجاحد أن =

الصَّرْحِ(١) لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى(٢)] ، وَتَكَلَّفْتُ عَلَى الْعِجْلِ(٣) ، وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ(٤) ، وَتَعَاطَيْتُ فَعَقَرْتُ(٥) ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ النَّهَرِ

= ركب معه فى السفينة لينجو من الطوفان فرفض وقال : «سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء» فقال له أبوه : «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين»!« سورة هود آية ٤٢ ، ٤٣ »

(١) الصرح : القصر أو كل بناء عال ، يشير إلى قصة فرعون وطلبه من وزيره هامان بناء صرح عال كما ورد فى الآية الكريمة «وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا» سورة غافر : ٣٦ : ٣٧ .

(٢) ما بين القوسين «وقال لى نوح .. إله موسى» ساقط من الذخيرة .

(٣) إشارة إلى العجل الذى صنعه السامرى لبنى إسرائيل فعبدوه من دون الله ولم ينتظروا رجوع موسى عليه السلام من المناجاة «راجع قصته فى سورة الأعراف ١٤٨ — ١٥٢ ، وسورة طه : ٨٣ — ٩٨ »

(٤) إشارة إلى تحريم الصيد على بنى إسرائيل يوم السبت وعصيانهم لهذا الأمر وانتقام الله منهم «سورة الأعراف : ١٦٣ » .

(٥) تعاطى : قام على أطراف أصابع رجليه ، ثم رفع يده متهيأ للضرب أو الطعن ؛ عقر : جرح ، وعقر البعير : ضرب قوائمه بالسيف أو ذبحه ؛ إشارة إلى قصة الناقة التى خلقها الله من الصخر معجزة لنبيه صالح عليه السلام فعقرها أحد الطغاة من قومه ثمود «سورة القمر : ٢٧ — ٣٠ ، وسورة الشمس : ١١ — ١٥ » . وقد وردت هذه العبارة فى نهاية الأرب قبل قوله «وأمرت ببناء الصرح ... »

الَّذِي انتَلَى بِهِ جُنُـودُ طالُوتَ (١) ، وَوُلِدْتُ الفِيـلَ لِإِبْرَهَةَ (٢) ، وَعاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى ما فِي الصَّحِيفةِ (٣) ، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ العَقَبَةِ (٤) ،

---

(١) في الذخيرة « وشربت من النهر » ؛ وفي بعض نسخ تمام المتون « جيوش طالوت » وكذلك في المواهب الفتحية ، وقد آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب وما صح من تمام المتون مسايرة للفظ القرآن الكريم ؛ والإشارة هنا إلى أن الله بعث طالوت ملكا لبني إسرائيل لينتقم من عدوهم الطاغية جالوت ، وقد أوصى طالوت جنده ألا يشربوا من النهر فعصى معظمهم أمره «فشربوا منه إلا قليلا منهم » سورة البقرة : ٢٤٦ — ٢٥٢ »

(٢) إشارة إلى قصة إبرهة وتجهيزه جيشا لهدم الكعبة يقدمه فيل ضخم ؛ فلما وصل إلى مكة شتت اللهُ شمل الحبش وحطم جنوده فرجع مهزما مكسورا « سورة الفيل » وفي الذخيرة « وتلدت لإبرهة الفيل » .

(٣) لما رأى مشركو مكة انتشار الإسلام وإيمان عمر بن الخطاب وغيره من الأشراف به اجتمعوا وتعاهدوا على ألا يعقدوا صهرا مع بني هاشم ولا يتجروا معهم ، وكتبوا هذا العهد في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شِعْب أبي طالب وظلوا كذلك سنتين أو ثلاثا حتى أجهدهم الضيق ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرا يستخفي به من أراد صلتهم من قريش ؛ حتى نقض الصحيفة نفر من عقلاء قريش .

(٤) إشارة إلى بيعة الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة التي بين مكة ومنى ، وهي ثلاث بيعات : بايعه في الأولى ستة من الأوس ، وفي الثانية اثنا عشر منهم الستة الذين بايعوه أولا ، وفي الثالثة سبعون وامرأتان ؛ وروى الصفدي أن الذين بايعوه أخيرا ثلاثة وتسعون وامرأتان ؛ قال الصفدي : « لم أقف مما علمته على أن أحدا من أهل العلم بالسير تأول في بيعة من البيعات أو صدر منه بعد المبايعة فعل يخالف قوله » ثم أوّل كلام ابن زيدون بأن مراده : لو حدث أن أحدا نقض البيعة متأولا ونقضتها مثله مقترفا هذه الكبيرة ... (لكان فيما نالني من العقاب ما يكفي) .

وَنَفَرْتُ إلَى الْعِيرِ بِبَدْرٍ[1]، وَانْخَذَلْتُ بِثُلُثِ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ[2]، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ[3]، [وَجِئْتُ بِالإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ[4]]،

(١) يشير إلى غزوة بدر الكبرى ، فقد علم أبو سفيان زعيم المشركين أن المسلمين سيتعرضون لقافلته التجارية أثناء عودته من الشام ، فخالف الطريق المعهود ، وأرسل إلى قريش بمكة يستنفرهم إلى إنقاذ أموالهم ، فنفروا سراعا والتحموا مع المسلمين فى موقعة بدر الكبرى ونصر الله الإسلام ؛ العير : الإبل التى تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة .

(٢) أحد : جبل يقع شمال المدينة التحم عنده المسلمون بالمشركين فقتل من المسلمين حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم وكثير من أبطالهم ، وانخذل عن المسلمين عبدُ الله بن أبيّ بن سلول — رأس المنافقين بالمدينة — بثلث الناس، وترك النبىّ وأصحابه فى الميدان .

(٣) ما كاد المسلمون يضعون سلاحهم بعد غزوة الخندق حتى أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالنهوض لغزو بنى قريظة قائلا : « لا يصلّيَنّ أحد منكم العصرَ إلا فى بنى قريظة» فنفروا إليها؛ وأدركتهم العصر بالطريق فصلاها بعضهم فهماً منه لأمر النبى ﷺ بأن القصد منه السرعة، وأخّرها الباقون حتى فات وقتها امتثالا لنص الأمر الكريم ، فلم يعنّف رسول الله ﷺ أحدا منهم ، فلا وجه لابن زيدون فى عدّ التخلف من الذنوب ؛ وفى الذخيرة « وتخلفت عن صلاتى ...» .

(٤) لم ترد هذه الجملة فى الذخيرة ، ولم ترد كلمة « الصديقية» فى نهاية الأرب ؛ وملخص حديث الإفك أن النبى ﷺ قفل من غزوة بنى المصطلق ، وكانت السيدة عائشة أم المؤمنين معه ، فتخلفت فى مر . . بالطريق تلتمس عقداً انفرط منها ، ثم أدركها صفوان بن المعطل السلمى فأركبها بعيره ولحق بها الجيش ، فأطلق المنافقون ألسنتهم فيهما بَغْياً وبُهتانا حتى نزل القرآن الكريم ببراءتهما « سورة النور : ١١ — ٢٦ » .

وَأَنِفْتُ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ(١)، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً(٢)، وَرَوَّيْتُ رُمْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ(٣)، [وَمَزَّقْتُ الأَدِيمَ الَّذِي بَارَكْتُ

(١) فى نهاية الأرب « وأبيتُ من إمارة أسامة » ؛ يشير إلى أن النبى ﷺ أعد جيشا لغزو الروم وأمّر عليه أسامة بن زيد بن حارثة ، وكان فى هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين مثل أبى بكر وعمر وأبى عبيدة ... فانتقد جماعة إمرة أسامة على هذا الجيش وفيه أمثال هؤلاء ، وهو شاب لم يبلغ سبع عشرة سنة . وبخاصة أن أباه من الموالى أعتقه رسول الله ﷺ ؛ فلما بلغ النبىَّ هذا النقدُ غضب غضباً شديدا ، وكان مريضا فخرج من بيته ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ؟ ولئن طعنتم فى تأميرى أسامة لقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله ، وايم الله إنه كان لخليقا بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها » فأذعن الجميع ؛ وتوفى النبى ﷺ فأمضى أبو بكر إنفاذ هذا الجيش بقيادة أسامة ؛ وللنبى ﷺ حِكَمٌ فى هذه الإمارة منها تشجيع الشباب وتأهيله لمهامّ الأمور ، ومنها المساواة بين السادة والموالى ، ومنها أن يأخذ أسامة بثأر أبيه من الروم ، فضلا عن أن أسامة بهذه الإمارة جدير .

(٢) فى الذخيرة « وزعمتُ أن خلافة الصديق فلتة » وفى نهاية الأرب « أن خلافة أبى بكر كانت فلتة » وقد وردت هذه الجملة فى خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما بلغه أن ناسا يقولون : لو مات أمير المؤمنين لنبايعنّ فلانا ، فقال من خطبة طويلة : « ... وقد بلغنى أن قائلا يقول: لو مات عمر بايعتُ فلانا : فلا يغترّنّ امرؤ منكم أن يقول : كانت بيعة أبى بكر فلتة ، وليس فيكم من تَقَطَّعُ دونه الأعناق مثل أبى بكر وإنه كان من خيرنا ... » .

(٣) كان أبو شجرة السلمى من فُتّاك العرب جمع قومه والمرتدّين من العرب لقتال خالد بن الوليد بعد قضائه على المرتدين من بنى حنيفة ، وقال فى هذا :

وروّيتُ رمحى من كتيبة خالد وإنى لأرجو بعد أن أتعمّرا =

يَدُ اللهِ فِيهِ [(1)]، وَضَحَّيْتُ بِالأَشْمَطِ الَّذِي عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ [(2)] [و بدلت اقطام]

ثَلاثَةَ آلافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمَّمِ [(3)]

= وعارضتها شهباء تخطر بالقنا ترى البيض فى حافاتها والسَّنَوَّرا

السَّنَوَّر : لبوس من الجلد كالدرع، أو جملة السلاح ؛ ثم أسلم أبو شجرة بعد هذا.

(1) لم ترد هذه الجملة بالذخيرة ؛ وفى تمام المتون « باركت يد الله عليه » ؛ الأديم : الجلد ؛ يشير إلى فتك أبى لؤلؤة المجوسى بعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين طعنه بخنجره ، وقول الشماخ فيه :

جزى الله خيرا من إمام ، وباركتْ يدُ الله فى ذاك الأديم الممزَّقِ

(2) الأشمط : الذى فى شعره بياض يخالطه سواد ؛ عنوان السجود به : فى جبهته أثر من كثرة السجود، قال تعالى « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » والإشارة هنا إلى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وقول حسان فى رثائه :

ضَحَّوْا بأشمط عنوان السجود به يقطِّعُ الليلَ تسبيحا وقرآنا

لتسمعنَّ وشيكا فى ديارهمُ « الله أكبرُ، يا ثارات عثمانا !! »

(3) فى نهاية الأرب « بالحسام المخذَّم » أى المرهف القاطع : والإشارة هنا إلى مصرع الإمام علىّ رضى الله عنه بيد عبد الرحمن بن ملجم ، وكان قد تقدم لخطبة قطام فاشترطت عليه أن يبذل فى صداقها : ثلاثة آلاف وعبدا وجارية مغنية وقتل علىّ ، فقال :

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ وضربُ علىٍّ بالحسام المسمَّم

فلا مهر أغلى من علىٍّ ، وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

وقال لها : والله ما أتيتُ إلا لفتك به ، ولا أقدمنى هذا المصرَ غيرُ ذلك ؛ وعبد الرحمن بن ملجم أحد ثلاثة من الخوارج تآمروا على اغتيال على ومعاوية وعمرو بن العاص فأصاب الأولُ وأخفق الأخيران .

وكَتَبتُ إلى عمرَ بنِ سَعْدٍ: أنْ جَعْجِعْ بالحُسَيْنِ(١) وتَمثَّلتُ عِندَما بلَغَني مِنْ وَقْعةِ الحَرَّةِ(٢):

لَيْتَ أشْياخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ(٣)

(قَدْ قَتَلْنا القِرْنَ مِنْ أشْياخِهِمْ وَعَدَلْناهُ بِبَدْرٍ فاعْتَدَلْ)(٤)

(١) قاد عمرُ بن سعد بن أبى وقاص جيشا لقتال الحسين رضى الله عنه حين خرج إلى الكوفة بإشارة من أهلها ليبايعوه ، وقد سها ابن زيدون حيث جعل الرسالةَ مرسلةً إلى عمر بن سَعْد ، والحقيقة أن الرسالة كتبها عبيد الله ابن زياد إلى الحر بن يزيد التميمى الذى انتدبه لقتال الحسين يقول فيها :

« أما بعد فجعجعْ بالحسين حين يبلغك كتابى ، ويقدم عليك رسولى ، فلا تنزله إلا بالعراء ، فى غير حصن وعلى غير ماء ... » ؛ جعجعْ به : احبسه أو ضيِّق عليه .

(٢) حرّة واقم : إحدى حرّتَى المدينة وهى الشرقية ، وسبب الوقعة أن أهل المدينة ، ثاروا فى سنة ٦٣ هـ على يزيد بن معاوية وخلعوا بيعته وحاصروا بنى أمية بالمدينة ، فبعث إليهم يزيد بجيش يقوده مسلم بن عقبة ، فقتل عددا كبيرا من الرجال واستباح النساء والأموال ؛ ولهذا سُمِّى مسلمٌ مُسْرِفًا لشدة سرفه فى سفك الدماء ، وقد تمثل يزيد بالبيتين ، وهما من شعر عبد الله بن الزبعرى فى الفخر بانتصار المشركين على المسلمين فى أحد .

(٣) فى بعض نسخ تمام المتون « ليت أشياخى ببدر علموا » ، الأسل : الرماح

(٤) لم يرد هذا البيت فى صلب الرسالة إلا فى نهاية الأرب . القَرْنُ : السيد ، القِرن : كفؤك فى الشجاعة أو من يقاومك فى علم أو قتال أو غير ذلك ؛ والبيتان لعبد الله بن الزبعرى مفتخرا بانتصار قريش على المسلمين يوم أحد ، ورواية الشطر الأول من البيت الثانى فى سيرة ابن هشام « فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر ... » .

وَرَجَمْتُ الكَعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ العَائِذَ « بِهَا »[1] عَلَى الثَّنِيَّةِ[2]] لَكَانَ فِيمَا جَرَى عَلَيَّ مَا يُحْتَمَلُ أَنْ يُسَمَّى نَكَالاً ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى المَجَازِ - عِقَابًا :

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِامْرِىءٍ   تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا[3]

* * *

فَكَيْفَ[4] ؟ وَلاَ ذَنْبَ إِلاَّ نَمِيمَةٌ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ[5] ، [وَهُمُ الهَمَّازُونَ المَشَّاءُونَ بِنَمِيمٍ[6] . وَالوَاشُونَ الَّذِينَ

---

(١) زيادة عن نهاية الأرب .

(٢) ما بين القوسين لم يرد بالذخيرة ؛ والإشارة هنا إلى محاصرة الحجاج لمكة المكرمة أثناء ثورة عبد الله بن الزبير بها ، وقذفه المسجد الحرام بحجارة المنجنيق من فوق جبل أبى قبيس حتى تهدّم ، ثم قتله عبد الله بن الزبير وصلبه إياه على الثنيّة . وقد سُمّىَ عبد الله بن الزبير عائذاً لأنه عاذ ببيت الله الحرام .

(٣) المعنى : لو فعلت هذه الذنوب جميعها لكان ما وقع علىّ من العقاب كافيا بل كان فوق ما أستحق من جزاء ، وأصبح تنكيلا ، وحسبك من العقاب ما يثير رحمة الأعداء قبل الأولياء . والبيت للمتنبى ، وقيل لعبد الصمد بن المعذّل

(٤) المعنى : كيف أتعرض لهذا النكال ؟ وألاقى هذا العقاب ؟ مع أنى غير مذنب .

(٥) النميمة والنّميم : السعى بين الناس بالفتنة ونقل الأحاديث المثيرة الكاذبة للإيقاع والإغراء ؛ الكاشح : الذى يضمر العداء ؛ الفاسق : الخارج عن طاعة الله ؛ قال تعالى « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

(٦) الهمّازون : المغتابون الطعانون الذين يتناولون أعراض الناس بالتشهير ؛ النميم : النميمة وهى نقل الكلام السيء بقصد الوقيعة ؛ قال تعالى فى حق الوليد =

لاَ يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا (١) ، وَالْغُوَاةُ الَّذِينَ لاَ يَتْرُكُونَ أَدِيماً صَحِيحاً (٢) ، وَالسُّعَاةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْس (٣) ، فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الصِّدْقُ مَحْمُودٌ إِلاَّ مِنْهُمْ » (٤) .

= ابن المغيرة « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم... » ؛ وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام » .

(١) الصدع : الشق ؛ صدع العصا : تفريق الجماعة ، أو الخروج على جماعة المسلمين ، قال كثير عزة :

لعمر أبى الواشين لا عمر غيرهم   لقد كلفونى خطة لا أريدها
ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا   إذا هى لم يصلب على البرى عودها

(٢) الغواة : جمع غاو وهو الضال أو الخائب ؛ الأديم : الجلد ؛ كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج « والبيتان ينسبان إلى الإمام على » :

ولا تُفْشِ سرّك إلا إليك   فإنّ لكل نصيح نصيحا
فإنى رأيت غواة الرجا   ل لا يتركون أديما صحيحا

(٣) السعاة : جمع ساع وهو الماشى ، ثم غلب فى العرف على من يذكر الناس بالسوء ويسعى بينهم بالوقيعة ؛ الأحنف بن قيس : سيد من سادات تميم ضُرِبَ به المثل فى الحلم والسؤدد والحكمة ، ومن حكمه : رب غيظ قد تجرعته مخافةَ ما هو أشد منه ؛ ثلاث ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : لا أخلف جليسى بغير ما أحضره به ، ولا أدخل نفسى فيما لا مَدْخَل لى فيه ، ولا آتى السلطانَ أو يرسل إلى . وسأله معاوية يوما فى أمر بلغه عنه ، فأنكر الأحنف ، فقال معاوية : الثقة بلغنى ، فقال الأحنف : الثقة لا يبلغ .

(٤) المعنى : الصدق رأس الفضائل ، والكذب أسوأ الرذائل ، ولكن الصدق فى بعض المواطن وبال ؛ ولهذا يُسْتَحَبُّ الكذب فى الصلح بين متخاصمين ، أو فى الكيد للأعداء فى ميادين القتال ، أو فى دفع شر محقق عظيم النكال .

خَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ][1]

وَاللهِ مَا غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ[2]، وَلاَ انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاغِيَةِ،[3]

وَلاَ نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ التَّشَيُّعِ فِيكَ[4]، [وَلاَ أَزْمَعْتُ يَأْساً مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ

تَكَفَّلَتْ بِهِ الثِّقَةُ عَنْكَ[5]، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ][6]؛ فَفِيمَ

---

(١) البيت من قصيدة للنابغة الذبيانى يعتذر فيها للنعمان بن المنذر، ومعناه: لقد أقسمت لك على براءتى، فلم أدع لك مجالا للشك، وليس ثمت حكم نحتكم إليه بعد الله. وبعد هذا البيت بأبيات:

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنى خيانة لَمُبْلِغُكَ الواشى أغشُّ وأكذب

وما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب.

(٢) الغش: التدليس والتضليل؛ قال صلى الله عليه وسلم «من غشنا فليس منا».

(٣) الانحراف: الميل عن الشىء؛ الصاغية إلى الشىء: الميل إليه؛ قال تعالى: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما».

(٤) نصب له: عاداه؛ التشيّع: الميل إلى قوم والدخول فى أمرهم؛ والكاتب يقصد هنا: الناصبة وهم أعداء علىّ عليه السلام وأسرته من بعده، والشيعة وهم أنصاره وأنصار ذريته من بعده.

(٥) قال الخليـــل: أزمع فلانٌ على الأمر: ثبّت عزمه عليه، وقال الكسائى: يقال أزمعتُ الأمر ولا يقال أزمعت عليه؛ تكفل بشىء: ضمنه وتعهد بأدائه.

(٦) العهد: الموثق أو اليمين أو الوصية، قال تعالى: «وأوفوا بالعهد، إن العهد كان مسئولا»؛ وما بين القوسين لم يرد بالذخيرة ولا نهاية الأرب

عبث الجماء بأذمّتي(١)؟ وعاثَ العقوقُ في مودّتي(٢) ؟ ؛ وتمكّنَ الضياعُ مِن وسائلي ؟ ولِمَ ضاقَتْ مَذاهِبي ؟ وأكْدَتْ مَطالِبي(٣) ؟ وعلامَ رَضِيتُ مِنَ المركَبِ بالتَّعليقِ(٤) ؟ بَلْ مِنَ الغَنيمَةِ بالإيابِ ؟](٥) ، وأنَّى غَلَبَنِي المُغَلَّبُ ؟ وفَخَرَ عَلَيَّ العاجِزُ الضَّعيفُ(٦) ؟ وَلَطَمَنِي غَيْرُ ذاتِ

---

(١) العبث : اللعب أو اللهو أو الإفساد ؛ الأذمة : جمع ذمام وهو الحرمة وصلة المودة أو القربى .

(٢) فى الذخيرة ونهاية الأرب « وعاث فى مودتى » وفى تمام المتون « فى مَواتِّى » المواتّ : جمع ماتّة وهى الحرمة أوالوسيلة ؛ عاث : أفسد ؛ العقوق : كفران النعمة ومنه عقّ الولد أباه إذا جحد فضله وأساء جزاءه .

(٣) المذاهب : الطرُق ؛ أكدى : منع ، قال تعالى : « أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى » وأكدى الحافرُ : بلغ الكدية من الأرض فلم يستطع حفرها ، وأكدت الأرض : أبطأ نباتها ، وأكدى الرجل : قل خيره .

(٤) من الأمثال : « إرْضَ من المركب بالتعليق » أى اكتف من الركوب بتعليق أمتعتك على الدابة أى اقنع من عظيم الأمر باليسير .

(٥) من الأمثال « رضى من الغنيمة بالإياب » قال امرؤ القيس :

وقد طوّفت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

أى قنعت من الغنائم بسلامة العودة ، ومثله قول البحترى :

وكان رجائى أن أءوب مملّكا ... فصار رجائى أن أءوب مسلّما

وما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب .

(٦) فى الذخيرة « فخر على الضعيف » ؛ أنّى ؟ : كيف ؟ ؛ المُغَلَّب : المغلوب ، قال امرؤ القيس :

وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ... ضعيف ، ولم يغلبك مثلُ مُغَلَّبِ

سِوَارٍ[1]؟ وَمَالَكَ لاَ تَمْنَعُ مِنِّى قَبْلَ أَنْ أُفْتَرَسَ؟ وَتُدْرِكُنِى وَلَمَّا أُمَزَّقْ ؟[2]
أَمْ كَيْفَ لاَ تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الأَكْفَاءِ حَسَدًا لِى عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ[3] ؟
وَتَتَقَطَّعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ ؟[4]

---

(١) من الأمثال « لو ذات سوار لطمتنى !! » أى لو ظلمنى من كان كفئا لى لهان الأمر علىّ ، ولكن ظلمني من هو دونى وكانت العرب قلما تُلْبِسُ الإماءَ السوار ، فهو يتألم من أن أمَةً لطمته ، ويروى أن قائل المثل حاتم الطائى وكان أسيرا فلطمته أمة فقاله ؛ ومثل هذا قول الشاعر :

ولو أنى بُلِيتُ بهاشِمِىٍّ خئولته بنو عبد المدان
لهانَ علىّ ما ألقى ، ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

(٢) فى نهاية الأرب وتمام المتون والمواهب الفتحية « لم تمنع منى » وقد آثرنا رواية الذخيرة ؛ المعنى : مالك لا تدفع عنى قبل أن يدركنى الافتراس ؟ وتلحقنى قبل أن ينالنى التمزيق ؟ وقد نظر فى هذا إلى قول المثقب العبدى :

فإن كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكلٍ وإلا فأدركنى ، ولما أُمَزَّقِ

وقد تمثل بهذا البيت سيدنا عثمان فى رسالة كتبها وهو محاصر فى بيته إلى الإمام على .

(٣) تتضرم : تتوقد ؛ الجوانح : الأضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر ؛ الأكفاء : جمع كفء وهو النظير أو الذى ينهض بالأعباء الجسيمة ، والكفاءة فى النكاح : هى المماثلة فى الحسب والنسب ، وهى واجبة عند الشافعية فلا يجوز تزويج المرأة من غير كفء إلا برضاها ، ويرى الحنابلة أن الكفاءة شرط فى صحة الزواج ؛ الخصوص : الاختصاص ؛ وفى المواهب الفتحية « كيف لا تضطرم .. » .

(٤) المعنى : كيف لا تخفت أنفاس المناظرين لى فى التنافس على بلوغ منزلتى الكريمة عندك ؟

فَكَيْفَ][1]؟ وَقَدْ زَانَنِي رَسْمُ خِدْمَتِكَ[2]، [وَزَهَانِي وَسْمُ بِمُمَتِكَ][3]، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ[4]، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ[5]:

أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ   هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمَا؟[6]

ثَنَاءً يُظَنُّ الرَّوْضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا   ضُحًى، وَيُخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مُنَمْنَمَا[7]

---

(1) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب .

(2) آثرنا رواية المواهب الفتحية ، وفى الذخيرة وتمام المتون ونهاية الأرب « اسم خدمتك » .

(3) هذه الجملة ساقطة من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ زها : تكبر ، ومثله زُهِىَ ، وزهاه : استخفه ؛ الوسم : العلامة .

(4) فى الذخيرة « وقد زانني اسم خدمتك ، وأنلت الجسيم من سماطك » ، أبليت البلاء الجميل : صنعت الصنع الحسن ، يقال أبلاه الله بلاءً حسنا ، وأبليته معروفا : أوليته إياه ، قال زهير :

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم   وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

أى صنع بهما خير الصنيع ؛ السماط : الجانب أو الصف ، والمقام بين السماطين من الناس من المواقف العظيمة ، قال الرستمى :

وما كنت لولا طيب ذكرك شاعرا   ولا منشدا بين السماطين فى حفل

(5) فى بعض نسخ تمام المتون « فى بساطك » .

(6) البيتان من قصيدة للبحترى فى عتاب الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل ؛ وفى الذخيرة ونهاية الأرب « نظم قصائد » ولم يرد البيت الثانى فيهما فى صلب الرسالة ، ولكنه ورد بها فى تمام المتون والمواهب الفتحية ، ورواية الديوان له هى :

(7) ثناء كأن الروض منه منورا   ضحى ، وكأن الوشى فيه مسهما =

وَهَلْ لَبِسَ الصَّبَاحُ إلاَّ بُرْدًا طَرَّزْتَهُ بِفَضَائِلِكَ؟(1) وَتَقَلَّدَتِ الجَوْزَاءُ إلاَّ عِقْدًا فَصَّلْتَهُ بِمَآثِرِكَ ؟(2) [وَاسْتَمْلَى الرَّبِيعُ إلاَّ ثَنَاءً مَلأْتَهُ مِنْ مَحَاسِنِكَ ؟](3) وَبَثَّ المِسْكُ إلاَّ حَدِيثًا أَذَعْتَهُ فِي مَحَامِدِكَ ؟(4) مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ(5) ؛ [وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكْسُكَ سَلِيبًا ، وَلاَ حَلَّيْتُكَ عُطْلاً ،

= ومعنى البيتين : لقد واليتُ فى الثناء عليك نظم القصائد التى أضاءت فى ظلام الليل مع النجوم كالنجوم ، بمدح إذا قرنته بالرياض رأيته قد غمرها بالأضواء الوهّاجة كالضحى، وإذا وازنته بالغلائل والأبراد وجدته مزخرفاً بأبهى الألوان .

(1) فى الذخيرة ونهاية الأرب « بمحامدك » ؛ التطريز : تزيين حواشى الثوب وقد يكون الثوب مطرزا بالذهب ؛ المعنى : لقد صُغْتُ فيكَ من الثناء الخالد ما هو حلية للدهر وزينة للصباح .

(2) آثرنا رواية تمام المتون ونهاية الأرب ، وفى الذخيرة « بمشاعرك » ؛ والمعنى : لقد نوّهتُ بمآثرك حتى جعلتها عقدا تتزين به كواكب الجوزاء .

(3) لم ترد هذه الجملة فى الذخيرة ونهاية الأرب ؛ المعنى : لقد استعار الربيع بهجته مما نشرته على الدنيا من محاسنك .

(4) فى الذخيرة « وفَتّ المسك » ، وفيها وفى نهاية الأرب « أذعته بمفاخرك » ؛ فَتّ المسكَ : سحقه ؛ بث الحديث : نشره ، وقد استعار الحديث لرائحة المسك ، وشبيه بهذا قول ابن حيوس .

وطيب ثناء طبّق الأرض ، فاكتست مشارقها من عرفه والمغـــارب

(5) فى الذخيرة « وما يوم .. » ؛ ومن الأمثال « ما يوم حليمة بسر » يضرب للأمر المشهور الذى لا يمكن إنكاره ، وحليمة هى بنت الحارث الأكبر بن أبى شمر ملك غسان ، وكان أبوها قد وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء وانتدب لاغتياله مائة من الأبطال المشهورين فأخرجت لهم بنته حليمة طيبا طيبتهم به ، قال النابغة الذبيانى يصف السيوف :

تخيرنَ من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جُرِّبن كل التجارب

وَلاَ وَسَمْتُكَ غُفْلا(١) ، بَلْ وَجَدْتُ آجُرًا وَجِصًّا فَبَنَيْتُ(٢) وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ](٣) وَحَاشَى لِلهِ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ(٤) ، وَأَكُونَ

---

(١) المعنى : لم أكسُك من ثنائى ما كنتَ منه عاريا، ولا حليتك به وكنتَ عاطلا من الزينة ، ولم أميزك به وكنتَ مجردا من التمييز ؛ وشبيه بهذا قول أبى تمام :

أنا من كساك ـ وما كساك الحلة ـ حُرّ القصائد فُوِّفَتْ تفويفا

وقول أبى الحسين بن الجزار :

ولقد كسونك من قريضى حلة جلت عن التلفيق والترقيع

حسنت برقم من جلالك ، فاغتدت كالروض فى التسهيم والترصيع

(٢) الأجُرّ : الطوب المحروق المخصص للبناء ؛ الجص : الكلس ، ويستعمل لطلاء الجدران

(٣) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ المعنى : لم أخلعْ عليك من الثناء ما ليس فيك ، فقد وجدت أساسا أبنى عليه فبنيت ، ووجدت مكان القول واسعا فيك فقلت ؛ قال ابن الخازن :

ومن سقيا سحابك جاد طبعى ولولا الغيث لم ينبسم قليب

وقال المتنبى :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل

وقال ابن قلاقس :

ومنك وفيك تنتظم القوافى ومن وجد المقال الرحب قالا

(٤) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب؛ وفى تمام المتون والمواهب الفتحية «حاش لك» ؛ حاش لله ، وحاشى له : تنزيهاً له ؛ العاملة الناصبة : مأخوذة من الآية الكريمة « وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية » المقصود بها وجوه الكفار التى عملت فى الدنيا وتَعِبَتْ دون أن تفوز بجزاء فى الآخرة ، قال تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

كَالذبَالَةِ المَنْصُوبَةِ تُضِيء لِلنَّاسِ (وَهْيَ) تَحْتَرِقُ[1] ، [فَلَكَ المَثَلُ الأَعْلَى ، وَهْوَ بِكَ - وَبِي فِيكَ - أَوْلَى][2] .

وفي فصل منها :[3]

وَلَعَمْرُكَ مَا جَهِلْتُ أَنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغَتْنِي الشَّمْسُ ، وَنَبَا بِيَ المَنْزِلُ ؛[4] وَأَصْفَحَ عَنِ المَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ

---

(١) (وهي) : زيادة من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ والمعنى : معاذ الله أن تمدني في مصاف الكبار الذين يشقون ويكدحون دون فائدة ، أو تجعلني كالشمعة المنصوبة التي تضيء للناس وهي تفني وتذبل ، قال العباس بن الأحنف :

أحـــرم منك ما أقول ، وقد نال به العاشقون ما عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للنـــاس وهي تحترق

وهو مأخوذ من الحديث الشريف « العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضيء للناس » .

(٢) سقط ما بين القوسين من الذخيرة ونهاية الأرب ؛ المثل الأعلى : الصفة العليا ، قال تعالى « وله المثل الأعلى في السموات والأرض » أي ليس كمثله شيء ؛ المعنى : والمثل الأعلى أولى بك ، وبي كذلك إذا كان فيك .

(٣) وردت هذه العبارة بالذخيرة ونهاية الارب ، وهي تدل على أن الرسالة لم ترد كاملة .

(٤) في الذخيرة ونهاية الأرب « ولعمري ما جهلت أن الرأي في أن أتحول » ؛ لعمرك : وحياتك ؛ صريح الرأي : الرأي الواضح السديد ، وهو مأخوذ من قول أبي تمام :

وإن صريح الرأي والحزم لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا =

الرِّجَالِ(١) فَلاَ أَسْتَوْطِئُ الْعَجْزَ(٢)، [وَلاَ أَطْمَئِنُّ إِلَى الْغُرُورِ](٣) فَيُضْرَبَ بِي الْمَثَلُ(٤) «خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ»(٥) وَإِنَّ مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ الْجَلاَءَ سِبَاءٌ(٦) وَالنُّقْلَةَ مُثْلَةٌ(٧)؛

= ونبا بي المنزل: جفاني المنزل أو لم يستقر بي فيه قرار، قال عنترة:

احذر محل السوء، لا تحلُلْ به وإذا نبـا بك منزل فتحول

(١) في الذخيرة ونهاية الأرب «وأضرب عن المطامع»؛ ضرب عنه: أعرض؛ ومثله صفح عنه؛ المعنى: كثيرا ما يقود الطمع إلى الهلاك، قال البعيث:

طمعتَ بليلى أن تَرِيعَ، وإنما تقطع أعناقَ الرجالِ المطامع

تريع: ترجع وتعود، وقال أبو العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجال

(٢) في الذخيرة ونهاية الأرب «ولا أستوطىء العجز»، استوطأ المركب: وجده وطيئا ليّنا سهلا، وفي الأمثال «العجز وطيء» أي سهل.

(٣) مابين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب.

(٤) في ثمار القلوب والمواهب الفتحية «ومن الأمثال المضروبة».

(٥) من الأمثال «خامري أم عامر»، خامري: استتري، أم عامر: كنية الضبع، والمثل يضرب لمن يعرف أن الدنيا غدارة ثم يغترّ بها مثل الضبع يقال لها خامري فتهدأ وتسكن حتى يدخل عليها الصائد فيصيدها، قال البهازهير:

يا عاذلي لا تغلطي والله مالي فيك خاطرْ

خدعوك بالقول المحال، فصح أنك أم عامر

(٦) الجلاء: الرحيل عن الوطن، السباء والسبي، الأسر؛ وفي الذخيرة ونهاية الأرب «بأن الجلاء».

(٧) المُثْلة: التنكيل، يقال مُثّل به: مزق جثته وأذاقه الوبال، قال الصفدي: وقد قلت أنا «النوى توى (أي الفراق هلاك)، والغربة كربة، والسفر سقر، والشتات ممات، والافتراق احتراق»، قال الشاعر: =

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى   مَصَارِعَ مَظْلُومٍ : مَجَرًّا وَمَسْحَبَا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسِئْ   يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا (١)

لَعَارِفٌ أَنَّ الأَدَبَ الْوَطَنُ الَّذِي لاَ يُخْشَى فِرَاقُهُ ، وَالْخَلِيطُ الَّذِي لاَ يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ ، وَالنَّسَبُ الَّذِي لاَ يَخْفَى ، [وَالْجَمَالُ الَّذِي لاَ يُجْفَى (٢) ، ثُمَّ مَا قِرَانُ

= ما من غريب — وإن أبدى تجلده —   إلا سيذكر عند الغربة الوطنا

وقال شوقي :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه   نازعتني إليه في الخلد نفسي

(١) لم يرد هذان البيتان بالذخيرة ولا نهاية الأرب ، وينسبان لعروة بن الورد ، وقيل هما للأعشى وهو الأصح ؛ ومعناهما : إن المغترب عن وطنه لا يزال يواجه المهالك في شتى صورها ، وإذا أحسن أنكر الناس إحسانه ، وإذا أساء أعلنوا كل إعلان إساءته ، (كبكب : جبل عال بعرفات) وشبيه بهذا قول الشاعر :

إن يسمعوا الخير يخفوه ، وإن سمعوا   شرا أذاعوا ، وإن لم يسمعوا كذبوا

وقول الآخر :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا   منى ، وما سمعوا من صالح دفنوا

(٢) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب وإن كانت عبارة نهاية الأرب « لا يتوقع زواله » ، وفي تمام المتون والمواهب الفتحية « عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والخليط لا يتوقع زياله ، والنسيب لا يجفى ، والجمال لا يخفى » ؛ والمعنى : وإني — مع علمي بما في الجلاء من أهوال — لعارف بأن لي من أدبي وطناً عظيما ؛ فالأدب وطن لا يخشى صاحبه فراقه ، وعشير لا يتوقع زواله ، ونسب ظاهر لا يمكن إخفاؤه ؛ وجمال فتان لا سبيل لمقته ، وشبيه بهذا قول البارودي :

أنا ابن قولي ، وحسبي في الفخار به   وإن غدوت كريم العم والخال

(م — ١٥ ديوان ابن زيدون ...)

السَّعْدِ لِلْكَوَاكِبِ أَبْهَى أَثَراً ، وَلاَ أَسْنَى خَطَراً مِنَ اقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتِظَامِهِمَا نَسَقاً مَعَهُ(1) ؛ وَإِنَّ الْحَائِزَ لَهُمَا الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا(2) - وَقَلِيلٌ مَاهُمْ(3) -] أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ أَعْذَبَ مَنْهَلٍ(4) ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ

---

(١) اقتران الشيء بغيره وقرانه به : مصاحبته له ، وقران السعد للكواكب: مصاحبة الطالع الحسن لها ، وكان العرب يعتقدون أن للكواكب منازل سعود ومنازل نحوس ؛ أسنى خطرا : أرفع قدرا ؛ انتظامها نسقا : ترتيبها على وتيرة واحدة ، وثغر نسقٌ : أسنانه منضدة مستوية ، قال أبو الفتح البستى :

ما قران السعدين فى الجو أبهى منظرا من قران شكر وبرٍّ

والمعنى : ليس قران السعد للكواكب أحسن أثرا وأبهج منظرا من اقتران الأدب بغنى النفس ، قال الشاعر :

إن الغنىَّ هو الغَنِىُّ بنفسه ولو أنه عارى المناكب حاف
ما كلُّ ما فوقَ البسيطة كافيا فإذا قنعت فبعضُ شىء كافى

(٢) الضارب والضريب : الموكل بالقداح أو الذى يضرب بها ، وضرب فى الأمر بسهم : شارك فيه بنصيب ؛ وهو يوىء إلى أنه جمع بين الأدب البارع وغنى النفس وشارك فيهما بنصيب وافر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الذخيرة ونهاية الأرب ، وقليل ما هم : أى الجامعون بين الأدب البارع والنفس الغنية قليلون ، والجملة مقتبسة من القرآن الكريم ، قال تعالى « وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات،وقليل ما هم » .

(٤) آثرنا رواية الذخيرة ؛ وفى بقية الأصول « ورد منهل بر » ؛ المنهل : مورد الماء .

فَنَزَلَ(١) بِـ وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ(٢) ، وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ(٣) :

وَقِيلَ لَهُ : أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا   فَهَـذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ(٤)

---

(١) عبارة « فنزل » زيادة عن بعض نسخ الذخيرة ؛ الجناب : الفناء أو ما قرب من المساكن ؛ القبول : الرضاء ، وجناب القبول هو المكان الذى يجد فيه الإنسان من يقبل عليه ولا يدبر عنه .

(٢) ضوحك قبل إنزال رحله : قوبل بالبشر والترحاب لأول قدومه قبل إنزال متاعه ، قال حاتم الطائى :

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله   ويخصب عندى ، والزمان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى   ولكنما وجه الكريم خصيب

(٣) من كلام العرب : « نزلنا على فلان فجعل لنا حكم الصبي على أهله » أى أكرمنا غاية الإكرام ، لأن الصبي يلقى من أهله كل رعاية وعناية ومحبة على الرغم مما يجشمهم إياه من المتاعب والأهوال ، قال الشاعر :

ولا تحكما حكم الصبيّ ، فإنه   كثير على ظهر الصديق مجاهله

وكان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له : « يا هذا إنك قد اخترتنى جارا ، واخترت دارى دارا ، فجناية يدك علىّ من دونك ، وإن جنت عليك يدٌ فاحتكم حكمَ الصبىّ على أهله » .

(٤) فى بعض نسخ الذخيرة ، وبعض نسخ تمام المتون ، والواهب الفتحية « ... مبيت صالح ومقيل » والبيت من نظم عمرو بن الأهتم ، قال أبو تمام :

يعطى عطاء المحسن الخضل الندى   عفوا ، ويعتذر اعتذار المذنب
ومرحّب بالزائرين ، وبشره   يغنيك عن أهل لديه ومرحب

غَيْرَ أَنَّ الْمَوْطِنَ مَحْبُوبٌ[1] ؛ وَالْمَنْشَأَ مَأْلُوفٌ ؛ وَاللَّبِيبَ يَحِنُّ إلى وطنِهِ (حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى عَطَنِهِ[2]) ؛ وَالْكَرِيمَ لاَ يَجْفُو أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ ، وَلاَ يَنْسَى بَلَدًا فِيهِ مَرَاضِعُهُ[3] ؛

أَحَبُّ بِلاَدِ اللهِ مَا بَيْنَ مَنْعِجٍ   إِلَيَّ وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا[4]

---

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب لمطابقة المنشأ الموطن . وفى باقى الأصول « الوطن » .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى نهاية الأرب ؛ وفى بعض نسخ الذخيرة « حنين الناب » والناب : الناقة المسنة ؛ النجيب : الفحل الكريم ، العطن : مبرك البعير عند الماء ؛ قال ابن الرومى فى الحنين إلى بغداد :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا   ولبست ثوب العيش وهو جديد

فإذا تمثل فى الضمير رأيته   وعليه أغصان الشباب تميد

(٣) القوابل : جمع قابلة وهى التى تباشر ولادة النساء « الداية » .

(٤) البيتان وردا فى الأمالى (جـ ١ ص ٨٣) مصدرين بالعبارة الآتية : « أنشدنا عبد الله بن نفطويه ، قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحوى ثعلب » وهذه العبارة لا تقطع باسم قائلهما ؛ وأوردهما ياقوت فى معجم البلدان وقال إنهما لبعض الأعراب ، وقد أورد لسان العرب البيت الثانى منهما فى مادة (نوط) ونسبه إلى رقاع بن قيس الأسدى ؛ والبيتين أول ذكره الصفدى هو :

ألم تعلمى يا دار بلجاء أننى   إذا أخصبت أو كان خصبا جنابها

منعج : واد يأخذ بين حفر أبى موسى والنباج ويدفع فى بطن فلج (ياقوت) ؛ سلمى : جبل لطيىء شرقى المدينة (تاج العروس) ؛ يصوب سحابها : ينزل مطرها .

بِلَادٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِى وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرَابُهَا[1]

هَذَا إِلَى مُغَالَاتِى بِعِقْدِ جِوَارِكَ[2]؛ وَمُنَافَسَتِى فِى الْحَظِّ مِنْ قُرْبِكَ[3]، وَاعْتِقَادِى أَنَّ الطَّمَعَ فِى غَيْرِكَ طَبَعٌ، وَالْغِنَى مِنْ سِوَاكَ عَنَاءٌ[4]، وَالْبَدَلَ

---

(١) فى الأمالى ومعجم البلدان « حل الشباب تمائمى » وفى لسان العرب مادة (نوط) « بلاد بها نيطت علىّ تمائمى » ؛ عق : شق ؛ التمائم : جمع تميمة ، وهى عوذة تعلق على الطفل لتقيه الحسد ، وقد تكون خرزة أو صحيفة بها أدعية وطلاسم أو غير ذلك ، وفى الحديث « من علّق تميمة فلا أتم الله له » ، وقال أبو ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبتْ أظفارَها ألفيت كلَّ تميمة لا تنفع

والمعنى : لقد نشأت فى هذه البلاد ولما بلغت بها سِنَّ الشباب أزلت عنى التمائم ، وهى أول أرض لمس جلدى ترابها ، ومثله قول الشاعر :

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى لشوقى إلى عهد الصبا المتقادم

حننتُ إلى أرض بها اخضرَّ شاربى وحُلِّتْ بها عنى عقود التمائم

(٢) فى الذخيرة « مع مغالاتى بعلو جوارك » وفى نهاية الأرب « فى تعلق جوارك » .

(٣) فى تمام المتون والمواهب الفتحية « فى لحظة من قربك » وقد آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب .

(٤) الطبَعُ : الدنس ، قال الشاعر :

لا خير فى طمع يدنى إلى طبَعٍ وغُفَّةٌ من نعيم العيش تكفينى

الغُفَّة : الزاد القليل يتبلغ به الجائع إلى حين ؛ العناء : التعب والمشقة .

مِنْكَ أَعْوَرُ(١) وَالْعِوَضُ لَفَاءٌ(٢)

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضَنًّا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأُمَرَاءِ(٣)

وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا(٤)، وَفِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ، وَاسْتَمْجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ(٥)، فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ مِمَّنْ

---

(١) في الذخيرة «عوز»، من الأمثال «بدلٌ أعور» وسببه ـ كما في مجمع الأمثال للميداني ـ أن يزيد بن المهلب صُرِف عن ولاية خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي، وكان شحيحا أعور، فقال الناس هذا بدل أعور، وقال فيه بعض الشعراء:

كانتْ خراسانُ أرضاً إذْ يزيدُ بها وكلُّ باب من الخيرات مفتوح

حتى أتانا أبو حفص بأسرته كأنما وجهه بالخل منضوح

(٢) اللفاء: الخسيس الحقير، أو التراب، أو هو ما دون الحق، يقال فلان رضي من الوفاء باللفاء، وفي الأمثال «أعطاني اللفا غير الوفا» يضرب لمن يبخسك حقك.

(٣) البيت لعدي بن الرقاع، ومعناه: يزيدني اعتزازاً بأميري ما أرى عليه بقية الأمراء من نقص وضعف وهوان.

(٤) «كل الصيد في جوف الفرا» مثل مشهور. الفرا: الحمار الوحشي، وأصل المثل: أن ثلاثة خرجوا للصيد فاصطاد الأول أرنبا، والثاني ظبيا، والثالث حمار وحش؛ فتطاول الأولان على الثالث فقال: «كل الصيد في جوف الفرا». واستأذن أبو سفيان على النبي ﷺ فحجبه قليلا، وعاتبه أبو سفيان فقال له: «يا أبا سفيان أنت كما قيل: كل الصيد في جوف الفرا» معناه: إذا حجبتك تنم كل محجوب.

(٥) استمجد: استكثر، المرخ: شجر يطول ويتفرع حتى يُستظلّ به، ويؤخذ منه الزناد الذي يقتدح به؛ العفار: شجر خوار يؤخذ منه الزناد أيضا،=

يتَوَلَّاكَ ؟[1] وَالْمَيْلُ عَمَّنْ يَمِيلُ إِلَيْكَ[2] ؟ وَهَلَّا كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فِيكَ !! وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ !!

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ[3]

أُعِيذُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ خُلَّبًا ، وَأَسْتَمْطِرَ جَهَامًا[4]، وَأَكْدِمَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ[5]، وَأَشْكُوَ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعِقْبَانِ

= قال أبو زياد : ليس فى الشجر كله أورى زنادا من المرخ ، والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ ، قال الأعشى :

زنادك خير زناد الملو ك ، خالط فيهن مرخ عفارا

والجلتان مثل لمن يكثر العطاء طلبا للمجد .

(١) فى نهاية الأرب « ممن تولاك » ؛ تولاه : أصبح مواليا له متعلقا به .

(٢) آثرنا رواية الذخيرة ونهاية الأرب ، وفى تمام المتون والمواهب الفتحية « ممن لا يميل عنك » .

(٣) البيت للمتنبى فى عتاب سيف الدولة، وبليه :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة!! لو أن أمركم من أمرنا أمم

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

(٤) فى الذخيرة « أعيذك ونفسى أن أشيم » ، شام البرق : نظر إلى سحابته متطلعا أين تمطر ، الخلب : البرق الذى لا سحاب معه كأنه خداع ، الجهام : السحاب الذى لا ماء فيه ، قال عمرو بن معديكرب .

لا يكن برقك برقا خلبا إن خير البرق ما الغيث معه

(٥) فى بعض نسخ الذخيرة : « وأكدم غير مكدم » وفى بعض نسخ تمام المتون ونسخ الذخيرة « وأكرم غير مكرم » وهو مأخوذ من قول زهير بن أبى سلمى :=

وَالرَّخَمِ(١)؛ فَمَا أَبْسَسْتُ لَكَ إِلاَّ لِتَدِرَّ(٢)، وَمَا حَرَّكْتُ لَكَ الحِوَارَ إِلاَّ لِتَحِنَّ(٣)، وَمَا نَبَّهْتُكَ إِلاَّ لِأَنَامَ(٤)، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ إِلاَّ لِأَحْمَدَ السُّرَى لَدَيْكَ؛(٥)

= ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرَّمِ

ومن الأمثال « كَدمْتَ غير مَكْدَم » أى عضضتَ غير موضع للعض، يُضرَبُ لمن يطلب شيئا فى غير مطلبه .

(١) مقتبس من قول المتنبي :

ولا تَشَكَّ إلى خلق فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

الرخم : جمع رخمة من جوارح الطير تشبه النسر فى الخلقة ؛ والمعنى : إن جوارح الطير تفترس الجريح، فكيف يشكو إليها ما يلاقيه من جروحه ؟ وهذا مثل قولهم «كالمستجير من الرمضاء بالنار » .

(٢) الإبساس : أن يقول الحالب للناقة « بُس ، بُس » لتسكن وتدر اللبن .

(٣) الحوار : ولد الناقة، ولا يزال حواراً حتى يفصل عن الرضاع ؛ وفى الأمثال « حَرِّكْ لها حوارها تحن » أى أظهره للناقة لتستثير حنانها .

(٤) مأخوذ من قول بشار :

إذا أيقظتكَ حروبُ العدا فنبهْ لها عمرا ، ثم نَمْ

(٥) السرى : السفر ليلا . وفى الأمثال : « عند الصباح يحمد القوم السرى » قاله خالد بن الوليد من أرجوزة منها :

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلى عنهم غيابات الكرى

وفى الذخيرة ونهاية الأرب « وإنما أبسست لك لتدر، وحركت لك الحوار لتحن ، ونبهتك لأنام ، وسريت إليك لأحمد ... » وفى نهاية الأرب « ليحمد السرى إليك » .

بَعْدَ ٱلْيَقِينِ مِنْ أَنَّكَ إِنْ سَنَّيْتَ عَقْدَ أَمْرٍ تَيَسَّرَ [1]، وَمَتَى أَعْذَرْتَ فِي فَكِّ أَسْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ[2]، وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ ٱلْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ ٱلنِّعْمَةِ[3]، وَالشَّفَاعَةَ زَكَاةُ ٱلْمُرُوءَةِ [4] وَفَضْلَ ٱلْجَاهِ - تَعُودُ بِهِ - صَدَقَةٌ [5].

وَإِذَا ٱمْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ [6]

أَمَلِي أَلِقِي ٱلْعَصَا بِذَرَاكَ . وَتَسْتَقِرَّ بِيَ ٱلنَّوَى فِي ظِلِّكَ ،[7] (فَتَسْتَلِذَّ

---

(١) آثرنا رواية نهاية الأرب، وفى الذخيرة «بعداليقين أنك» ، وفى تمام المتون والمواهب الفتحية« وإنك إن سنّيْت » وفى بعض نسخ تمام المتون « متى سنيت » وفى نهاية الأرب« إن شئت » ؛ سنيت : سهلت ، قال بشار :

فبالله ثق إنْ عزّ ما تبتغى ، وقل إذا الله سنّى عقد أمرٍ تيسرا

(٢) أعْذَرَ : طلب العذر أو بالغ فى طلبه ، لم يتعذر : لم يصعب .

(٣) المعروف : ضد المنكر ؛ والمعنى : من أحسن الله إليه وجب أن يقدم معروفا إلى الناس ليكون ثمرة نعمة الله عليه ؛ وفى نهاية الأرب « وعلمك يحيط »

(٤) المعنى : إن الشفاعة لدى الرؤساء فى قضاء الحاجات يؤديها الإنسان زكاة عما رزقه الله به من جاه عند الحكام .

(٥) الجاه : القدر والمنزلة ، يعود به : ينفع به .

(٦) البيت لأبى تمام من قصيدة كتبها إلى إسحق بن ربعى كاتب أبى دلف ، ومعناه : إذا نفعك امرؤ بجاهه فكأنما نفعك بماله .

(٧) الذَّرى كلُّ ما استترت به . يقال : أنا فى ظلّ فلان وذراه أى فى كنفه وستره ، والعرب تكنى عن الاستقرار والسكون بإلقاء العصا لأن المسافر إذا ألقى عصاه عن كتفه فقد قرّ قراره ، قال المتمد بن أوس بن حماد :

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر =

جَنَى شُكْرِى مِنْ غَرْسِ عَارِفَتِكَ ، وَتَسْتَطِيبَ عَرْفَ ثَنَائِى مِنْ رَوْضِ صَنِيعَتِكَ] (١) وَأَسْتَأْنِفَ التَّأَدُّبَ بِأَدَبِكَ (٢) وَالاحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ (٣) فَلاَ أُوجِدَ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لَحْظَةٍ وَلاَ (أَدَعَ) لِلْقَادِحِ مَسَاغَ لَفْظَةٍ (٤) وَاللهُ مُيَسِّرُكَ

= وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، قال الحسين بن ابراهيم الكاتب :

ألا ليت شعرى هل أقولن مرة ... وقد سكنت مما أجن الضمائر

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

(١) ورد ما بين القوسين فى الذخيرة ونهاية الأرب ، وسقط من تمام المتون والواهب الفتحية ؛ الجنى : الثمر الغض ؛ العارفة : المعروف ؛ العرف : الريح طيبة كانت أو خبيثة ، والمشهور الأول ؛ الصنيع والصنيعة : الإحسان ، وهو صنيعى وصنيعتى أى اصطنعته لنفسى وربيته وخرجته ؛ والمعنى : عسى أن أستقر فى ظلك فتجنى من شكرى ما غرسته نعماؤك ؛ وتستطيب من ثنائى ما أنبته روضك .

(٢) فى الذخيرة ونهاية الأرب « فأستأنف التأدب بك » ؛ المعنى : أعود إلى ما اتبعته من التخلق بأخلاقك والاقتداء بآدابك .

(٣) الاحتمال والتحمل : الارتحال ؛ والمعنى : لعلى أعود إلى التخلق بأخلاقك ، والسير على مذهبك ، واتباع طريقتك ، وفى الذخيرة « والاحتيال على مذهبك » ؛ وشبيه بهذا قول أبى سعيد الرستمى « من شعراء اليتيمة » :

إذا وردوا ماء وردت ، وإن طووا ... طويت ، وإن قالوا تحولت قائلا

وإن نصبوا للحر حر وجوههم ... تمثلت حرباء على الجذل مائلا

يظنون أنى سائل فضل زادهم ... ولولا الهوى ما ظننى الركب سائلا

(٤) « أدع » زيادة من الذخيرة ؛ الحاسد : من يتمنى زوال نعمة غيره ، القادح : العائب ، ساغ الشراب سوغا ومساغا : سهل دخوله فى الحلق ؛ وفى تمام المتون والواهب الفتحية =

مِنْ إطلاَبِى بِهَذِهِ الطَّلِبَةِ (١) وإِشْكَائِى مِنْ هَذِهِ الشَّكْوَى، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الصَّنَعِ (٢) وَيَدٍ تَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ مُسْتَوْدَعٍ (٣)، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِىٌّ بِهِ (٤)، فَذَلِكَ بِيَدِكَ وَهَيِّنٌ عَلَيْكَ (٥).

* * *

= «لحظه ... لفظه» . والمعنى : لا أدع للحاسد فرصة ليصوب إلىّ سهام عينيه ، ولا للعائب مجالا للتشهير بى .

(١) فى الذخيرة «والله شهيدك من إطلابى بهذه الطلبة» وفى تمام المتون والمواهب الفتحية «والله مبشرك» وقد آثرنا رواية نهاية الأرب ؛ إطلابى : إسعاف، الطّلِبة : ما رجوته من أمر .

(٢) أشكيته : أزلت شكواه ، الصنيعة : الإحسان ، المصنع والصنيع : المعروف ، قال الشاعر :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى تصيب بها مكان المصنع

وفى الذخيرة ونهاية الأرب «لصنيعة تصيب بها طريق المصنع» .

(٣) آثرنا رواية نهاية الأرب، وفى الذخيرة «وقد تستودعها» وفى تمام المتون والمواهب الفتحية «وتستودعها» ؛ اليد : النعمة والإحسان ، المعنى : ونعمة تضعها فى خير مكان يحفظها ويصونها .

(٤) حسبما : بقدر ما ؛ خليق به : جدير به ؛ ومثله حرىٌّ به أى جدير به وأهل له ، المعنى : إنك جدير بالإحسان ، وأنا أهل له منك .

(٥) آثرنا رواية الذخيرة ، وفى بقية الأصول «وذلك بيده وهيّن عليه» ؛ وماورد بعد هذا ساقط من نهاية الأرب ، وبدلا منه قال : «وشفعها بأبيات فقال :

للهوى فى طلوع تلك النجوم ... والمنى فى هبوب ذاك النسيم»

وأورد القصيدة ثم التعقيب عليها .

وَلَمَّا تَوَالَتْ غُرَرُ هَذَا النَّثْرِ ، وَاتَّسَقَتْ دُرَرُهُ(١) ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلَوَائِهِ ، وَجَرَّ ذَيْلَ خُيَلاَئِهِ(٢) عَارَضَهُ النَّظْمُ مُبَاهِياً ، بَلْ كَايَدَهُ مُدَاهِياً(٣) حِينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ اسْتِعْطَافُهُ ، وَيَمِيلَ بِنَفْسِكَ إِلْطَافُهُ(٤) ، فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ مِنْهُ ، وَاعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ(٥) وَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ الْعَلِيلَ ، وَالْخَاطِرَ الْكَلِيلَ(٦) حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ مِنْهُ عَرُوساً مَجْلُوَّةً فِي أَثْوَابِهَا(٧)

---

(١) فى الذخيرة « واتسمت درره » ؛ توالت : تتابعت ، الغُرَر : جمع غُرة وهى أول كل شئ أو أكرمه ؛ اتسقت : انتظمت فى نظام بديع .

(٢) العِطف : الجانب ، وعطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وركيه ؛ الغلواء : سرعة الشباب أو أوله أو المغالاة ، وهزّ عطف غلوائه : افتخر بشبابه ومال به تيها وعجبا ؛ الخيلاء : الكبر والتيه ، وجرّ ذيل خيلائه : جرّر ذيله تيها وكبرا .

(٣) مباهيا : مفاخرا ؛ كايده : كاد له ومكر به ؛ مداهيا : لعلها مأخوذة من دهاه يدهاه دهيا إذا عابه وتنقصه ، فتكون مداهيا بمعنى مبادلا إياه ذكر العيوب والنقائص .

(٤) فى بعض نسخ الذخيرة « حين أشفق » ؛ أشفق : خاف وحذر ؛ يعطفك : يثنيك ويجذبك إليه ؛ إلطافه : بره وعطفه .

(٥) العائدة : العطف والمنفعة ؛ اعتد : عدّ ؛ المعنى : آثر الشعر أن يكون هو صاحب الفضل فى جذبك إلى العفو والغفران .

(٦) فى الذخيرة « وما زال يستكره » ؛ يستكد : يجهد ؛ الكليل : غير الحاد أو الضعيف .

(٧) فى الذخيرة « حتى زف إليك عروسا ... » جلا العروس على بعلها واجتلاها : عرضها عليه مصقولة مزينة .

مَنْصُوصَةً بِحَلْيِهَا وَمَلاَبِهَا (١)، [ومَا هِيَ الأَبْيَاتُ] (٢) :

الهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ

... القصيدة (٣)

هَا كَمَا ـ أَعَزَّكَ اللهُ ـ يَبْسُطُهَا الأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الخَجَلُ (٤) لِمَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ، وَحُرْمَةُ الإِخْلاَصِ (٥)؛ فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةٍ ، وَاشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ (٦)، لِيَتَأَتَّى لَكَ الإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الفَضْلِ طُرُقَاتِهِ (٧)، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى (٨).

---

(١) نص العروس : جلاها على المنصة ، الملاب: الزعفران أو الطيب مطلقاً .

(٢) هذه الجملة زائدة من الذخيرة ولم ترد فى غيرها .

(٣) راجع القصيدة ص ٢٧٨ فى باب الشكوى والعتاب ،

(٤) فى الذخيرة « وبعد تمام هذه القصيدة : ها كما .. » المعنى : خذها — أعزك الله — ينفسح لها الأملُ فتقبل عليك مطمئنة ، ويصدها الخجل فتنقبض فى حياء؛ فكأنها يدنيها الأمل ويصدها الخجل .

(٥) المعنى : لها ذنب التقصير عن إيفائك حقك من الثناء ولكنها تمت إليك بحرمة الإخلاص لك، والتعلق بك .

(٦) شفع نعمة بنعمة: ضم إلى النعمة مثيلا لها ؛ المعنى: اعف عن ذنب التقصير إكراما لحرمة الوفاء .

(٧) يتأتى : يتهيأ ؛ وفى الذخيرة « لتأتى الإحسان من جهاته، وتسلك إلى أفضل طرقاته » وفى المواهب الفتحية « لتأتى بذلك الإحسان من جهاته » وتسلك أفضل طرقاته » .

(٨) هذه الجملة لم ترد فى تمام المتون ووردت ببقية الأصول وكلمة « تعالى » ساقطة من الذخيرة